التنمية البشرية في نهج البلاغة

ISBN 978-9922-9464-7-4

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد 3680 لسنة 2019م

مصدر الفهرسة: IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda
رقم تصنيف LC: BP193.1.A2 Q8 2020
المؤلف الشخصي: القريشي، صالح جبار - مؤلف.
العنوان: التنمية البشرية في نهج البلاغة /
بيان المسؤولية: تأليف أ. م. د. صالح جبار القريشي ؛ علي فاخر حسن.
بيانات الطبع: الطبعة الاولى.
بيانات النشر: كربلاء، العراق: العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة علوم نهج البلاغة ؛ 2020 / 1442 للهجرة.
الوصف المادي: 285 صفحة ؛ 24 سم.
سلسلة النشر: (العتبة الحسينية المقدسة ؛ 793).
سلسلة النشر: (مؤسسة علوم نهج البلاغة ؛ 187).
سلسلة النشر: (سلسلة الرسائل والاطاريح الجامعية ؛ 43).
تبصرة ببليوجرافية: يتضمن هوامش، لائحة المصادر (الصفحات 308-292).
مصطلح موضوعي: الشريف الرضي، محمد بن الحسين، 406-359 للهجرة - نهج البلاغة.
موضوع شخصي: علي بن أبي طالب (عليه السلام) الامام الاول، 23 قبل الهجرة40- للهجرة - حديث.
موضوع شخصي: الاسلام والتنمية البشرية
اسم مؤلف اضافي: شرح لـ(عمل): الشريف الرضي، محمد بن الحسين، 359-406 للهجرة - نهج البلاغة.
اسم مؤلف اضافي: حسن، علي فاخر - مؤلف مشارك.
اسم هيئة اضافي: العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق)، مؤسسة علوم نهج البلاغة. جهة مصدرة.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية

سلسلة الرسائل والأطاريح الجامعية (٤٣)
وحدة الدراسات الإسلامية

التنمية البشرية في نهج البلاغة

تأليف
ا.م.د. صالح جبار القريشي
علي فاخر حسن

إصدار
مؤسسة علوم نهج البلاغة
في العتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة
العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى
١٤٤٢هـ - ٢٠٢٠م

العراق كربلاء المقدسة -مجاور مقام علي الأكبر عليه السلام
مؤسسة علوم نهج البلاغة
هاتف: ٠٧٧٢٨٢٤٣٦٠٠ - ٠٧٨١٥٠١٦٦٣٣
الموقع الألكتروني: www.inahj.org
الإيميل: Info@Inahj.org

تنويه:
إن الأفكار والآراء المذكورة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة
تخلي العتبة الحسينية المقدسة مسؤوليتها عن أي انتهاك لحقوق الملكية الفكرية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾

صدق الله العلي العظيم

سورة المائدة الآيتان ٥٥ ـ ٥٦

الإهداء

إلى مَنْ شَقَّ لِلأحْرَارِ سَبِيل الحُرِّيَةِ وَالْكرَامَةِ

إلى

حَبْلِ اللهِ المَتِينِ، وَسَبَبِهِ الأمِينِ

إلى

يُنْبُوْع العِلمِ ومَحَطّ الْكَرَم

إلى

بَابِ رَحْمَةِ اللهِ وَسَفِيْنَةِ النَّجَاةِ

سَيّدِي

وَمَوْلَاي

الحُسَيْن بن عَلي بِن أبِي طَالِب

أُهْدِي إلَيْكَما هذا الجُهْد

عـلي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤسسة

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما ألهم والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتدأها وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن والاها، والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين محمد وآله الطاهرين.

أما بعد:

فلم يزل كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) منهلًا للعلوم من حيث التأسيس والتبيين ولم يتقصر الأمر على علوم اللغة العربية أو العلوم الإنسانية، بل وغيرها من العلوم التي تسير بها منظومة الحياة وإن تعددت المعطيات الفكرية، إلا أن التأصيل مثلما يجري في القرآن الكريم الذي ما فرط الله فيه من شيء كما جاء في قوله تعالى: ﴿**مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**﴾، كذا نجد يجري مجراه في قوله تعالى: ﴿**وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ**﴾، غاية ما في الأمر أن أهل الاختصاصات في العلوم كافة حينما يوفقون للنظر في نصوص الثقلين يجدون ما تخصصوا فيه حاضرًا وشاهدًا فيهما، أي في القرآن الكريم وحديث العترة النبوية (عليهم السلام) فيسارعون وقد أخذهم الشوق لإرشاد العقول إلى تلك السنن والقوانين والقواعد والمفاهيم والدلالات في القرآن الكريم والعترة النبوية.

من هنا ارتأت مؤسسة علوم نهج البلاغة أن تتناول تلك الدراسات الجامعية المختصة بعلوم نهج البلاغة وبسيرة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

وفكره ضمن سلسلة علمية وفكرية موسومة بـ (سلسلة الرسائل والأطاريح الجامعية) التي يتم عبرها طباعة هذه الرسائل وإصدارها ونشرها في داخل العراق وخارجه، بغية إيصال هذه العلوم الأكاديمية إلى الباحثين والدارسين وإعانتهم على تبين هذا العطاء الفكري والانتهال من علوم أمير المؤمنين علي (عليه السلام) والسير على هديه وتقديم رؤى علمية جديدة تسهم في إثراء المعرفة وحقولها المتعددة.

وما هذه الدراسة الجامعية التي بين أيدينا لنيل شهادة الماجستير في الشريعة والعلوم الإسلامية إلا واحدة من تلك الدراسات التي وفق صاحبيها للغوص في بحر علم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه اسلام) فقد أذن لهما بالدخول إلى مدينة علم النبوة والتزود منها بغية بيان أثر تلك النصوص العلوية، فقد اشتملت الدراسة على واحد من المواضيع المهمة في عصرنا الحالي، ألا وهو التنمية البشرية، الذي يعنى ببناء الإنسان والمجتمع، وبنظرة فاحصة لسيرة أمير المؤمنين (عليه السلام) نجد أنه المثال الأعلى بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) في تطبيقه للتنمية البشرية على مستوى الفرد والمجتمع، وما خطبه ورسائله للولاة وحكمه إلا مصداق لذلك، وخير مثال على ذلك قوله (عليه السلام) لواليه على مصر مالك الأشتر في وصف الرعية: «**فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ**».

فجزى الله الباحثان خير الجزاء فقد بذلا جهدهما وعلى الله أجرهما.

والحمد لله رب العالمين.

السيد نبيل الحسني الكربلائي

رئيس مؤسسة علوم نهج البلاغة

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمدُ لله المَلكِ المَعْبودِ، ذِي العَطاءِ والمَنِ والجُود، وَاهِب الحَياةِ وخَالق الوجود، الذي اتَّصَفَ بالصَمَدية وتَفَرّدَ بالوَحْدَانِية والمَلائكة وأولو العلمِ على ذلك شهود. رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي، وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي، يَفْقَهُوا قَوْلِي، بِحقِ مُحَمَّدٍ وَعَلِي صَلواتك عليهما وذريتهما المَعصُومينَ الطيِّبين الطَّاهِرينَ.

أمَّا بَعد:

لَقد ارتسمتْ فِي كُلِ أفقٍ من آفاقِ العالمِ الإسلامي أسماءُ رجال معدودين امتازوا بموَاهِب وَعَبقرية ذات طاقاتٍ رفَعَتهم، فسُجلتْ أسماؤهم في قائمةِ عظماءِ التاريخِ، ومنهم عبدُ الله أميرُ المؤمنينَ عليُ بن ابي طالب(عليه السلام)، فهو فيضٌ إلهيٌ خاصٌ، سَمَا عن الحُدُودِ التي قَصُرتْ بالطبيعة الإنسانية في عَصرٍ من العُصُورِ، أو في مجتمعِ من المجتمعاتِ، وشاءتْ حكمةُ الله أن تحفظ هذه النِعَم وهي تُشرِعُ لَهُ نَهَجه في الحياة، في مصادرَ عَظِيمة مِنها مَا وَرَدَ عن أمير المؤمنين في كِتابِ نهجِ البلاغة، الذي تميز بالخُلودِ والتجدد في المعاني التي لا تبلى مضامينها، بل لهَا صفة التحرك مع المُستقبلِ لأنها مُتَصِلَةٌ بالقرآنِ الكريمِ ونابعة من الشَخصية المُتكاملةِ التي تُعدُّ مَنبَع المَعَارِف الالهية، ولما كان وجود الإنسان يَتطورُ مع حَرَكَةِ التاريخِ والعالمِ، وكانَ سِّ الوُجُودِ يَحتَملُ في أعمَاقه أسراراً أخرى تظهر تباعاً مع تطور التاريخِ الإنساني، ومنها موضوع التنمية البشرية الذي هو من أهم المَوضُوعَات

المُعاصِرة في عَمليةِ بناءِ الإنسانِ والمجتمعِ، فهيَ عملية تطويرية مستمرة، هَدفها تَنمية الإنسان ليكونَ بِمُستوى المسؤوليةِ في البناءِ والتقدمِ من أجلِ الوصُول بِهِ إلى حياةٍ فاضلةٍ، وهذا الموضوع لم تَتَنَاوَله الدرَاسَاتُ السَابِقَة على حُدُود اطلاعِي إلا مُرُورَاً عَابِراً، في تُراثِ أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهو عِدل القرآن الكريم، الذي يُواكب الحياة في كلِ زمانٍ ومكانٍ، وهوَ من سَعى بكلِ جُهدِهِ من أجلِ إنقاذِ البشريةِ، إضافةً إلى إحساسِهِ العميقِ بضرورةِ وِجُودِ مَشرُوعٍ حضَاريٍ مُحَدد يكونُ بمثابةِ الإطارِ الذي يَرسمُ الحياة الإنسانية بمختلفِ اتجاهاتِها ويكفلُ للشعوب العيش بحَياةٍ كريمةٍ وهي عَينُها أهدافُ التنميةِ البشريةِ.

إنَّ الإمام عليًا (عليه السلام) قد كرسَ كل لحظات حياتِهِ من أجل هذهِ الأهداف قبل أنْ تَظهَر التَّنمِية بِمَشرُوعِهَا الإصلَاحِي في المجتمعِ، والذي طُرح بأنه المشروع الاول في العَالَمَ لِحل المَشاكل العالمية، فتَبنى البحثُ هذا المَوضُوع من أجل التأصيل للتنميةِ البشريةِ في الفكرِ الإسلَامي بِشَكلٍ عَام وفي نهج البلاغة بشكل خاص، لبيان ما افاض به امير المؤمنين (عليه السلام) من نُصوص كثيرة في روح التنمية البشرية وهو بناء الإنسان ومجتمعه، وقد امتازتْ تلك النصوص بصبغةٍ إعجازيةٍ يجدُ كُل قارئ نَفسَهُ صَغِيرةً أمَام مَا جَادت بِهِ قَرِيحَتهُ فِي خطبه، ومَا خَطّتْه يَمينُهُ في رَسَائِلِهِ،وما تشنفتْ بِهِ الأسمَاع من حِكَمِه، وإن البحث في نهج البلاغة ليس بالعملية السهلة وليست بالمستحيلة، حالها حال البحث في علوم القرآن الكريم بموضوعاته المختلفة وهي تشارك القرآن في أن المطّلع عليها والمجالس لها اما يخرج بزيادة في علم أو نقص من جهل، لما تحمله من مضامين عالية، دقيقة المعنى، مما فرض على الباحث الحرص الشديد على تحري المعلومة الواضحة التي تحمل في طياتها مبادئ التنمية البشرية في بناءِ الإنسانِ وتقدمه عِبرَ خطة تُغني إن

شاء الله ﷻ المطّلِع بالحدود العامة للتنمية البشرية، التي تمثل على حدود المعرفة البسيطة، منهجا للحياة في مشروع التنمية البشرية، تحت عنوان (التنمية البشرية في نهج البلاغة)، والذي يمكن ايجاز الخطة فيه بما يلي:

يَتكونُ البَحثُ مِن تَمهيدٍ وَثلاثةِ فُصُولٍ وخَاتمةٍ، تناولتُ في مُقَدِمَتِهِ التَّنمِية البشرية ولوازمها التَعرِيفيةِ، إعتمدتُ فيها على مَن سَبقني في البحثِ والدراسَةِ العلميةِ للتنميةِ البشريةِ، بيّنتُ فيها تعاريف التنميةِ بأنواعِها وأهدافِها ومُكونَاتِها.

الفصلُ الاول تكلمتُ فيهِ عن مقوماتِ التنمية البشرية للشَّخصِيةِ القِيادِية فِي نَهجِ البَلاغَةِ، والمتكونُ مِن ثَلاثةِ مباحث؛ الاولُ منها يقعُ تحتَ عنوان الإدَارة عِندَ الإمَام عَلِي (عليه السلام) فِي نَهجِ البَلاغَة، وتكلمتُ فيها عن الإدَارةِ المَدَنيةِ والإدارة الاقتصَادية وتَنميتها للمجتمعِ في نَهجِ البلاغةِ، وكانَ الكلامُ فيها عَن تَنمِيةِ الموارد البَشَرية والطبيعيةِ، وتكلمتُ بعدها عن الإدارة السِياسية في نهج البلاغة، وأنواعها غَير مُباشرة ودورِهِ في المجتمع، وسياسَتِهِ المُبَاشرة بإدارته للأُمّة بعد تَسَلُّمِهِ قِيَادَتها.

أما المبحثُ الثاني فتكلمتُ فيهِ عن التكاملِ الفِكرِي للإمام علي(عليه السلام) في نهج البلاغة، وكَيفية تَميزه عن بَاقي النّاس عِلمياً، وأنواع عُلومه، وطاقاتهِ الفكرية وأساليب تنميته الفكرية. ثم يأتي بعده المبحث الثالث تحتَ عنوان التكامل الجِسمِي للإمام علي(عليه السلام) في نهج البلاغة،، فتكون الدراسة لبيانِ الأثر الذي يتركه وجودُ الإمام علي (عليه السلام) في عملية التنمية البشرية، ولتكامله الجسدي عوامل منها إلهية، وورَاثِية، إضافةً إلى عَواملِ أُسرية.

أمَّا الفصل الثاني فَعَرَض مَوضُوعَاتِ التَنميةِ البشريةِ في نهج البلاغة، وهو يتكونُ مِن مَبحثين، وقع الأول بعنوانِ بِنَاء الإنسان في نهج البلاغة ودرس الإنسان وتنمية جَوانبهِ العقليةِ وجوانبه النفسيةِ والرُّوحِية.

أمَّا المبحث الثاني فهُو بِعنوَان بِنَاء المُجتَمع في نهج البلاغة، وَدَرَسَ التنمية عبر ثلاث ركائز هي ميدان الاطمئنان الاجتماعي وقَانُونُ الجَذبِ الاجتماعي وَمبادئ السُلوك الاجتماعي في نهج البلاغة.

وَجَاء الفصل الثالث بعنوانِ (آلياتِ التنميةِ البشريةِ في نهج البلاغة)، وضمّ ثلاثة مباحث الاولُ مِنها عرض الشواهد القرآنيةِ في نهج البلاغة، وكيفية توظيفها في بِناءِ الأمةِ، والمبحثُ الثاني الحوار والاحتِجاج في نَهج البَلاغة، وكيفِيةِ استخدامِها في عَملية الهِدايَة وتنمية الوَعي بِبيانِ أهدافها وآدابها، وكلها جَعلت الإنسان هو المحوَر الذي تَدورُ حَولَه عُملية التنمية البشرية، والمبحثُ الثالث تحتَ عنوان الشَواهِد العقلية المَنطِقِية في نهجِ البَلاغةِ، الذي تَميَزَ بكثرةِ استخدامِهِ للشواهدِ العقليةِ في أغلب الخطب التي استخدمها (عليه السلام) في مَجَال تنمية الإنسَان بالتوحِيدِ والنبوةِ والإمامةِ وتنمية الايمان بالنفسِ.

وَكَان آخر رحلة البحث هي الخَاتمة التي تَنَاوَلْتُ بِهَا أهم النَّتَائِج التي خلص إليها البحث.

اعتمد الباحث عَلى العَدِيد مِن المصَادِر والمرَاجِع، كَان أهمها قِدَمَاً (شرح نهج البلاغة)، لابن أبي الحَدِيد المعتزلي بتحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم، الذي أخذ الحظ الأوفر من البحث، ومُستَعِيناً بالمُعجَم المَوضُوعي لنهج البلاغة، لأويس كَرِيم مُحَمَّد، وَعُلُوم نَهج البلاغة، للدكتُور مُحسِن بَاقِر المُوسَوِي، وكذلك استعنتُ بأهم المُؤلَفات الحَدِيثة فِي نَهج البلاغة المتمثلة بكتاب (الأثر القرآني في نهج البلاغة) للدكتور عبَّاس عَلي حُسَين الفَحَّام، وَقَد اعتَمَدته في الكثيرِ من مفاصل البحث، لِتَميُزه بالنَّظرَة العَمِيقَة لِنُصُوص نَهج البَلاغة واتِصَالهَا بالمصَادر الحَدِيثَة وَلِتَميزها بكثرة الموضُوعَات التي تَخُص بِنَاء الإنسان في مختلف المَجَالات.

تكمن الصعوبة في البحث في الوقوف على النصوص في نهج البلاغة التي تحتاج مزيداً من التأمل والتَّدبر والحَذَر خَوفاً مِن مُجَانبة مُرَاد الإمام علي (عليه السلام)، ولتميز نُصُوص نَهج البلاغة بأنها الكلمات المعجزة التي تنطوي على العَدِيد مِن الأفكَار فِي النص الوَاحِد فَيحتَاج فَهم كُل نَص الاستعانة بتَفاسير القرآن الكَرِيم وَشُرُوحَات نَهج البلاغة والتواصل مَع كُتب البلاغة والكُتب والدرَاسَات المُؤلفة فِيه، وَمن مَوَاضع الصُعُوبَة أيضاً أن الرَبط بَين نُصوص نَهج البلاغة والتنظير في مَوضُوعَات التنمية البَشَرِيَة يَحتَاج دقة أكبر لأن الأخِير وضع بمعزل عن نصوص نهج البلاغة، على الرغم من تميز الأخير بأنه يَحتَوِي عَلى العَدِيد من المَعَانِي العَالِية والاهدَاف السَامِية والاتّجاهات الهادفة نحو احياء الارض مادياً ومعنوياً في عملية بناء الإنسان وما يحيطه، وكان هذا دليلاً على أن الإمام عليًا (عليه السلام) هو الرائد الأول والأمثل للتنمية البشرية على الارض، وقد كان هذا أهم دافع لي للكتابة في نهج البلاغة في مجال التنمية البشرية، لإثبَات أن هذا الأثر العَلَوِي هُوَ أهم كِتَاب يَحتَوِي على أقدَم كَلَام بَشَرِي، وُضِعَ لبنَاءِ المُجتَمع وَتَطوِيره بِكُل الاتجَاهَات، بَل إنه الكتَاب المُعجِز الَّذِي لا يمكن لإنسَان أن يأتِي بِمثلِهِ أو مَا يُدَانِيه، أسلُوباً وفكرَاً وَهَدَفَاً وَكُل شَيء، لاسيما في ميدان التنمية البشرية.

وآمل من الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت في هذا البحث، وهو القليل من الكثير من الوجود المقدس للإمام علي (عليه السلام)، غير مدعٍ بإحاطتي بما لم يحط به غيري، بل ربما يكون طريقاً لباحثين غيري يصححون لي او يزيدون على البحث بما ينفع الإنسانية من فيض كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) لاسيما في علم التنمية البشرية، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين.

التمهيد

التنمية البشرية ولوازمها التعريفية

التمهيد

التنمية البشرية ولوازمها التعريفية

أولاً: التنمية البشرية لغة واصطلاحاً:

التنمية البشرية من أهم الموضوعات التي زاد الكلام عنها في الكتب التأليفية والابحاث العلمية في كل جوانب الحياة التي يعيشها الإنسان، إذ انه ((يمتد ليشمل جوانب الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، وغيرها من المجالات الأخرى كافة))[1]، وقبل بيان معنى التنمية البشرية، لابد من بيان مبسط لمفردات التنمية البشرية.

التنمية لغةً:

إذا ما شئنا معرفة (التَنْمِية) في المعجم العربي، فإنها على وزن (التفعلة)[2]، التي لها معان مترادفة، ((وهي على الإجمال (التطور، التقدم، الارتفاع، التزكية)، وعند مراجعة المعجمات اللغوية نكتشف أن معاني هذه الألفاظ متقاربة في دلالتها))[3]، وهي كما يأتي:

أ. **الزيادة**: هي من ((نمى:النماء: الزيادة: نمى ينمي نَمياً ونِمياً: زاد وكثر))[4]، وأنماه الله: رفعه وزاد فيه إنماء[5].

(١) الثقافة والتنمية البشرية، اشواق الساعدي: ٢٦.

(٢) ظ: لسان العرب، ابن منظور: ١/ ٧٠٧.

(٣) التنمية في الإسلام، مؤسسة البلاغ: ٩.

(٤) لسان العرب، ابن منظور:٤٣١.

(٥) ظ: العين، الفراهيدي:٨/ ٣٨٤.

ب. **التطور**: هو ((التغير التدريجي، الذي يحدث في بنية الكائنات الحية وسلوكها ويطلق أيضا على التغير التدريجي الذي يحدث في تركيب المجتمع أو العلاقات أو النظم أو القيم السائدة فيه))[١].

ج. **التقدم**: مأخوذ في اللغة من مادة (قَدَمَ) وهو نقيض وراء، التقدم في الخير، ويقال قدم فلاناً اذا تقدمه ﴿**وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ**﴾[٢]، يعني من يتقدم من الناس على صاحبه[٣].

د. **الارتفاع**: نما الشَّيْء يَنْمُو نُموّا، وأنماه الله: رَفَعَهُ، ونميته تنميته أي رفعته، تَنَمّى الشيءُ تَنَمِّياً ارتفع[٤]، وهو أمر متعلق بالإرادة الإنسانية الباحثة عن الأفضل الذي يوفر الاطمئنان والرفعة والسعي إلى المجد،[٥] وهي ما تستهدفه التنمية البشرية في برامجها الخاصة بتنمية الإنسان.

هـ **التزكية والتطهير والاصلاح**[٦]: فـ ((الزكاة تنمية أو الطهارة والطهارة منتمية إلى النمو ولا نمو في الإنسان اكمل وافضل من أن يفتح الله باب ما خلق لأجله من العبادة))[٧]، وكذلك يأتي معنى التنمية بمعنى الاصلاح، يقال نَمَيْتُ حديث

---

(١) المعجم الوسيط، ابراهيم مصطفى:٢/ ٤١.

(٢) سورة الحجر/ ٢٤.

(٣) ظ: المحيط في اللغة،ابن عباد:٢ / ٤٧٧. لسان العرب، ابن منظور:١٢ / ٤٦٥.

(٤) ظ: العين، الفراهيدي: ٨/ ٣٨٤، ٣٨٥. تهذيب اللغة، الازهري ٥/ ٢٢٦. لسان العرب، ابن منظور:١٥/ ٣٤١. بحار الأنوار، المجلسي: ١٥ / ٢٧٩.

(٥) ظ: ثنائية اللذة والالم في الشعر العربي قبل الإسلام،د.ليلى الخفاجي:٢٦٧-٢٦٨.

(٦) ظ: التزكية بين أهل السنة والصوفية،احمد فريد:٤٢. عون المعبود شرح سنن ابي داوود،محمد ابو الطيب:٤/ ٣٣.

(٧) ظ: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي القاري:٦٦:١٠.

فلان مخففاً إلى فلان أَنْمِيه نَمْياً إذا بَلَّغْته على وجه الإصلاح وطلب الخير[١] وهو من جميل معاني التنمية.

ثانيًا: التنمية حسب الاصطلاح الموضوع لها:

تعد التنمية احدى وسائل الارتقاء بالبيئة والإنسان فهي تعمل على الموارد الطبيعية وتعزيز قيمتها الاقتصادية وتحقيق التنمية الاجتماعية ورفع النمو الاقتصادي للمجتمع[٢]، ولا بد من الفهم لهذه التنمية التي اخذت تعريفات اصطلاحية مختلفة وهي:

أ- التنمية الاقتصادية:

هي تفعيل الطاقة المطلقة الكامنة في الوجود، بمعنى ان التنمية هي استخراج الطاقة الكامنة في الإنسان، أي إن كلا التعريفين يؤكدان وجود طاقات خلاقة لدى المجتمع والأفراد يمكن أن تنطلق إلى السطح اذا ما أعارها الإنسان الأهمية الكافية من خلال خطة متكاملة تأخذ بنظر الاعتبار كل الأبعاد المختلفة للمجتمع والإنسان[٣]، التي إن تم العمل بها ستحقق التغيير المطلوب في المجتمع.

ب- التنمية الاجتماعية:

مصطلح اجتماعي يطلق على الجماعة وهو مركب من أناس كثيرين تربطهم المواثيق والقوانين والآداب الحاكمة على الحياة البشرية من حيث الاجتماع[٤]،

(١) لسان العرب، ابن منظور: ١٥ / ٣٤١.

(٢) ظ: تحليل مؤشرات التنمية السياحية المستدامة في دول مختارة مع الإشارة إلى العراق،عبير السعدي: ٤١.

(٣) ظ: الفكر الاقتصادي في نهج البلاغة، د.محسن الموسوي:١٩٣-١٩٥.

(٤) - ظ: معجم علم الإجتماع، د. ابو مصلح ٢٥،٢٦،٣٥٩.

والتنمية الاجتماعية عرفت بأنَّها تطور خدمات الصحة والتعليم وما إلى ذلك من الخدمات بوصفها ضرورة لتحقيق التنمية، واستمرارها بل حتى التغيير في السلوكيات مطلوب لتحقيق أغراض التنمية. فهي تعني النمو مضافا اليه التغيير، والتطوير في آن واحد[١]، فالتنمية الاجتماعية ((عملية تعبئة وتنظيم جهود أفراد المجتمع وتوجيهها للعمل المشترك مع الهيئات الحكومية بأساليب حرة لحل مشكلات المجتمع ورفع مستوى أبنائه اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا وصحياً، بحسب الإمكانات المادية والموارد البشرية المتاحة، وبهذا تكون التنمية الاجتماعية نوعاً من العمل الاجتماعي لخدمة المجتمع، وللتنمية الاجتماعية علاقة بالتنمية الاقتصادية التي تهدف إلى رفاهية الإنسان ورفع مستوى المعيشة وتحقيق اقصى استثمار الطاقات والإمكانات البشرية في المجتمع))[٢]،بغية وصول التنمية الاجتماعية ذروتها في تحقيق التنمية البشرية في المجتمع.

ج- التنمية البشرية:

تبلور مفهوم التنمية مع تطور الفكر التنموي، وقد مر مفهوم التنمية البشرية بمرحلتين، الأولى تمثلت بالمدة بعد الحرب العالمية الثانية وحتى مطلع التسعينات، فقد كان مفهوم التنمية في هذه المرحلة مقتصرا على ما يحصل عليه الفرد مع سلع وخدمات، فكلما استطاع الحصول على المزيد من تلك السلع والخدمات، كلما ارتفع مستواه، ومن ثم زادت رفاهيته، كما ركزت على معالجة الفقر والبطالة وسد الحاجات الأساسية جاعلة الإنسان وسيلة لها. والمرحلة الثانية امتدت من عقد التسعينات وحتى وقتنا الحاضر عندما تبنى برنامج الأمم المتحدة ووكالاتها

(١) ظ: الثقافة والتنمية البشرية، أشواق الساعدي:٢٧.

(٢) اثر المعلومات في التنمية الاجتماعية والاقتصادية في العراق، سلمان وفيق:٣٦.

الدولية المتخصصة مفهوما جديدا للتنمية أعاد للإنسان مكانته الطبيعية في الجهد التنموي، واصبح الإنسان هو صانع التنمية وهدفها، وان قدرات أي امة تكمن بما تملكه من طاقات بشرية مؤهلة ومدربة وقادرة على التكيف والتعامل مع أي جديد بكفاءة وفاعلية؛ لأَنَّ البشر هم الثروة الحقيقية للأمة[١]، أما في تقرير الأمم المتحدة الخاص بالتنمية البشرية عام ١٩٩٣، فقد عرفت التنمية البشرية بكونها ((تنمية الناس من اجل الناس بواسطة الناس، وتنمية الناس معناها، الاستثمار في قدرات البشر، سواء في التعليم، أو الصحة، أو المهارات، حتى يمكنهم العمل على نحو منتج وخلاق، والتنمية من اجل الناس معناها كفالة توزيع ثمار النمو الاقتصادي الذي يحققونه توزيعا واسع النطاق، وعادلا، والتنمية بواسطة الناس أي إعطاء كل امرئ فرصة المشاركة فيها))[٢]، فالتنمية البشرية تدور حول تطوير القدرات البشرية بأمور يتمكن الإنسان من خلالها من سد حاجياته المادية والمعنوية والاجتماعية والعقلية، إذ توسع قدرة الإنسان على بلوغ اقصى ما يمكنه بلوغه من حيث هو سواء كان فردا أو مجتمعا، وقد عرفت التنمية أيضا بانها عبارة عن عملية تحريك عملي مخطط لمجموعة من العمليات الاجتماعية والاقتصادية من خلال عقيدة معينة لتحقيق التغير المستهدف بغية الانتقال من حالة غير مرغوب فيها إلى حالة مرغوب فيها[٣]، فهي ((عملية تطوير الكفاءات البشرية وتحسين أدائها بصورة شاملة، في مختلف الميادين الحياتية، مما يشارك كمدخل لحصول عمليات تغيير نوعي في المجتمع، مع المحافظة على أصوله، والمساهمة في الانسجام بين الأفراد، بما لا يتعارض وثوابت الإنسان النوعية، فكانت التنمية البشرية:

(١) ظ: مستقبل التنمية البشرية في ضوء مستجدات البيئة الاقتصادية في العراق، صباح الاسدي:١٢

(٢) تقرير التنمية البشرية، هيئة الامم المتحدة لعام ٢٠١٤ م: ٨٤.

(٣) ظ: التنمية البشرية في السنة، سماح الغندوري:٣

مقاربة تصحيحية متتالية على مدى الزمان ومختلف المكان، وصولا للأفضل))[١]، عن طريق رفع مستوى تمكين للناس من خلال زيادة قدرتهم الإنتاجية، بتأهيلهم وتدريبهم معرفيا ومهنيا. كما يضمن حقهم في الاستفادة من ثمار إنتاجهم بواسطة عدالة توزيع الثروات الوطنية الكيميائي والسلوكي والأخلاقي، وحفظ حق الأجيال الطالعة بالثروة الوطنية وبحياة افضل من بيئة صحية، والحق بالثقافة والارتقاء الفكري والحياتي[٢]، وعرفت أيضا بـ ((أنها العملية التي تستهدف الإنسان وتعمل جاهدة على وضع كل ما يفيده ويخدمه في متناول يده خاصة، أن يحيا حياة طويلة ويكتسب المعرفة، ويتمتع بمستوى معيشة كريمة، فضلا عن تطوير جميع طاقاته وإمكانياته لهذا الغرض؛ لأنه أساس الحركة التنموية في أي مجتمع))[٣]، فهي عبارة عن إجراءات منظمة مستمدة من رؤى فكرية مختارة للنهوض بواقع الإنسان من خلال تطويره والوصول به إلى طموحاته المشروعة في كل المجالات [٤]، بغية إحداث تغير حضاري اجتماعي للواقع التاريخي الذي يعيشه المجتمع، فيتناول أساليب الإنتاج الاقتصادي وإنماء السلوك الاجتماعي وتبديل التجمعات الفكرية والقيمية التي تعيق التحديث والتقديم ويلازم ذلك أساليب محددة ومسالك لتحقيق هذا التغيير المنشود،[٥]على المستويات كافة من خلال ((توفير وإتاحة الفرص المجتمعية والبيئية لنمو الطاقات الجسمانية والروحية والإبداعية

(١) الرسول الأعظم والتنمية البشرية التراحم انموذجا، محمد صادق الخرسان: ١٠.

(٢) ظ: عمل النفس والعولمة، د.مصطفى حجازي: ٦٥.

(٣) الثقافة والتنمية البشرية، اشواق الساعدي: ٣٢.

(٤) ظ: التنمية البشرية، تعريفهاموضوعهااهدافها، محمد عاجل: ٧

(٥) ظ: مفهوم الديمقراطية وتطبيقاتها في العراق، عقيلة عبد الحسن: ٦٣.

والاجتماعية في اقصى ما تستطيعه طاقات الفرد والجماعة))[١]، أي أَنهَّا زيادة الاختيارات أمام الناس اعتمادًا على مؤشرات إحصائية مثل نمو متوسط الدخل وإطالة العمر والتعليم[٢]، فالتنمية البشرية تهتم بالإنسان كثيرا من خلال((القضاء على الأمية وتطوير مناهج وأساليب التربية والتعليم والبحث العلمي والتقني بما يتلاءم مع احتياجات التنمية المستدامة، كذلك الاهتمام بصحة الإنسان ورعاية الطفولة والأمومة والشيخوخة وذوي الاحتياجات الخاصة من أجل المحافظة على التماسك الأسري، وتطوير مناهج التربية والتعليم في مختلف المراحل ودعم مراكز البحث العلمي والتقني ورفع مستوى الوعي والثقافة والتأهيل))[٣]، وهذا ما أوضحه تقرير الأمم المتحدة لعام ٢٠١٤، الذي ((يدعو إلى حصول الجميع على الخدمات الاجتماعية والأساسية، وخاصة الصحة والتعليم، الحماية الاجتماعية اقوى، بما في ذلك التأمين ضد البطالة والمعاشات التقاعدية، والتزام العمالة الكاملة، مع الاعتراف بأنَّ قيمة العمل تمتد إلى ابعد من الدخل الذي يحققه))[٤] الإنسان في عمله المادي وهو الأثر المعنوي الذي يتولد داخل الإنسان نتيجة للأعمال المتكاملة والجيدة النافعة للإنسان او المجتمع.

د. التنمية البشرية المستدامة:

بدأ مفهوم التنمية المستدامة يظهر في الأدبيات التنموية الدولية في أواسط الثمانينات تحت تأثير الاهتمامات الجديدة بالحفاظ على البيئة ونتيجة الاهتمامات التي أثارتها دراسة نادي روما الشهيرة وتقريرها في السبعينيات حول ضرورة

(١) ظ: الثقافة والتنمية البشرية، أشواق الساعدي: ٣١.

(٢) ظ: التحليل الاقتصادي لمؤشرات التنمية المستديمة في بلدان اسيوية مختارة، علي الربيعي:١١.

(٣) تربية الابداع وأساليب تطبيقها على وفق متطلبات التنمية المستدامة، ثائر سلمان: ١١٥.

(٤) تقرير الامم المتحدة لعام ٢٠١٤، الصادر بتاريخ ٢٤ يوليو ٢١٤: ٥.

الحفاظ على الموارد الطبيعية القابلة للنضوب، فقد أشارا إلى ان فكرة التنمية المستدامة ظهرت من خلال التنمية الاقتصادية والاجتماعية[١]، التي تعرف بأنها نمط للتنمية يقوم بالمحافظة على البيئة، لا بتدميرها، ويمكّن البشر بدلا من تهميشهم. وهي في الأساس نمط للتنمية يعطي الأولوية للفقراء، ويوسع الفرص والخيارات المتاحة لهم، ويوفر لهم إمكانية المشاركة في اتخاذ القرارات ذات العلاقة بمعيشتهم. وعليه فإن التنمية البشرية المستدامة هي منهج للتنمية يدافع عن الفقراء وعن الطبيعة وفرص العمل والمرأة والطفل، ويقوم منهج التنمية البشرية المستدامة بالتركيز على دور البشري بوصفه كائنات فاعلة[٢] في عملية البناء الأمثل للمجتمع.

هـ- التنمية الشاملة:

هي عملية شاملة تتناول جوانب الحياة المختلفة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، أو يقصد بها عملية تغيير وتطوير وإنماء لكل جوانب الحياة، وتفضي بالنتيجة إلى مولد حضاري جديد أو مرحلة من مراحل التطور الحضاري، وهكذا يتضح ان بالتنمية الشاملة أساسٌ ماديٌ وآخر فكريٌ، والتنمية ثمرة التفاعل المستمر والداعم بين المادة والفكر، الذي بدوره يفضي إلى التطور والإبداع الحضاري في مختلف المجالات أي أنَّها عملية شاملة، تمثل شكلا من أشكال التغيير الاجتماعي الهادف بشكل خاص والدائم بشكل عام،[٣] ولقد حمل الإسلام الأمة الإسلامية مسؤولية حضارية في حمل الدعوة وهداية البشر، وقيادتها إلى شاطئ

(١) ظ: تحليل مؤشرات التنمية السياحية المستدامة في دول مختارة مع الإشارة إلى العراق،عبير السعدي: ٤٤.

(٢) ظ: التنمية البشرية المستدامة، كآلية لمحاربة البطالة في الجزائر، الهاشمي بن واضح: ٣.

(٣) ظ: م.ن: ٢٧-٢٨.

الأمن والسلام، أي تقوم على ((تأهيل وتدريب العنصر البشري بكفاءة يسهم بالتطور الصناعي والزراعي والتجاري))[١]، فهو التطور البنياني او التغيير البنياني للمجتمع بأبعاده الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتنظيمية من اجل توفير الحياة الكريمة لجميع افراد المجتمع [٢]، ليعيش الجميع بسلامة واطمئنان.

ثانياً: التطور الاصطلاحي لمفهوم التنمية البشرية:

قبل التكلم عن التنمية لابد من الاشارة إلى أنَّه قبل أَن يصطلح على مفهوم التنمية قد سبقه مفهوم النمو الذي عرف بأنه ((هو عملية نضج تلقائي ومستمر، وزيادة في النوع والكم))[٣]، اما مصطلح التنمية فإنه مصطلح قديم جديد، ويعد من أكثر المصطلحات تداولاً، ويمكن أن يمتد ليشمل جوانب الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، وغيرها من المجالات الأخرى، فهي عملية داخلية ذاتية مستمرة، تشترط التفاف كل الجماهير، للسير بإرادة موحدة لتحقيقها ولإزالة كل العقبات الهيكلية التي تعترضها، وهو ما يتطلب مشاركة هذه الجماهير في وضع القرارات التنموية واتخاذها، والحصول على نواتجها المادية، بحيث يشعر الفرد بأنها تعبر عن ارادته، وأنها لصالحه[٤]، وان النمو والتنمية غالبا ما يتم استخدامهما كمرادفين في الجدل الاقتصادي، لهذا يرى الاقتصاديون أنَّ لفظ النمو مقابل التنمية، من دون الوقف على فيصل التفرقة بين المفهومين[٥]، اما تعريف هيئة

(١) تربية الابداع وأساليب تطبيقها على وفق متطلبات التنمية المستدامة، ثائر سلمان: ١٠٨.

(٢) ظ: الفكر الاقتصادي في نهج البلاغة، د. محسن الموسوي: ١٩٤.

(٣) منظمات المجتمع المدني ودورها في التنمية المجتمعية، سامان محي الدين: ١٨.

(٤) ظ: الثقافة والتنمية البشرية، اشواق الساعدي: ٢٦-٢٨.

(٥) ظ: فاعلية تنمية الموارد البشرية ضمن اطار التفاعل بين التنمية المستدامة والتنمية البيئية مع الاشارة إلى تجربة الاردن، سعدون المعموري: ٣.

الامم المتحدة للتنمية، الذي ظهر سنة ١٩٥٦ فيؤكد انها مجموعة من العمليات التي يمكن من خلالها توحيد جهود المواطنين والحكومة لتحسين الاحوال، الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المجتمعات المحلية ولمساعدتها على الاندماج في الحياة والمساهمة في تقدمها، وقد استعمل بشكل ملحوظ في بداية في الجانب الاقتصادي حتى عُدَّ عنواناً للكثير من السياسات والخطط والأعمال على مختلف الأصعدة، كما أصبح هذا المصطلح مثقلا بالكثير من المعاني والتعميمات، وإن كان يقتصر في غالب الاحيان على الجانب الاقتصادي، ويرتبط إلى حد بعيد بالعمل على زيادة الإنتاج الذي يؤدي بدوره إلى الاستهلال، لدرجة اصبحت معها حضارات الامم تقاس بمستوى دخل الفرد ومدى استهلاكه السنوي للموارد الغذائية والسكنية وتمتعه بالصحة ثم تطور ليشمل الابعاد الاجتماعية والاقتصادية وغيرها، أي أنَّ التنمية تعني النمو المدروس على أسس علمية في احد الميادين الرئيسة مثل الميدان الاقتصادي أو السياسي او الاجتماعي او الميادين الفرعية كالتنمية الصناعية او التنمية الزراعية[١]، وقد ((استعملت مصطلحات متعددة لتلك التنمية التي يجب ان تعد البشر محور اهتمامها مثل تنمية رأس المال البشري وتنمية العنصر البشري وتنمية الموارد البشرية[٢] وتباينت المضامين التي تعطيها مختلف الاطراف للتنمية المعنية إلى أَن انتهت إلى غلبة واضحة لصالح استعمال مصطلح التنمية البشرية))[٣]، ذلك أن جوهر التنمية البشرية هو جعل التنمية

(١) ظ:منظمات المجتمع المدني ودورها في التنمية المجتمعية، سامان محيي الدين:١٩.

(٢) تنمية الموارد البشرية: هي عملية تنمية الإنسان في المؤسسة التي يعمل بها، ليس من اجل الإنسان نفسه، بل من اجل المؤسسة التي يعمل بها / ظ: التنمية البشرية، تعريفهاموضوعهااهدافها، محمد عاجل: ١١.

(٣) التنمية البشرية في العراق للمدة من عام ٢٠٠٣ -٢٠٠٥، وليد الخفاجي: ١٣٨.

في خدمة الناس بدلا من وضع الناس في خدمة التنمية. ومن هذا المنظور فإن التنمية البشرية تعني ضمنا تخويل البشر سلطة انتقاء خياراتها بأنفسهم، سواء فيما يتصل بموارد الكسب، ام الأمن الشخصي أم الوضع الاجتماعي والسياسي، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا إذا كانت القيادة السياسية الوطنية مستعدة لتقديم بيئة تنتعش ضمنها الخيارات والمبادرات المحلية. وهذا يعني أيضا خلق بيئة تتيح تلك من خلال الاصلاحات الهيكلية، وإعادة تخصيص الأموال، وتخويل الصلاحية للجماعات المحرومة والمهمشة عن طريق حركات اجتماعية. وأخيرا فإن التنمية البشرية، ينبغي ان تشمل استعمال منظور شامل للتنمية يجعل العمل متكاملا ومندمجا بين الاختصاصات والقطاعات المختلفة[1]، وفيما يبدو ان المصطلحات التي كانت ترافق التنمية المتقاربة في جوهرها، المختلفة بمصطلحاتها، ما هي الا تطور شكلي لمفهوم التنمية البشرية على صعيد التسمية، لأنها جميعاً تصب بهدف واحد وهو خدمة الإنسان وإيصاله لمستوى الاكتفاء والقدرة على القيادة لأمور حياته في حفاظه على نفسه والمجتمع الذي يعيش فيه بكل جوانبه، ساعيا إلى تحقيق السعادة بشكل مستمر في الحياة، وقد ذكر في تقرير التنمية البشرية الصادر عن الامم المتحدة لعام ١٩٩٩، بأننا نشهد ظهور بنية جديدة لحكم عالمي، تشكل فيه الحكومات والشركاء في المجتمع المدني والقطاع الخاص، وغيره ائتلافات وظيفية عبر الحدود الجغرافية والخطوط السياسية التقليدية لتحريك السياسية العامة على نحو يلبي تطلعات مواطنين عالميين[2]. أي أنَّ التنمية البشرية هي من سيحدث هذا التطور المهم في المجتمع الإنساني.

(١) ظ: مستقبل التنمية البشرية في ضوء مستجدات البيئة الاقتصادية في العراق، صباح الاسدي: ١٤٥.

(٢) ظ: القانون الدولي لحقوق الإنسان في ظل العولمة،عماد خليل: ٦٦.

ثالثاً: أهداف التنمية البشرية ومكوناتها

أ. أهداف التنمية البشرية

الإنسان هو اساس التنمية، ومحور النهوض والتغيير، فلا تحدث تنمية حقيقية إلا من خلال إنسان فاعل[١]، يسعى ((لتحقيق ذاته وإنسانيته، أي يصبح الإنسان الهدف النهائي وغاية الغايات))[٢]، والتي ينميها عبر ((خطة جامعة ومتناسقة ومنسجمة بحيث يكون الهدف الأصلي هو كمال الإنسان وتأمين سعادة الجميع، وتتحدد فيها جميع الخطوط العريضة))[٣]، فـ ((ظهور مفهوم التنمية البشرية في تقرير التنمية البشرية الاول الصادر عام ١٩٩٠، وما تلاه من تقارير، ومحور الكلام يصب مصبًا واحدًا وهو كيفية الوصول بالإنسان إلى المكانة التي يستحقها على اعتبار أن الناس هم الثروة الحقيقية لأي امة))[٤]، أي اعتبار الإنسان هدفا لجهود الإنسان أي لتحقيق ذاته وإنسانيته، وبهذا ستكون اهداف التنمية البشرية هي تحقيق ذلك التغير الإيجابي لتأهيل تلك الأمة لمستوى طموحاتها الخاصة بها وتوسيع خياراتها المشروعة من خلال رفع كفاءتها وتهيئة المناخ الإيجابي المتمثل بالخطط والاليات أو السبل لتحقيق ذلك الرفاه الإيجابي، ان مفهوم التنمية البشرية وان تعددت معه بعض المفاهيم الأخرى او لازمته او شاركته في الاهداف فإن غايته الأساس هي السعي لتحقيق سعادة الإنسان ورفاهيته ماديا وروحيا، لذا عُدّ الإنسان الهدف الاول في التنمية البشرية[٥]. فمفهوم التنمية البشرية يهدف إلى

(١) ظ: العمل والفاعلية طريق التقدم، حسن الصفار: ١.

(٢) الثقافة والتنمية البشرية، اشواق الساعدي: ٧٠.

(٣) الإنسان والإيمان، مرتضى مطهري: ٥٧.

(٤) ظ: الثقافة والتنمية البشرية، اشواق الساعدي: ٧٠.

(٥) ظ: التنمية البشرية في القرآن الكريم، طلال الكمالي: ٦٣.

تحسين قدرات البشر في القراءة والتعليم ومستواه الصحي والتغذية، لذا ينظر إليه على وفق هذا المفهوم كهدف اضافة إلى كونه وسيلة للتنمية، فالتنمية البشرية تهدف لبناء الإنسان معنويا بوصفه هدفها، وعن هذا الهدف تتفرع الأهداف الأخرى، الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وفي الوقت نفسه فإن الإنسان هو الذي ينفذ عملية التنمية لأنه وسيلتها بوصفه يشكل عوامل حاسمة في تسيير عملية التنمية وتوجيهها في هذا الاتجاه او ذلك، لأنه ملئ بالمشاعر والأحاسيس والافكار والمعتقدات والمواقف والاجتهادات والتطلعات والرغبات، وقد اصبح مفهوم التنمية البشرية اكثر نضجا في مطلع عقد التسعينات عندما تبنتها الامم المتحدة ووكالاتها الدولية، ليشمل المفهوم الجوانب البشرية كافة، فبعد ان كان ينظر إلى الإنسان بأنه وسيلتها، اصبح ينظر إليه بأنه صانع التنمية وهدفها، من خلال تفعيل طاقاته وإطلاق العنان بخبراته وذخائر ثروته الإنسانية[١]، وصولا للإنسان المتكامل الذي((يستثمر الطبيعة ومحيطه الخارجي إلى اقصى حد ممكن))[٢]، وبناء على ذلك يكون الإنسان هو المحرك الأساسي لكل شيء في هذا الوجود، لأنه وببساطة مبني على أساسه، وبصفاته المختلفة يمتلك زمام الامور في كل طريق وكل اتجاه[٣]، أي ان مفهوم التنمية البشرية لا يعني زيادة رفاهية البشر فحسب، وإنما تنظر اليهم كأهداف لعملية التنمية ووسائلها[٤]، وهذا ما أكدته الأمم المتحدة (اذ جاء في مقدمة الاعلان العالمي للجمعية العمومية للأمم المتحدة رقم (١٢٨/٢١) في عام (١٩٨٦)، بأن التنمية هي عملية شاملة اقتصادية، اجتماعية،

(١) ظ: مستقبل التنمية البشرية في ضوء مستجدات البيئة الاقتصادية في العراق، صباح الاسدي: ١٩.

(٢) التكامل الاجتماعي للإنسان، مرتضى مطهري: ٦٥.

(٣) ظ: الثقافة والتنمية البشرية، اشواق الساعدي: ٧٠.

(٤) مستقبل التنمية البشرية في ضوء مستجدات البيئة الاقتصادية في العراق، صباح الاسدي: ١٩.

ثقافية، وسياسية، تهدف إلى تحقيق تقدم مستمر في حياة جميع السكان ورفاهيتهم،[١] فهدف التنمية البشرية هو الارتقاء بالإنسان وتطوره في جميع النشاطات البشرية المختلفة، والسعي لتحقيق سعادته الدنيوية والأخروية [٢] وهو ما تريده التنمية في عملية البناء والتطور.

ب. مكونات التنمية البشرية

١. الإنصاف

إن الإنصاف احد مكونات التنمية البشرية المستدامة والاكثر أهميةً؛ كونه يركز على عدالة وتكافؤ الفرص بين البشر، ويستخدم مصطلح الإنصاف هنا بديلاً عن مصطلحي المساواة والعدالة، وهو الأقرب إلى الخطاب الاجتماعي الذي يميز مفهوم الإنصاف عن مفهومي المساواة والعدالة بكونه يركز على تكافئ الفرص ويلتزم بمبدأ تحمل الفرد مسؤولية الإفادة منها[٣]، في الحصول على المعرفة والتعليم والخدمات الصحية والحصول على الاحتياجات الحالية والقادمة على السواء بمعنى ان يكون الإنصاف ضمن الجيل الواحد وبين الأجيال المتعاقبة[٤] وهو ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها لأن عدم توفرها يعني حدوث موانع التنمية من الاستغلال والفساد والجهل وغيرها من أسباب انتكاسات المجتمعات والشعوب.

٢. الإنتاجية

ان برنامج الأمم المتحدة الإنمائي لعام ١٩٩٢، أكد على تنمية الناس من اجل

---

(١) ظ: م - ن: ١٠.

(٢) ظ: التنمية البشرية في القرآن الكريم، طلال الكمالي:١٠١.

(٣) ظ: مستقبل التنمية البشرية في ضوء مستجدات البيئة الاقتصادية في العراق، صباح الاسدي: ٢٠.

(٤) الاصلاح الاقتصادي والتنمية البشرية، د. مصطفى الكفري: ٩٤.

الناس بوساطة الناس، إذ يرى هذا المفهوم تعزيز الارتباط الإيجابي بين النمو الاقتصادي والتنمية البشرية، وتعني التنمية على وفق هذا المفهوم، تنمية الناس هو الاستثمار في قدرات البشر عن طريق تطوير قدراتهم في التعليم والصحة لتمكنهم من عمل منتج وخلاق، اما التنمية من أجل الناس فهي تعني توزيع اكثر عدالة للدخل وثمار النمو الاقتصادي بشكل واسع النطاق ومستمر، وتعني التنمية بواسطة الناس تمكين الناس وتقوية قدراتهم من خلال زيادة فرصة مشاركة الناس في عملية التنمية[١] في المجتمع.

٣ـ الاستدامة

إن جوهر الاستدامة هو تأمين طاقات وقدرات ومصادر نمو لأجيال المستقبل ولا بد من تدخل الدولة لضمان تخصيص الموارد بكفاءة بين احتياجات الجيل الحاضر والأجيال اللاحقة. تتطلب الاستدامة التصدي لآليات الإفقار المترتبة على الحصار والتي تتعرض لها الفئات الضعيفة من السكان، فتنتشر بينهم أوضاع مضادة للتنمية البشرية مثل عمل الأطفال والتسرب من التعليم وتكثيف ساعات العمل للتعويض عن الأجور المتدنية. تتطلب الاستدامة التصدي لمخاطر التخلف العلمي والتكنولوجي وهذا يتوقف على الاستثمار في التطوير العلمي والتكنولوجي[٢] في كل ميادين الحياة من اجل تحقيق مجتمع متطور يكفل للإنسان العيش بحرية وسلامة في المجتمع.

٤-التمكين

تنظر التنمية إلى الناس بوصفهم فاعلين في عملية التغيير الاجتماعي، وليسوا مجرد

(١) ظ: مستقبل التنمية البشرية في ضوء مستجدات البيئة الاقتصادية في العراق، صباح الاسدي: ١٢،٢٢.

(٢) ظ: التنمية البشرية في العراق للمدة من عام ٢٠٠٣ -٢٠٠٥، وليد الخفاجي: ١٠٩.

مستفيدين يتلقون النتائج من دون مشاركة نشيطة، وهو يعني ان يتمكن الناس من ممارسة الخيارات التي صاغوها بإرادتهم الحرة[١]، ليكونوا في وضع يتيح لهم المشاركة الكاملة في القرارات والآليات التي توجه حياتهم ومصيرهم، وان هذه القرارات والآليات يجب ان لا تصاغ في غيابهم[٢] بل مع وجودهم ومشاركتهم الفاعلة في عملية البناء للإنسان والمجتمع.

(١) ظ: م.ن: ٣٥.

(٢) التنمية البشرية المستدامة، كآلية لمحاربة البطالة في الجزائر، الهاشمي بن واضح: ١١،١٢.

الفصل الأول

مقومات التنمية البشرية
للشخصية القيادية في نهج البلاغة

الفَصْلُ الأَوَّلُ

مقومات التنمية البشرية

للشخصية القيادية في نهج البلاغة

توطئة

لا يمكن لأي إنسان أن يحيط بالإمام علي (عليه السلام) ما خلا رسول الله محمّدًا (صلى الله عليه وآله) الذي تكفل به صغيراً منذُ أن شرَّفَ مكةَ بولادته المباركة وحتى رحيله إلى جوار ربه، من الذين ﴿**صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ** الله **عَلَيهِ**﴾[1]، ولا يمكن لأيٍ من البشر أن يكون قد ادعى أنه وصفه أو تدانى منه بوصف، غير الاستسلام والتسليم بأنه أعجوبة الكون وانموذج الأرض من الاوصياء، إذ كيف يتسنى لبضع سطور أن تختصر دنيا وسيعة من الفضائل، وعالما رحبا من الكمالات، بل إنَّ تعداد مناقب علي منقصة له، لأَنَّ علياً (عليه السلام)عالم مترامي الأطراف من المناقب، وينبوع كمالات لا ينضب[2]، إذ إنَّه تصدر كل رجل ما خلا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقد كان انموذجا علميا يقتدي به كل لبيب، كما قال ابن أبي الحديد: ((انه لم يدوّن لأحد من فصحاء الصحابة العشر ولا نصف العشر مما دون له))[3]،ويحاول هذا المبحث جاهداً أن يقف على بعض مقوماته الشخصية، بوصفه الرائد الاول للتنمية البشرية من الائمة الطاهرين (عليهم السلام)، ولكونه الشخصية المتكاملة التي تصلح أن تكون أنموذجاً للعالم أجمع.

---

(١) الاحزاب / ٢٣.

(٢) ظ: صفوة شروح نهج البلاغة، اركان التميمي: ٥.

(٣) شروح نهج البلاغة، حسين جمعة العاملي:١١.

تعرف الشخصية بأنها مجموعة الخصال والطباع المتنوعة الموجودة في كيان شخص باستمرار، والتي تميزه عن غيره وتنعكس على تفاعلاته مع البيئة من حوله بما فيها من اشخاص ومواقف، سواء في فهمه وادراكه، ام في مشاعره، وسلوكه وتصرفاته ومظهره الخارجي ويضاف إلى ذلك القيم والميول والرغبات والمواهب والافكار والتصورات، وتعد شخصية الفرد نتاج تفاعل لمجموعة المجالات الذاتية التي تكون موجهة نحو أهداف معينة، وتصدر عن الشخصية آثار معينة على الفرد والمحيط الذي يوجد فيه، ومن أجمل الشخصيات وأعظمها تلك التي يطلق عليها الشخصية القيادية، التي يتميز صاحبها بملكة نادرة لا يملكها إلا ما ندر[1] من الناس لدرجة أنه لا يزال الكثير من الناس يعتقدون أن القادة يولدون ولا يصنعون وذلك لصعوبة اكتساب الصفات القيادية العظيمة، وان الإمام عليًا (عليه السلام) كان الشخصية التي تنبض بالحياة في كل عصر، فكلما ذكر اسمه كان شمساً بعطائه في مختلف المجالات، ولهذا كان (عليه السلام) ((مرجعاً في عهد الخلفاء يلتجؤون اليه كلما ألمت بهم مشكلة لم يقدروا على حلها، وكان (عليه السلام) المعلم الأول بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) سكب العلم في نفوس وقلوب أصحابه حتى تخرج منهم العلماء والفقهاء والحكماء، كعبد الله بن عباس الذي فاق في علمه علوم الاخرين، ففاض ليتسع المدينة والكوفة والشام))[2]، ليتجاوز المكان ويتربع على عروش الزمان بذكره المبارك، الذي ما ترك علمًا إلا وله بصمة خالدة فيه تمتاز بالنضوج المستمر والحياة في مضمونها والجمالية بتشكيلها ومنها مفهوم الإدارة.

(١) ظ: الغوص في أعماق الشخصيات، ابراهيم الموسى: ٧.

(٢) علوم نهج البلاغة، د. محسن الموسوي: ٩.

المبحث الأول

الإدَارة عِندَ الإمَام عَلِي (عليه السلام) في نَهج البَلاغَة

الإدارة هي نظام حركي مستمر، يتكون من مجموعة من الأنشطة والمجهودات، يؤديها المديرون، تساهم مجتمعة في بلوغ الهدف[1]، باعتبار أن الإدارة ((الوسيلة الحركية التي تسبق أو تتزامن مع حركة التقدم الاجتماعي - الحضاري وتتوازن بتنسيق متناه بين الأعمال المختلفة للمجتمع))[2]، وتعرف ايضاً من حيث كونها جهازا أو أداة، أنها التجمع، أو التنظيم، أو الوحدة المحدثة في فترة ما لتحقيق سياسة، وأهداف خاصة. والإدارة من حيث كونها مهنة أو اختصاصا يمارسه الإداريون كما هي مهنة الطب والهندسة، والتجارة التي يمارسها الأطباء، والمهندسون، والتجار وتعني: المادية، المالية، الموضوعة بتصرف وحدة ما لتحقيق أهدافها عليأفضل وجه، من حيث الوقت، والمال، والجهد، والمواصفات[3] فالإدارة في مفاهيم التنمية البشرية تدور حول تطوير القدرات البشرية بأمور يتمكن الإنسان من خلالها من سد حاجياته المادية والمعنوية والاجتماعية والعقلية، إذ توسع قدرة الإنسان على بلوغ اقصى ما يمكنه بلوغه من حيث هو سواء كان فردا أو مجتمعا، فهي عبارة عن عملية تحريك عملي مخطط لمجموعة من العمليات الاجتماعية والاقتصادية من خلال عقيدة معينة لتحقيق التغير المستهدف بغية الانتقال من حالة غير مرغوب فيها إلى حالة مرغوب فيها[4]، هذا ما تميزت به سيرة الإمام علي (عليه السلام) في

---

(١) ظ: كيف تستثمر اوقاتك، خليل موسى: ١١٩.

(٢) الإدارة والاسلوب القيادي في نهج البلاغة، هاشم المحنك: ١٠.

(٣) كيف تستثمر اوقاتك،خليل موسى: ١١٩.

(٤) ظ: التنميه البشرية في السنة، سماح الغندوري:٣

الجانب الإداري.

إذ إن الذهنية الذائبة في وجود الله، التي ارتوت من فيض علوم القدس المحمدي، لها في كل محط اثر، امتاز بالعمق المعنوي والمادي، وللإدارة في مفهومها عند الإمام علي (عليه السلام) لها معنى وأثر، فأما المعنى ما صرح به أمير المقال الإمام علي (عليه السلام): ((**اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ ولَا الْتِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ ولَكِنْ لِنَرِدَ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ ونُظْهِرَ الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ وتُقَامَ الْمُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ**))[1]، ويقصد الإمام (عليه السلام) من ذلك ((أن الحروب التي كانت منه لم تكن طلبا للملك ولا منافسة على الدنيا ولكن لتقام حدود الله على وجهها ويجري أمر الشريعة والرعية على ما كان يجري عليه أيام النبوة))[2] انه (عليه السلام) يقرر بقوله هذا إنه لم يكن في اعماله محبًا لدنيا أو منصبٍ أو أموالٍ، فهي عنده كعفطة عنز أو ورقة تقضمها جرادة، إلا أن يقيم حقاً او يدفع باطلاً،[3] ولا يمكن أن يحقق ذلك دون أن تكون للدولة في مفهومه (عليه السلام) نظرية ((إدارية ترشد الحكومة إلى تأدية وظيفتها بشكل طبيعي ودقيق، وهذ يتضمن انشاء ضوابط عقلية للوظيفة الادارية، ولغة ادارية يفهمها المديرون وقابلية ذاتية على ترجمة الشريعة إلى قوانين ملزمة، وسلوك إداري اخلاقي من قبل المديرون انفسهم))[4]، وهذا يحتاج أن تكون شخصية المنظر شخصية إنسانية ذات صفات خاصة قد رسمت عليها أحكام السماء سربالاً من المعرفة الشاملة والكاملة لتحقيق تلك الإدارة التي يرومها

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٨ / ٢٦٣.

(٢) م - ن: ٨ / ٢٦٤.

(٣) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٢/ ١٧٧.

(٤) الامام علي بن ابي طالب السيرة الذاتية والاجتماعية، زهير الاعرجي: ٧٤٧، ٧٤٨.

الإمام علي (عليه السلام)وهذه الصفات تتجسد فيه (عليه السلام) لإحاطته بما لم يحط به غيره من الموجودين آنذاك، فهو القائل ((انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لَاضْطَرَبْتُمْ اضْطِرَابَ الْأَرْشِيَةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ))[١]، ان قصد الإمام من هذا الجميل من المقال ((إن ذلك العلم لا يباح به ولو باح به لاضطرب سامعوه كاضطراب الأرشية وهي الحبال في البئر البعيدة القعر وهذا إشارة إلى الوصية التي خص بها (عليه السلام) إنه قد كان من جملتها الأمر بترك النزاع في مبدأ الاختلاف عليه))[٢] أي هي من علوم الإمامة ومزاياها، ولا يشاركه فيها أحد من غير الأئمة، ولا يستطيع أحد أن يسمع أو يطلع على شيء من تلك الأسرار ولا يتمكن أن يتحملها والتي لو باح او أظهر شيئا من تلك الأسرار لاضطربت قلوب الناس كما تضطرب الحبال في الآبار العميقة، وذلك لضعف القلوب وعدم استعداد النفوس لأمثال هذه الامور،[٣] وهذا يترك اثراً واضحاً لذوي البصائر من أن الإمام عليًا (عليه السلام)اداري من طراز رباني، فـ ((الوظيفة الاساسية للادارة هو ترجمة السياسة النظرية للدولة من حيث جمع المال مثلاً أو إعادة توزيعه على الفقراء من ذوي الحاجة والمسكنة، وتنظيم الجيش من اجل مقاتلة العدو، وتنظيم التجارة من اجل تحقيق الأمن الغذائي))[٤] وهي قوانين عملية تخدم الإنسان، وتجمع بشكل واضح بين القيادة والادارة التي تجسدت في شخصية الإمام (عليه السلام)، وسيتكلم البحث عن الإدارة المدنية والإدارة العسكرية للإمام علي (عليه السلام)، لا على سبيل الحصر والإحاطة، لأن إدارة الإمام أو أي

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١ / ٢١٣.

(٢) م - ن: ١ / ٢١٥.

(٣) ظ: شرح نهج البلاغة، الحائري: ١/ ٢١٥.

(٤) الامام علي بن ابي طالب السيرة الذاتية والاجتماعية، زهير الاعرجي: ٧٤٨.

جزئية من جزئيات وجوده لا يمكن لأحد أن يحصي أبعادها عنده (عليه السلام)، بل على سبيل البحث والدراسة.

أولاً: الإدارة المدنية في نهج البلاغة

تعرف العملية الإدارية عند الإمام علي (عليه السلام)بأنها عبارة عن ((خطوات متواصلة للوصول إلى هدف محدد، عبر خطوات:

١. إدراك الأحكام الشرعية إدراكاً نابعاً من مصادرها الصحيحة.

٢. ترجمة تلك الأحكام إلى قوانين عملية، وأوامر متعلقة بالالتزامات والواجبات.

٣. تعيين من يقوم بتوصيل تلك القوانين الشرعية إلى جميع المكلفين))[١].

اعتمد الإمام علي من ما تقدم على الشرع في عمليته الإدارية، لأنه ((يطبق الإسلام تطبيقاً دقيقاً في الصغير والكبير، لأن الصغير كبير اذا كان حكم الله، والكبير كبير لأنه حكم الله، فالمقياس حكم الله، وبحسابه يكون كل شيء منتسباً إلى الله تعالى كبيراً))[٢]، كل التشريعات وضعت لخدمة البشر، بل هي إحدى ضروريات الحياة البشرية في وجود نظام اجتماعي وحكومي يضمن حقوق افراد المجتمع،فهي القادرة على تفادي الفوضى وتطبيق تعاليم الدين في المجتمع على نحو معقول ومتناسب، وهذا يتطلب وجود إدارة مخططة ومنظمة لديها الامكانات لتنفيذ وتوظيف الطاقات من أجل اشاعة القيم بين الناس وإزالة الموانع التي تقف دون

(١) م.ن: ٧٥٣.

(٢) الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام)، حسين نجيب محمد: ٣١٠.

التطور للبشرية[١]، وفي نهج البلاغة كثير من ضوابط الإدارة الناجحة ولاسيما ما صرحت به كلمات الإمام علي التي تعد من اولوياته (عليه السلام) التي عمل جاهدا من أجل ترسيخها في النفوس والحث على تمثلها كإحدى القيم الأصيلة التي يلزم التثقيف على ضرورتها وأهميتها[٢] إذ إنها تمثل((الأصل الذي يستطيع أن يصون توازن المجتمع ويرضيه ويهب له السلام))[٣]، عن طريق الالتزام بضوابط ادارة المجتمع وخاصة التي تدعو للوحدة التي تجمع الناس على الحب والتعاون ونبذ الخلافات من اجل السير في سبيل التقدم والعطاء المستمر[٤] وهذا ما حرص البحث على بيانه في نهج البلاغة، وخاصة في مسائل القوة والعلم وسعة الصدر والحكمة والصبر والعدالة والتي تسهم في مواجهة المشاكل وادارة الازمات، فالإدارة الناجحة في تدبير شؤون النظام الاجتماعي للأمة الإسلامية من وجهة نظر الإسلام وطبقاً لسير الائمة وسياستهم النابعة بطبيعتها الإسلامية ضرورة من ضروريات الحياة وهي من الأمور الحيوية التي تبعث الحياة السعيدة في المجتمع[٥] الإنساني والتي سعى الإمام (عليه السلام)لتحقيقها من اجل الارتفاع بالإنسانية إلى افضل مقعد لها وهو رضا الله تعالى عنها بما يلتزمون به من اوامر كلها لصالح الإنسان.

المقومات الإدارية المثالية في نهج البلاغة

لابد للقائم بإدارة المسؤوليات في الحكومة من أن يكون على قدر كاف من

(١) ظ: منهاج الحياة، علي الاشكوري: ٤٨٢.

(٢) ظ: اسس العدالة والاعتدال عند امير المؤمنين، محمد صادق الخرسان: ١٨.

(٣) اخلاق الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام)، خضر القزويني:١١٦.

(٤) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٢/ ٣٥٥.

(٥) ظ: دروس سياسية في نهج البلاغة، محمد رهبر: ١٥.

التمكن مما يتصدى له من واجبات للإدارة المدنية والسياسية للعباد فيما يخدم مصالحهم العامة والخاصة؛ إذ يحتاج لمن يتصدى لها كفاءة ذهنية ونفسية عالية حيث يتوقف على شخصيته نجاح السياسة او فشلها؛ بوصفه العقل المدبر والمحرك الأساسي لهذا النوع الحيوي[١] ومن جملتها:

أ. القوة والعلم:

إن القوة العلمية والذهنية هي من افضل المقومات عند الإمام علي (عليه السلام)، وهي صفة تحتل مركز صدارة في المقومات العامة للإدارة ويشترط أن يكون عالما لأنه قائد المسلمين الأعلى؛ فيجب أن يهديهم ولو كان جاهلا لأضلهم[٢]، والعلم عند الإمام وسيلة للعمل، حتى العلم بالله تعالى فإن القصد منه العمل بأمره ونهيه وعليه يرتكز الثواب والعقاب، والعمل يحتاج قوة وحزمًا داخل النفس من أجل غلب الأهواء والنفس في العمل بالعلم [٣]، فالعلم والقوة هما من اقوم سمات القائد والحاكم والخليفة، وهو قوله (عليه السلام) ((إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ وأَعْلَمُهُمْ))[٤]، ذكر ابن ابي الحديد أن الإمام (عليه السلام) يقصد ((أقواهم أحسنهم سياسة وأعلمهم بأمر الله أكثرهم علما وإجراء للتدبير بمقتضى العلم))[٥]، الذي يجعل من الإنسان أداة لتنفيذ ما يعلم في اهم شيء في الحياة الاجتماعية وهو إدارة الأمة، فيجب على المتصدي ((أن يكون عالما بما يخص أمور الدين من العبادات والسياسة والأحكام مؤديا للفرائض كلها لا

(١) ظ: من وحي نهج البلاغة، العتبة العلوية المقدسة:٦٦.

(٢) دراسات في نهج البلاغة، محمد مهدي شمس الدين: ١٧١.

(٣) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ١/ ٩.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٩ / ٣٢٨.

(٥) م.ن: ٩ / ٣٢٩.

يخل بشيء منها))[١]، إذ إن من سمات القائد القوة والشجاعة والعلم معاً.

ب. سعة الصدر:

من يتصدى لمنصب إداري في المجتمع يجب عليه ان يقتدي برسول الله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام)، بصفاتهم التي كانت نوراً لكل الاجيال، ومنها سمة التحلي سعة الصدر واستيعاب الناس، التي هي من اهم صفات التحبيب بين الراعي للأمة والرعية [٢]، لابد من أن يكون الرئيس متسما بسعة صدره للناس الذين يحكمهم، قال الإمام علي (عليه السلام) ((آلَةُ الرِّيَاسَةِ سَعَةُ الصَّدْرِ))[٣]، ويقول ابن أبي الحديد إن القيادة للامة لا تتم إلا بأن يكون المتصدي لإدارتها صاحب مواصفات من اهمها سعة الصدر[٤]، وهي دعوة منه (عليه السلام) للتحلي بالخلق الحسن والقدرة على استيعاب الآخرين والتخلي عن سوء الخلق والفضاضة؛ لما في الأمرين من دلالات على شخصية المتصدر للأمر، المتصدي للشؤون العامة للناس، حيث يتوقع منه البشاشة والسماحة والعفو وعدم المجابهة والترفع عن المقابلة بالمثل لو أسيء إليه والرد للأحسن واحترام خصوصية الأخر مهما كان[٥]. فـ((كلما برز الإنسان واتسع نفوذه - كثرت حوائج الناس اليه))[٦] ولهذا اشترط الإمام (عليه السلام) فيه أن يكون لين العريكة رحب الصدر [٧]،

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم: ٤ / ١٢٩.

(٢) ظ: منهاج الحياة، علي الاشكوري: ٥٠٥.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٨/ ٤٠٧.

(٤) ظ: م - ن: ١٨: ٤٠٧.

(٥) ظ: اخلاق الإمام علي (عليه السلام)، محمد صادق الخرسان: ٢/ ٨، ٩.

(٦) في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٤ / ٢٠٤.

(٧) ظ: دراسات في نهج البلاغة، محمد مهدي شمس الدين:١٢٧.

وقد ذكر الإمام علي(عليه السلام) سعة الصدر لينمي في النفوس والعقول، ان التصدي لأمور المسلمين تصلح فقط لمن يستطيع أن يتعايش مع الناس، ويسمع منهم ويسمعوا منه، منمياً بسعة الصدر روح التواصل وقبول الافكار الايجابية الأخرى، وهذه الصفات من جميل ما تسعى لتحقيقه التنمية البشرية.

ج. الحكمة:

ومعناها التعلم والإرشاد والنصيحة ويراد بها التنبيه لمكافحة الجهل عن فكر وتعقل،[1] قال الإمام علي (عليه السلام) «**الْحِكْمَةِ الَّتِي هِيَ حَيَاةٌ لِلْقَلْبِ الْمَيِّتِ وبَصَرٌ لِلْعَيْنِ الْعَمْيَاءِ وسَمْعٌ لِلأُذُنِ الصَّمَّاءِ وَرِيٌّ لِلظَّمْآنِ وفِيهَا الْغِنَى كُلُّهُ والسَّلَامَةُ**»[2]، أي ان الامام انما ذلك بمنزلة الحكمة، أي عدم الشبع من الحياة وعدم ملالتهم منها بالنسبة لأهل الدنيا، وهكذا الحكمة فإن العلماء والصالحين لا يشبعون منها، فهي حياة للقلب وضياء للعين وسمع للأذن، وري للظماء وفيها الغنى والسلامة، وهي كتاب الله الذي يبصر البصير، وينطق المحق، أي انها نور بسبب المعرفة، والعلوم الفائضة بعدها والثبات عند التزلزل والفتن الحادثة عند الشروع بعمل الخير، لأن صفتها الثبات عند اوائل الأمور والوقوف عند عواقبها[3] وصولًا للخاتمة التي تمتاز بتحقيق الأهداف والغايات السامية.

د. الصبر على لزوم الحق:

يريد الإمام علي (عليه السلام) أن لزوم الصبر لهو من السمات الأساسية لكل من يمارس الإدارة، وفيها صعوبة كبرى والتي اكد عليها الإمام علي (عليه السلام)

(١) ظ: في رحاب نهج البلاغة، مرتضى مطهري: ١٢٧.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد:٨/ ٢٨٧.

(٣) ظ: نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، المحمودي: ٧/ ٢٤٥.

لجليل خطرها، وهي الصبر على الحق ولو اوجب تفرق الناس عن صاحب الحق قال (عليه السلام) ((لَا تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَى لِقِلَّةِ أَهْلِهِ))[١]، فنهى (عليه السلام) عن الاستيحاش في طريق الهدى لأجل قلة أهله فإن المهتدي ينبغي أن يأنس بالهداية فلا وحشة مع الحق[٢]، وهنا اشار الإمام (عليه السلام)بان الهدى اصبح طريقاً يتجافاها اكثر الناس؛ لذا تبدو موحشة غير سهلة السلوك،[٣] وهذا من افضل الصفات التي يجب أن تتوفر في المتصدي لإدارة المجتمع، لأن الصبر يعني الإرادة الكبيرة والهدف الابعد والروح الرياضية التي تستثمر هذه النعمة في احقاق الحق والتأني في الأحكام والصبر في لزوم الحق وإن تركه الناس.

هـ. العدالة:

من العدل وهو القصد في امور ضد الجور وهي ملكة راسخة باعثة على ملازمة التقوى[٤]، وهي من اهم الصفات البارزة في اصول ادارة الدولة، التي يجب ترسيخها في المجتمع في نظر الإمام علي (عليه السلام)، والتي اقترنت باسمه[٥]، باعتبار أن التنمية والبناء للمجتمع عبارة عن توسيع لحريات البشر، فيعيشوا حياة مديدة ملؤها الصحة والابداع ويسعوا إلى تحقيق الأهداف التي ينشدونها، ويشاركوا في رسم مسارات التنمية في اطار العدالة والانصاف[٦]، والتي

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٩ / ٢٦١.

(٢) م - ن: ١٩ / ٢٦١.

(٣) ظ: الأثر القرآني في نهج البلاغة، د. عباس الفحّام: ٦٢، ٦٣.

(٤) ظ: اخلاق الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام)، خضر القزويني: ١١١. اسس العدالة والاعتدال عند امير المؤمنين، محمد صادق الخرسان: ١٠.

(٥) ظ: الإمام علي امير المؤمنين الشخصية الإسلامية الخالدة، عبد السلام الجعفري: ٢٣٧.

(٦) ظ: التنمية البشرية في القرآن الكريم- طلال فائق الكمالي:٥٦.

تعد من اهم مكونات التنمية البشرية، التي أشار إليها الإمام علي (عليه السلام) بقوله ((قَدْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ اَلْعَدْلَ فَكَانَ أَوَّلُ عَدْلِهِ نَفْيُ اَلْهَوَى عَنْ نَفْسِهِ يَصِفُ اَلْحَقَّ ويَعْمَلُ بِهِ لاَ يَدَعُ لِلْخَيْرِ غَايَةً إِلاَّ أَمَّهَا ولاَ مَظِنَّةً إِلاَّ قَصَدَهَا قَدْ أَمْكَنَ اَلْكِتَابَ مِنْ زِمَامِهِ فَهُوَ قَائِدُهُ))[1].

إن من يلتزم امور الناس، لابد أن تتوفر فيه صفات، تدل عليه ومنها ان يلتزم بالعدل ولو على نفسه، واول العدل طاعة الله واتباع العقل والعلم ومجانبة الهوى والنفس الأمارة بالسوء، ويريد الإمام (عليه السلام) ان المؤمن الصادق هو الذي يعيش دينه وايمانه، ويعبر عن عقيدته بالعمل المجسد المحسوس، ولا ينفصم عن نفسه وايمانه بحال، ولا يقيس أي عمل من أعماله، الا بما امره الله تعالى، أي انه عادل حتى في حسابه لنفسه لأنه يخاف الله فهو الذي يستحق عقلاً ان يُتبع [2]، ولاشك ولا ريب ان بسط العدل يتطلب عادلًا ومنصفًا، خاصة من كان يتولى امور دولة تقوم على مبادئ من ضرورياتها العدل والإنصاف، وهو من مميزات الدين الإسلامي الذي يهتم بالعدالة في كل مفاصل الحياة حتى في ادق الشؤون الاجتماعية[3]، ولهذا يحث الإمام (عليه السلام) كل من يتولى امور الأمة بالعدل بل كل إنسان يجب ان يتصف بالعدل، لان الناس تعيش في مجتمع، ويستوجب ان يكون العدل سجية ولو في العمل او المنزل، وهذا ما يشير اليه قوله (عليه السلام) بحثه عليه:

((اسْتَعْمِلِ الْعَدْلَ وَاحْذَرِ الْعَسْفَ وَالْحَيْفَ فَإِنَّ الْعَسْفَ يَعُودُ بِالْجَلَاءِ وَالْحَيْفَ

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد:٩ / ٣٦٤.

(٢) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ١/ ٤٣٦.

(٣) ظ: منهاج الحياة، علي الاشكوري: ٤٩٥.

يَدْعُو إِلَى السَّيْفِ))[١] العدل واشاعته امر مهم في عقيدة الإمام علي (عليه السلام) وهذا واضح فقد ((عطف الحيف على العسف من باب عطف التفسير، والمراد بالجلاء هجرة أهل البلاد عنها فراراً من البغي والجور، والمعنى لا تظلم أحدا من الرعية، لأن الظلم يدعو المواطنين إلى الثورة أو ترك البلاد، وبالثورة تسفك الدماء، وبالهجرة تخرب البلاد))[٢]. ان الامام هنا يوجه دعوة إلى ((اعتدال الحاكم، وعدم جنوحه في احكامه إلى اهوائه، أو أن يتشدد بلا حق؛ حيث يؤدي ذلك بالرعية إلى الفرار، او انقباض الناس عنه، فيتركونه لوحده، وهو ما لا يعد نجاحاً للحاكم ليحمد عليه، بل يكشف عن ضيق افق الذي ينطلق من خلاله في سياسته العامة، فلابد من التصحيح، وأن يكون منصفاً وعادلاً))[٣] فقد كانت العدالة من اولويات امير المؤمنين(عليه السلام) التي عمل جاهدا من اجل ترسيخها في النفوس والحث على تمثلها كإحدى القيم الأصيلة التي يلزم التثقيف على ضرورتها واهميتها[٤]، فالعدالة رعاية لحقوق الآخرين وعدم التعدي على الحقوق وعدم التجاوز على حقوق الاخرين[٥]، ومعناها أن يعيش جميع ابناء المجتمع في سعادة ورفاه، تزول بينهم الفوارق والاختلافات وتحقيق العدالة بما تعنيه من التوازن والمحافظة على الحقوق العامة من الهدر والضياع.

و. الأخلاق القويمة للإدارة:

ان احد الامور المهمة التي ينبغي ملاحظتها في كتاب نهج البلاغة الشريف،

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٢٠/ ٢٤٥.

(٢) في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٤/ ٤٨٤.

(٣) اخلاق الإمام علي (عليه السلام)، محمد صادق الخرسان: ٢/ ٢٩.

(٤) اسس العدالة والاعتدال عند امير المؤمنين، محمد صادق الخرسان: ١٨.

(٥) في رحاب نهج البلاغة، مرتضى مطهري: ٨١.

المفاهيم الاخلاقية التي ضمّنها امير المؤمنين (عليه السلام) في العديد من كتبه وسائله التي تخص شؤون السياسة ولوازمها[١]،ومن بين تلك الاخلاق:

١. التقوى:

لقد أكدت الشريعة الإسلامية على تحلي الإنسان المؤمن بالتقوى، والتي عرفت على انها ((قوة روحية تتولد للإنسان من التمرين العملي الذي يحصل من الحذر المعقول والمنطقي من الذنوب))[٢]، وقيل في معنى التقوى انها الاحتراز عن المعاصي والحذر عما نهى الله تعالى عنه، وقيل انها التخلي عن المذموم والإقبال إلى كل محمود وقيل انها حالة ضبط النفس والتسلط على الشهوات [٣]، ولقد اخذ موضوع التقوى من نهج البلاغة الحيز الكبير، وقد عمل (عليه السلام) جاهدا من اجل ترسيخها في النفوس والحث على ضرورتها واهميتها في الجانب الإداري، وقد قال في التقوى وترويض النفس عليها:

«إِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الْأَكْبَرِ وَتَثْبُتَ عَلَى جَوَانِبِ الْمَزْلَقِ وَلَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفَّى هَذَا الْعَسَلِ ولُبَابِ هَذَا الْقَمْحِ ونَسَائِجِ هَذَا الْقَزِّ وَلَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ ويَقُودَنِي جَشَعِي إِلَى تَخَيُّرِ الْأَطْعِمَةِ وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ الْيَمَامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ أَوْ أَبِيتَ مِبْطَاناً وحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَى وأَكْبَادٌ حَرَّى»[٤]، وكان الإمام (عليه السلام) يقول هنا ((تقللي واقتصاري من المطعم والملبس على الجشب والخشن رياضة لنفسي لأن ذلك إنما أعمله خوفا من الله أن أنغمس في الدنيا، فالرياضة بذلك هي

(١) من وحي نهج البلاغة، العتبة العلوية المقدسة: ٥٧.

(٢) في رحاب نهج البلاغة،مرتضى مطهري: ١٥٢ - ١٥٥.

(٣) ظ: من وحي نهج البلاغة، العتبة العلوية: ١٥.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٦ / ٢٠٨.

رياضة في الحقيقة بالتقوى لا بنفس التقلل والتقشف لتأتي نفسي آمنة يوم الفزع الأكبر))[١]، ان لفظ التقوى ومشتقاتها هي من اكثر المفردات تداولًا على لسان الإمام علي (عليه السلام)؛ لأنه يحكي اسلوباً قرآنياً في الأسلوب والمعنى الذي يقصده، فمثلاً حين يقول القرآن الكريم ((وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا الله لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ))[٢]، ان معنى التقوى هنا ترك المعصية، فيقول الإمام علي (عليه السلام)في ترك المعصية «**اتَّقُوا مَعَاصِيَ الله فِي الْخَلَوَاتِ فَإِنَّ الشَّاهِدَ هُوَ الْحَاكِمُ**»[٣]، فالتقوى تعني الالتزام بأوامر الله تعالى ونواهيه [٤]، باعتبارها الحصن الذي يلتجأ اليه الإنسان ليحفظه مما يخافه اخروياً وينفعه دنيوياً، بقطع المحرمات والالتزام بالواجبات[٥]، إذا كانت التنمية هي العمل بفاعلية كبيرة فإن الإنسان بحاجة إلى محفز يستخرج به طاقته المخبأة ليدفع بها إلى الوجود، وليس هناك محفز اقوى من العقيدة الناصعة التي جعلت من الإنسان خليفة في هذا الوجود وحملته اكبر المسؤوليات، والتقوى هي الطريق إلى الالتزام بهذه المسؤولية والحفاظ عليها، وهي في الوقت نفسه سبب كبير من أسباب سعادة الإنسان في الحياة [٦]، باعتبار ان الدنيا هي طريق الاخرة.

٢. التأسي بالقدوة:

يعد الإمام علي (عليه السلام) الشخصية الأمثل بعد النبي المصطفى (صلى

(١) م.ن: ١٦ / ٢٠٩.

(٢) البقرة / ١٨٩.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد:١٩/ ٢٣٦.

(٤) ظ: الأثر القرآني في نهج البلاغة، د. عباس الفحّام: ٤٢٠، ٤٢١.

(٥) ظ: اخلاق الإمام علي (عليه السلام)، محمد صادق الخرسان: ٢/ ١٠٤.

(٦) ظ: الفكر الاقتصادي في نهج البلاغة، د. محسن باقر الموسوي: ٢١٢.

الله عليه وآله)، فهو خير إنسان يمكن أن يقتفي الناس اثره في كل تفصيلات حياته، وقد وصف نفسه خير وصف بقوله (عليه السلام)) ((**إِنَّمَا مَثَلِي بَيْنَكُمْ كَمَثَلِ السِّرَاجِ فِي الظُّلْمَةِ يَسْتَضِيءُ بِهِ مَنْ وَلَجَهَا فَاسْمَعُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَعُوا وَأَحْضِرُوا آذَانَ قُلُوبِكُمْ تَفْهَمُوا**))[١] أي انه (عليه السلام)بين الأمة ((كالسراج يستضيء بها من ولجها أي دخل في ضوئها. وآذان قلوبكم كلمة مستعارة جعل للقلب آذانا))[٢]، وان مراد الإمام (عليه السلام) من قوله المبارك بأن الظلمة هي الفساد والضلال، وبالسراج هو الهدى والصلاح، والإمام علم الهدى والحق، ومنار الخير والعدل، من استرشد به فهو المهتدي، ومن ضل عن سبيله فهو من الخاسرين[٣]، وتقدير الكلام أن الطالبين للهداية منه والمتبعين له يستضيئون بنور علومه وهدايته إلى الطريق الأرشد، كما ان السالكين يهتدون به في الظلمة، وهو أجمل تمثيل يصور (عليه السلام) انغمار القوم في الظلمة لولا وجوده فيهم، كالسراج الماحي للظلمة[٤]، إن من يتصدى لقيادة الأمة وادارة شؤونها بدون مقدرة عليها، فمثله كمثل من تلبس بنسج العنكبوت بقوله (عليه السلام) ((**فَهُوَ مِنْ لَبْسِ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ لَا يَدْرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ فَإِنْ أَصَابَ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ وإِنْ أَخْطَأَ رَجَا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ**))[٥]، فقد شبه (سلام الله عليه)، المتصدين للأمور العامة بدون مؤهلات، بحال الجاهل المتصدي مع الشبهات، مثل الداخل بنسيج العنكبوت او بانيه، لان في الحالتين

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٣ / ٩٥.

(٢) م.ن: ١٣ / ٩٨.

(٣) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٣ / ٨٢

(٤) ظ: الأثر القرآني في نهج البلاغة، د. عباس الفحّام: ١٩٤، ١٩٥

(٥) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١ / ٢٨٣.

النتيجة سلبية، وتنتج التدهور والتخبط لمن يسير بدون دليل، اما الراسخون في علم الكتاب والسنة هم المرجع في دفع الشبهات عن دين الله وشريعته، وحل المشكلات حين تلتبس الآراء، وتختلف الأهواء، لأنهم على يقين من معرفة الحق، أما الجاهل الذي يتسم بسمات أهل العلم وليس منهم فهو عار وشنار على الدين وأهله، لأنه في ضعفه علما وفهما كنسج العنكبوت، وما أضعف من يتقي بهذا النسج من العدو وضرباته[١]، فحال الجاهل مثل ((الذباب الواقعة فيه ومثلما لا يستطيع الذباب استنقاذ نفسه من شباك العنكبوت، كذلك ذهن هذا الرجل اذا وقع في الشبهات لا يهتدي إلى وجه الحق ليخلص نفسه مما التبس عليه))[٢]، وبهذه الصورة الصغيرة في حجمها الكبيرة في معانيها، تتجلى قوة التفكير عند الإمام علي (عليه السلام) في بناء المجتمع الإسلامي وتهذيب النفس الإنسانية بضرورة التحلي بالعلم والحلم والتخلق بخلق الانبياء والصالحين، باعتبار ان مسؤولياتهم كبيرة وأثرهم كبير وأنهم خير قدوة لأن الله امتحن قلوبهم ووجدهم اهلاً للنبوة أو الرسالة أو الإمامة، فتكون محفزا كبيرا في عملية الإقتداء في طريق التقدم الإنساني.

٣. الرحمة والرفق بالنفس والرعية:

إن من أهم ما يساعد المتصدي للإدارة هو الجد في العمل مع الرفق بالنفس والغير[٣]، وقد قال الإمام علي (عليه السلام) ((**وَخَادِعْ نَفْسَكَ فِي الْعِبَادَةِ وَارْفُقْ بِهَا وَلَا تَقْهَرْهَا وَخُذْ عَفْوَهَا**))[٤].

إن ما يريده الإمام (عليه السلام)هو التلطف بالنفس في النوافل ومخادعتها في

(١) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ١/ ١٤٥.

(٢) شرح نهج البلاغة، البحراني: ١ / ٣١٦.

(٣) ظ: الإمام علي امير المؤمنين، عبد السلام الجعفري: ٢٧٧.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١ / ٤٢.

ذلك وعدم قهرها حتى لا تمل وتضجر وتترك، بل امره ان يأخذ عفوها ويتوخى أوقات النشاط وانشراح الصدر للعبادة وهو عينه ما يريده الله[١] تعالى بقوله ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾[٢]، وان اقبح ما يكون عليه الوالي ان يكون فظاً غليظا القلب، لا يأخذ من الحلول إلا أشدها، ولا يركب من الامور إلا أصعبها [٣]، وكان منهج الإمام علي (عليه السلام)حافلاً بالرحمة التي ندر أن يوجد لمثال منها مثيل على مر التاريخ، فالسماحة والمحبة من سماته الشخصية التي يعرفها العدو والصديق، وهي نفسها اهداف التنمية البشرية في نشر الأمان في الارض عن طريق المشاركة فيما بينهم والتعاون باتخاذ سبيل التسامح شعاراً لها في كل وسائل العمل بتطبيقاتها.

وقد أوصى الإمام عامله مالكًا الأشتر باعتبار أنه القائد بعده والإداري الذي تقع عليه مسؤولية نشر مبادئ الإسلام في الأرض، وطريقة يحدث بها كل إنسان واعٍ يريد أن يركب مركب التكليف بالإدارة لغيره، بقوله: ((**وأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ والْمَحَبَّةَ لَهُمْ واللُّطْفَ بِهِمْ ولَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ**))[٤].

أي اجعلها كالشعار له وهو الثوب الملاصق للجسد قال لأن الرعية إما أخوك في الدين أو إنسان مثلك تقتضي رقة الجنسية وطبع البشرية الرحمة له[٥] أي ان

(١) ظ: الأثر القرآني في نهج البلاغة، د.عباس الفحّام: ١٤٥.
(٢) الاعراف / ١٩٩.
(٣) ظ: علي والرعية، طلال الحكيم: ٢٠١.
(٤) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٨/ ٣٢.
(٥) ظ: م - ن: ٨/ ٣٣.

حب الرعية من اهم عوامل الاستقرار في البلاد اضافة إلى أنها ((احد مقومات نجاح الراعي ومسؤولية على رعيته ولو تخلف هذا البند لحصلت فجوة كبيرة بين الراعي والرعية وستثقل الراعي خدمتهم، بل أي معنى لوجوده حينئذ، بل سيكون هذا ليس راعياً بل سارقاً مخادعاً لا يرى الا نفسه او نفسه ثم غيره وفي كلا الحالتين سيقع في الجور والظلم))[1]، ولهذا أكد الإمام على ضرورة أن توجد مشاعر الحب للرعية مع المداراة لهم في إيصال أحكام الله تعالى في نشر الحرية التي يريدها الله تعالى لأهل الارض بحيث يعيش الرئيس والمرؤوس حالة عدم التفاوت إلا بالتقوى وهي أهداف القرآن في بناء الإنسان.

٤. تجنب التقليد الاعمى:

إن من أهم الأمور التي دعت اليها الشريعة المقدسة والقرآن الكريم هي تجنب التقليد الاعمى[2] كما قال سبحانه وتعالى: ﴿**يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَالَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا * وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا**﴾ وقد قال الإمام علي (عليه السلام) في هذا الأمر ((**أَلَا فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكُبَرَائِكُمْ الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ وتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ وأَلْقَوُا الْهُجِينَةَ عَلَى رَبِّهِمْ**))[3].

حذّر الإمام (عليه السلام) من الذين يعشقون المناصب والرياسة لا لشيء إلا للذة الحكم وشهوة السلطان، وأيضا حذّر من الذين يتعشقون الكراسي كوسيلة تمكنهم من الوصول إلى غاياتهم ومآربهم، أما من يطلب الحكم لإقامة العدل

(١) علي والرعية، طلال الحكيم: ٢٠٠، ٢٠١.

(٢) ظ: الأثر القرآني في نهج البلاغة، د. عباس الفحّام: ١١١.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٩ / ١٤٦.

وإحقاق الحق، وللقضاء على الشر والفساد، أما هذا فواجب الطاعة والمؤازرة[١]، ويبين المسؤولية الكبيرة الملقاة على عاتق الناس والتي توجب عليهم عصيان الجبابرة والتمرد عليهم، واقتلاع جذور الفتنة والفساد من عالم البشرية[٢]، التي طالما سببت اكبر الانتكاسات الإنسانية بسبب وجود التقليد الأعمى الذي يجعل من الآباء اربابا او لهم قدسية الفهم الصحيح لكل ما في الكون مما سبب الكثير من الحروب والفساد في المجتمع في مختلف الاتجاهات الحياتية، التي حاول الإمام اذابتها من اجل بناء الإنسان عن طريق عرض الحقائق وبيان مساوئ ذلك التقليد وآثاره السيئة في المجتمع.

ثانياً: الإدارة الاقتصادية وتنميتها للمجتمع في نهج البلاغة

يعد الفكر الاقتصادي عند الإمام علي (عليه السلام) سمة من سمات حكمة السياسي باعتبار التطبيق له في ايام حكومته وما سعى لتثبيته من كلام افاد به الأمة بطرق التقدم وأساليبه والتحسن الاقتصادي للإنسان الذي هو محور النهوض والتغيير الايجابي وهو أساس التنمية في المجتمع[٣]، والتي لا تحدث بدون إنسان فاعل وهي عينها الاهداف التي اعلنت عنها الامم المتحدة لعام (٢٠١٤م)، والذي يدعو لتنمية المجتمع في موارده البشرية والطبيعية[٤] وللإدارةالتنموية الاقتصادية جانبان مهمان وهما الموارد البشرية والموارد الطبيعية، التي سعى الإمام علي (عليه السلام)لتنميتها:

(١) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٣ / ١٢٠.

(٢) ظ: دروس سياسية في نهج البلاغة، محمد رهبر: ٢٠٩.

(٣) ظ: الفكر الاقتصادي في نهج البلاغة، د. محسن باقر الموسوي: ٩٩. العمل والفاعلية طريق التقدم، حسن الصفار: ١.

(٤) ظ: تقرير الامم المتحدة لعام ٢٠١٤: ٥.

أ. إدارة تنمية الموارد البشرية في نهج البلاغة

إن جوهر التنمية البشرية هو جعل التنمية في خدمة الناس بدلا من وضع الناس في خدمة التنمية. ومن هذا المنظور فإن التنمية البشرية تعني ضمنا تخويل البشر سلطة انتقاء خياراتها بأنفسهم، سواء فيما يتصل بموارد الكسب، ام الأمن الشخصي أم الوضع الاجتماعي والسياسي[1]، خاصة ان التنمية تحتاج إلى المعلومات في سياق رسم السياسات وصياغة الخطط والبرامج التي تسهم في عملية التنمية للأفراد والجماعات في المجتمع والتي تمنحهم فرصة في البناء الحضاري، ومن بين تلك الطرق لتنمية الموارد البشرية:

١. رعاية ذوي البؤس والمسكنة من الرعية:

لقد جسد الإمام علي (عليه السلام)قيمه الإنسانية بكل الاتجاهات وبقوة واحدة، وكأنها شمس يحط نورها على كل إنسان دون استثناء، ومنها رعاية الفقراء والمساكين، وهي من اهم مبادئ التنمية البشرية في توسيع الفرص والاختيارات المتاحة للناس في رفع المستوى المعيشي للناس، والدفاع عن الفقراء منهم ومراعاة النساء والاطفال على الخصوص [2] وإن الإمام عليًا (عليه السلام)كان يولي الاهتمام بالفقراء والمساكين، ففي قوله (عليه السلام): ((**الله الله فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ مِنَ الْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ الْبُؤْسَى وَالزَّمْنَى فَإِنَّ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعاً ومُعْتَرّاً، وَاحْفَظْ لله مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ واجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَيْتِ مَالِكِ وقِسْماً مِنْ غَلَّاتِ صَوَافِي الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ فَإِنَّ لِلْأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ**

(١) ظ:التنمية البشرية، الهاشمي بن واضح: ٨. التنمية البشرية في العراق - ٢٠٠٣-٢٠٠٥، وليد جبر الخفاجي:١٣٨. فانغ شوي للمدراء، فرانتس ج. لوبرت: ١٨٠.

(٢) ظ: التنمية البشرية المستدامة، كآلية لمحاربة البطالة في الجزائر، ابن واضح الهاشمي: ٣.

الَّـذِي لِلْأَدْنَـى))[١]

إن الإمـام (عليـه السـلام)يوصي بالمسـاكين والمحتاجين والسـائل الـذي هـو القانـع والـذي يعـرض عـن السـؤال منهـم[٢]، وقـد كان الإمـام عـلي (عليـه السـلام) ((يـوزع قسمًا كبيرًا مـن امـوال الخـراج عـلى الجنـود، وعـلى الفقـراء، وعـلى مـن لا يكفيـه عملـه مـن ذوي الاعـمال))[٣]، هـذه الطبقـة طبقـة الفقـراء تتألـف ممـن لا يسـتطيعون عمـلا، لعاهـة فيهـم لا يقـدرون معهـا عـلى العمـل، او لا يسـتطيعون لكـبر السـن وضعـف البنيـة او لصغـر السـن كالأيتـام[٤]، وهـم الطبقـة السـفلى مـن ذوي الحاجـة والمسـكنة الذيـن تتـولى الدولـة مسـؤولية امـرار معاشـهم[٥]، وكذلـك تتـولى أمـر البحـث عنهـم واسـتقصاء اخبارهـم وعـدم التسـاهل بهـذا الأمـر، لأن مـا يـراه المسـؤول بسـيطاً وتافهـاً يـراه المسـتضعفون مصيريـاً ومهـماً[٦]، وهـي مـن أهـم وسـائل تحقيـق أهـداف الإسـلام في المجتمـع والـذي تكفـل بسـعادة البشريـة في الدنيـا والآخـرة، وان مـن جمـال الرعايـة للمحتاجـين في المجتمـع انهـا تدعـو للوحـدة والسـير نحـو التكامـل الاجتماعـي والاعتـماد عـلى القيـادة التـي تملـك هـذا الحـس الإداري ومدعـاة للطاعـة في الحفـاظ عليهـا كراعيـة لهـم وسـبب الحفـاظ عـلى أرواحهـم وهـي مـن أهـداف التنميـة البشريـة التـي كرسـت جهودهـا حديثـاً في ايجادهـا في المجتمعـات.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد / ١٧ / ٤٨.

(٢) ظ: الأثر القرآني في نهج البلاغة، د. عباس الفحّام: ٩٧.

(٣) دراسات في نهج البلاغة، محمد مهدي شمس الدين: ١٢٠.

(٤) م - ن: ١٤٣.

(٥) الفكر الاقتصادي في نهج البلاغة، د. محسن الموسوي: ٢٢٢.

(٦) ظ: دروس سياسية في نهج البلاغة، محمد رهبر: ٢٤٠.

٢. السماحة والسهولة:

لقد رغب الإسلام في السهولة والسماحة في البيع والشراء وحث الإمام (عليه السلام) مالكًا الأشتر على السماحة في البيع وشجب أنواع الإجحاف في الاسعار، فان ذلك يوجب الخروج عن موازين الحق والانصاف[١] فقد قال (عليه السلام) ((ولْيَكُنِ الْبَيْعُ بَيْعاً سَمْحاً بِمَوَازِينِ عَدْلٍ وَأَسْعَارٍ لَا تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ))[٢]، أي إن ما يريده الإمام هنا في مجال التنمية السماحة في الاعمال التجارية ((ليكن البيع بيعا سمحاً، بموازين عدل وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع))[٣]، وتحقيق التسامح العقلي والنفسي بينهما يبث روح السعادة والرضا وهي من اهم ما تطمح له التنمية البشرية..

٣. الغنى:

ان قيمة الغنى عند الإنسان بالقناعة وغنى النفس، فقد قال أمير المؤمنين (عليه السلام) مبينا للناس هذا المعنى: ((إِنَّ أَغْنَى الْغِنَى الْعَقْلُ))[٤]، منمياً الروح الإنسانية وقيمة الغنى الحقيقية المتمثلة بالعلم، التي تفوق عملية جمع الاموال بقوله (عليه السلام): ((يَا كُمَيْلُ، الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ: الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ، وَالْمَالُ تَنْقُصُهُ النَّفَقَةُ، وَالْعِلْمُ يَزْكُو عَلَى الْانْفَاقِ، وَصَنِيعُ الْمَالِ يَزُولُ بِزَوَالِهِ))[٥]، يوضح ابن ابي الحديد القول ((بعد خروج الإنسان من الدنيا

(١) ظ: الإمام علي امير المؤمنين (عليه السلام) الشخصية الإسلامية الخالدة، عبد السلام كاظم الجعفري: ٢٣٣.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد:١٧ / ٨٣.

(٣) في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٤/ ٩٣.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد:١٨ / ٨٣.

(٥) م - ن:١٨/ ٣٤٦.

فإن صنيع العلم لا يزول وذلك لأن صنيع العلم في النفس الناطقة اللذة العقلية الدائمة لدوام سببها وهو حصول العلم في جوهر النفس))[١] بل ان الإمام عليًا (عليه السلام) يجعل العلم أفضل مقوم للإنسان معنويا وماديا.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيان المعاني الأخرى للغنى التي هي فروع العقل كالحكمة بقوله: ((**ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْحِكْمَةِ الَّتِي هِيَ حَيَاةٌ لِلْقَلْبِ الْمَيِّتِ وبَصَرٌ لِلْعَيْنِ الْعَمْيَاءِ وَسَمْعٌ لِلْأُذُنِ الصَّمَّاءِ وَرِيٌّ لِلظَّمْآنِ وفِيهَا الْغِنَى كُلُّهُ**))[٢]، وبيّن الإمام علي (عليه السلام) زينة الغنى بقوله ((**الشُّكْرُ زِينَةُ الْغِنَى**))[٣]، ان الإمام علي (عليه السلام)، أكد وبيّن أن ((الشكر زينة وفضيلة من كل الناس، بل هو واجب عام، من كل حسب طاقته. وذكر الإمام الغنى بالخصوص لأنه في الغالب يبعث على الكبرياء والطغيان، فإذا شكر الغني وتواضع فمعنى هذا انه من الطيبين الأخيار))[٤] وبما إن الله ﷻ يقول: ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**﴾[٥]، فيكون الغنى بزيادة مستمرة مادامت في شكر، وهو من اجمل المعاني التنموية للغنى في كل المجالات الحياتية، لاسيما الاقتصادية بكل ابعادها المعنوية والمادية.

ب. إدارة تنمية الموارد الطبيعية في نهج البلاغة:

إن الموارد الطبيعية حسب ما يقول خبراء الاقتصاد لها القوة الخارجية الكبيرة

(١) م - ن:١٨/ ٣٤٨.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٨/ ٢٨٧.

(٣) م - ن: ١٨/ ١٤.

(٤) في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٤/ ٦٦.

(٥) ابراهيم / ٧.

التي تؤثر بشكل متواصل في صياغة حياة الناس[١]، قال الإمام علي (عليه السلام): **((وَلْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْخَرَاجِ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُدْرَكُ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ))**[٢]، ان لعمارة الارض اهمية في تحقيق الاستقرار في المجتمع ولهذا أكد (عليه السلام) بأنه ((لا تستقيم الحياة إلا بتبادل الثقة بين الراعي والرعية، والسبيل إلى ثقة الرعية براعيها هو أن تؤمن وتوقن بأنه يهتم بسياسة الإنتاج وزيادة الثروة، وتوفير الدخل الكافي لكل فرد أكثر مما يهتم بسياسة الضرائب وتحصيلها ومن البداهة ان المورد الرئيسي للثروة وزيادة الدخل هو الأرض، بخاصة في ذلك العهد حيث كان الاعتماد قبل كل شيء على الزراعة، وثروة الأرض الموجودة فيها بالقوة، ولا تظهر هذه الثروة إلى عالم الوجود إلا بالعمل وتوفير الآلة، وأيضا من البداهة ان زيادة الانتاج وحدها لا تزيد في دخل الفرد، ولا تسد حاجة كل محتاج إلا مع النظام العادل الذي يحقق المساواة بين الجميع)) [٣]، فعمارة البلاد هي كل عمل من شأنه توفير الراحة والحياة الإنسانية الكريمة، فهي تعني التنمية بكل مفاصلها[٤]، فكان سببًا للتشجيع على استثمار الارض وتطويرها أي تنميتها لتبقى في حالة جيدة ولتستفيد من العناصر الطبيعية إلى اقصى مقدار ممكن[٥]، وهي ما يريده الأمام علي (عليه السلام) في عمارة الأرض عن طريق تنمية الإنسان بالاستثمار الأمثل في عملية رفع المستوى المعيشي للأمة، وهي ما تريده التنمية الاقتصادية في عملية التنمية والاستثمار للموارد الطبيعية.

(١) ظ: الاقتصاد العالمي نشأته وتطوره ومستقبله، غريغوري كلارك: ٢٨٠.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحدد: ١٧ / ٧٠.

(٣) في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٤/ ٨٦.

(٤) ظ: اخلاق الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام)، خضر القزويني: ١٤٦.

(٥) ظ: دراسات في نهج البلاغة، محمد مهدي شمس الدين: ١٢١.

ثالثاً: الإدارة السياسية في نهج البلاغة

وتشمل الإدارة السياسية للإمام علي (عليه السلام)في قضايا السياسة ومنها السلطة والأمن الداخلي والخارجي، إذ إن الرؤية السياسة من وجهة نظر الإمام علي (عليه السلام) واحدة من أهم الشروط الأساسية للقيادة؛ فهو لم ينظر إلى السياسة بوصفها رمزاً لدوام الرئاسة والقيادة واستمرار طاعة الأمة للقائد وحسب؛ بل هي عملية لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال التأهيل السياسي لقادة هذا المجتمع، بعبارة أخرى انه يعد هذا التأهيل السياسي أحد الأصول العامة للإدارة،[1] فكما كان متميزاً بإدارته المدنية فهو مضرب المثل في ادارته السياسية وهي على نوعين:

١. سياسة الإدارة غير المباشرة:

وهي إدارته لما تحت يديه أبان حكم الخلفاء، فكانت سياسته في اتجاهين، اتجاه تمثل بالإنسان المعارض، واتجاه تمثل بالإنسان الذي التزم بشرع الله تعالى في التقية وهي سياسة حفظ الارواح أو المصلحة الافضل وفق ما يحدده الشرع، لاعتبارية قيمة الإنسان العالية وكرامته السامية، وهي ما يسمى المداراة التي تعني مراعاة الظروف الاجتماعية والاوضاع الدولية، من اجل التعايش السلمي الهادف[2]، والحفاظ على التوازن الاجتماعي بين الحق والباطل، فلو انتصر الباطل،وليس هناك من يحفظ الايمان في القلوب لتحقق الهدف النهائي للظلم وهو محق الدين ورسالة العدالة السماوية من الوجود، وإن الإمام عليًا (عليه السلام)مارس التقية، حفاظاً على الإسلام، ولتقليل الضرر الذي هدد العقيدة والاحكام، فكانت إدارته غير مباشرة من خلال الاعتزال في أوقات السلم وعدم الحاجة والتدخل

(١) ظ: اخلاق الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام)، خضر القزويني: ١٣٥.

(٢) ظ: منهاج الحياة، علي الاشكوري: ٥٢٠.

في أوقات الحاجة لاسيما في الاستشارة له من قبل الصحابة بشكل عام والخلفاء بشكل خاص[١]، مضافاً إلى أن النهج العلوي يرى أن إدارة النظام يمكن أن تكون ولو من خلال توظيف الاليات السياسات الصحيحة وسوق المجتمع صوب التكامل المادي والمعنوي.

دور الامام في الإدارة غير المباشرة في حكومات الخلفاء:

أ. **حفظ الكتاب والسنة**: أول من تصدى لجمع القرآن الكريم بعد وفاة النبي ص مباشرة بوصية منه هو الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام)، فقد قعد في بيته يجمع القرآن ويرتبه على ما أنزل مع شروح وتفاسير لمواضع مهمة من الآيات وبيان أسباب النزول ومواقع النزول[٢]، قال (عليه السلام)((كِتَابَ رَبِّكُمْ فِيكُمْ مُبَيِّناً حَلَالَهُ وحَرَامَهُ وفَرَائِضَهُ وَفَضَائِلَهُ وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ ورُخَصَهُ وَعَزَائِمَهُ وَخَاصَّهُ وَعَامَّهُ وَعِبَرَهُ وَأَمْثَالَهُ وَمُرْسَلَهُ وَمَحْدُودَهُ وَمُحْكَمَهُ وَمُتَشَابِهَهُ مُفَسِّراً مُجْمَلَهُ وَمُبَيِّناً غَوَامِضَهُ بَيْنَ مَأْخُوذٍ مِيثَاقُ عِلْمِهِ وَمُوَسَّعٍ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ وبَيْنَ مُثْبَتٍ فِي الْكِتَابِ فَرْضُهُ وَمَعْلُومٍ فِي السُّنَّةِ نَسْخُهُ ووَاجِبٍ فِي السُّنَّةِ أَخْذُهُ وَمُرَخَّصٍ فِي الْكِتَابِ تَرْكُهُ وبَيْنَ وَاجِبٍ بِوَقْتِهِ وَزَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ وَمُبَايَنٌ بَيْنَ مَحَارِمِهِ مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ أَوْ صَغِيرٍ أَرْصَدَ لَهُ غُفْرَانَهُ وبَيْنَ مَقْبُولٍ فِي أَدْنَاهُ مُوَسَّعٍ فِي أَقْصَاهُ))[٣]، ان من جملة معنى ما قاله (عليه السلام) أحكام الشريعة الإسلامية على نوعين: اعتقادية، وموضوعها القلب، وعملية، وموضوعها فعل الإنسان الصادر عنه بإرادته واختياره، وهدفها على الاجمال اصلاح الفرد والمجتمع،

(١) ظ: الإمام علي بن ابي طالب السيرة الذاتية والاجتماعية، زهير الاعرجي: ٦٥٦.

(٢) ظ: علي والرعية، طلال الحكيم: ١٢١.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١/ ١١٧.

ومصدرها الوحي والعقل. والقرآن وحي من السماء[١] اما حفظه للسنة، فهي ما في صدره (عليه السلام)، مضافاً إلى العمل والتجسيد الحق لها في المجتمع، ولهذا كان أثر القرآن كبير وكثير في اقواله وخطبه (عليه السلام)[٢]، وكيف لا يهتم به وهو دستور الله في الارض الذي اهتم بالتكامل الإنساني والتطور المستمر وهو ما يوافق ما جاء في اهداف التنمية البشرية في بناء الإنسان.

ب. **المستشار المحترف**: لقد نال وجود الإمام علي (عليه السلام) التأثير الأكبر في معضلات الأمور وغوامضها وتلابس الافكار، فكان وجوده عبارة عن صمام امان في عهد حكم الخلفاء، وقد ورد في تاريخ الخلفاء ان أبا بكر سُئِل عن قول الله: ﴿**وَفَاكِهَةً وَأَبًّا**﴾[٣]، فلم يعرف معنى الأب من القرآن، وقال: أي سماء تظلني أم أي أرض تقلني أم كيف أصنع ان قلت في كتاب الله بما لا أعلم، اما الفاكهة فنعرفها، واما الأب فالله أعلم، فبلغ أمير المؤمنين (عليه السلام)مقاله في ذلك فقال: ((سبحان الله اما علم أن الأب هو الكلاء والمرعى؟ وان قوله تعالى ﴿**وَفَاكِهَةً وَأَبًّا**﴾[٤] اعتداد من الله بأنعامه على خلقه فيما غذّاهم به وخلقه لهم ولأنعامهم مما تحيى به أنفسهم، وتقوم به أجسادهم))[٥]، وتكررت أحداث كبيرة في عهد عمر وعثمان، كان أمير المؤمنين فيها الرائد في بيان ان الدين كامل، وقد أحاط بما لم تحط به الأديان، وقد وردت الكثير من المصادر التي تحمل تلك الأحداث، كالمجتبى لابن دريد، وتاريخ الطبري، وأحكام القرآن للجصاص، وتفسير الزمخشري، وتفسير

(١) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ١ / ٦٥.

(٢) ظ:الاثر القرآني في نهج البلاغة،د. عباس الفحّام: ٥٠١.

(٣) عبس / ٣١.

(٤) عبس / ٣١.

(٥) تاريخ الخلفاء، السيوطي: ٣٧.

القرطبي، وتفسير ابن كثير.[١] إن هذه الأحداث لولا وجود علي (عليه السلام)، لحلت بالمسلمين كثير من المصائب وأولها، ضياع القيمة الدينية للإسلام، باعتبار ان المتصدي لأمور المسلمين يجب أن يكون أعلمهم بما في السنة والشرع، وهو قوله (عليه السلام) ((إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ وأَعْلَمُهُمْ))[٢]، فإن لم تتحقق القوة والعلم يعني انه لا احقية به، وهذا الشيء ينمي الإيمان بأن الخلافة قد سرقت، وإن الأجدر بها من يستطيع إدارة الأمور في الأوقات الصعبة، وكان هو (عليه السلام)من تتوفر به هذه الصفة دون غيره، ومن مواقفه هذه يعني إنه فعل العمل بالعقل الباطن والعصف الذهني للمعلومات المخزونة، ولكن تحتاج لمن يبحث عن الحقيقة، وقد كان نتاج الخلافة المغصوبة ما آلت اليه أمور المسلمين بعد خلافة الخلفاء.

٢ـ السياسة المباشرة:

أما السياسة المباشرة له (عليه السلام)، فقد انطلقت في مواجهة الفساد الإداري منذ الأيام الأولى لعهد الامام السياسي، فعزل الولاة غير الأكفاء، وأعاد الأموال العامة إلى بيت المال، إن سياسة الإمام في الاصلاح لم تعجب الكثير من الفاسدين[٣]، فحيكت عليه المؤامرات والاضطرابات الداخلية، وقد كثر في كلام الإمام (عليه السلام) الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله، وفي مواطن مختلفة[٤]، وتمثلت بمدة حكمه (عليه السلام)وإدارته للأمن والحكومة، وسيعرض البحث بعض موضوعات خطبه ابان حكمه (عليه السلام):

(١) ظ: علي والرعية، طلال الحكيم: ١٣٣ - ١٤٦.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٩/ ٣٢٨.

(٣) ظ: اخلاق الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام)، خضير القزويني: ١٤١.

(٤) ظ:الاثر القرآني في نهج البلاغة،د. عباس الفحّام:٢٧٧، ٢٨١، ٤٠٩، ٤٣٣، ٤٣٩.

كان الإمام علي (عليه السلام)يعرض أحكام السماء عن طريق مجموعة من الخطب والمواعظ التي كان يقولها (عليه السلام) في أيام السلم، والتي اتسمت بموضوعات منها، الإشادة بأهل البيت كقوله (عليه السلام): «**لَا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله) مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ وَلَا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَداً هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ وَعِمَادُ الْيَقِينِ إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْغَالِي وَبِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي**»، أراد الإمام (عليه السلام)في بيان الخصوصية لأهل البيت (عليهم السلام)، إذ انه قدم الظرف (اليهم) على عامه (بهم) وكذا (بهم) على (يلحق)، لأن خفي معرض الثناء على آل بيت النبوة فهم وحدهم بهذا الاقتصار جعلهم كمقنب يسير في فلاة، فالغالي منه أي الفارط المتقدم الذي قد غلا في سيره يرجع إلى ذلك المقنب إذا خاف عدوا، ومن قد تخلف عن ذلك المقنب فصار تالياً له يلتحق به إذا أشفق ان يتخطف[1]، وكذلك قوله (عليه السلام)((**هُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ وَمَوْتُ الْجَهْلِ يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ وَصَمْتُهُمْ عَنْ حِكَمِ مَنْطِقِهِمْ لَا يُخَالِفُونَ الْحَقَّ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَهُمْ دَعَائِمُ الْإِسْلَامِ وَوَلَائِجُ الِاعْتِصَامِ بِهِمْ عَادَ الْحَقُّ إِلَى نِصَابِهِ وَانْزَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ مُقَامِهِ وَانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنْبِتِهِ عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلَ وِعَايَةٍ وَرِعَايَةٍ لَا عَقْلَ سَمَاعٍ وَرِوَايَةٍ فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ وَرُعَاتَهُ قَلِيلٌ**)) إن ما ذكره الإمام هو أن أهل البيت يأخذون العلم من منبعه ومصدره لا من الشيوخ والرواة[2]، وان ما يريد الإمام في هذا القول بآل النبي المصطفى اي حياته نافعة في الوجود وموت للجهل وهم الدعائم للإسلام باعتبار انهم حفظة له كما تحفظ الجدران السقف للبيت، وقوله ولائج اي استخدم الاستعارة التصريحية أي انهم مرجع للخلق، يعتصمون بعلمهم وهدايتهم لأنهم يبعدونهم من شباك الجهل، ومعصية

(١) ظ: م - ن: ١٢٣.

(٢) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٣/ ٣٦٦.

الله وهو الانقطاع من الباطل بالالتزام بالحق[١]. ومن بين موضوعات الخطب والأقوال الرد على المنحرفين. وانه صاحب الحق في السياسة والحكم، كقوله (عليه السلام) منمياً وعي الأمة، بأنه صاحب الحق في الخلافة بعد النبي (صلى الله عليه وآله)، لما تؤديه الخلافة من دور ريادي في نشر الإسلام، وعقائده الحقه، ومخاطباً العقل الباطن لكل سامع لمقاله، إنه في الوقت الذي لم يسكت عن توعية ذهنية الأمة بأحقيته بالخلافة، انه التزم بمنهجه الإسلامي ومواقف السلم التي لا يتنازل عنها في المجتمع[٢]، وهو دأبه (عليه السلام)في إيثار السلم شريطة أن لا يكدر صفاء الإسلام ووحدة المسلمين[٣] وهذا نص قوله (عليه السلام) ((**لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي ووَ الله لَأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ ولَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً الْتِمَاساً لِأَجْرِ ذَلِكَ وفَضْلِهِ وَزُهْداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وزِبْرِجِهِ**))[٤] قال ابن أبي الحديد: لما عزموا على بيعة عثمان قال لهم الإمام (عليه السلام): ((لقد علمتم اني أحق الناس بها من غيري الخ. وضمير بها يعود إلى البيعة أو إلى الخلافة بقرينة المقام، وكلام الإمام هنا واضح، ولا شيء فيه من الغموض، فالخلافة في مفهومه أداة لتحقيق العدل وتصحيح الخطأ، فإذا تحققت هذه الغاية هان عليه الضغوط والأساليب الملتوية التي مارسوها لإقصائه عن الخلافة مع علمه ويقينه بأنه أولى بها وأحق من غيره))[٥]، وهنا استخدم الإمام علي(عليه السلام) الطاقة الفكرية في بث روح التفاعل، عن طريق ما يقدمه لهم

(١) ظ: من بلاغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة، عادل الاسدي:٥٠٨، ٥٠٩.

(٢) ظ: من بلاغة الإمام علي (عليه السلام)في نهج البلاغة، عادل الاسدي: ٤٦.

(٣) ظ: اسلوب علي بن ابي طالب (عليه السلام) في خطبه الحربية، د.علي عمران: ٨٨.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٦/ ١٦٦.

(٥) في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية:١/ ٣٦١.

من بيان.

وكذلك خطبه الحربية هي الخطب التي تلقى في الحروب لحث الجنود على القتال والطاعة والامتثال للأوامر ورعاية القوانين والأعراف الحربية، التي تتصف بانها تلقى على جماعة، لتثير قلوب السامعين للقتال، لاسيما إذا تضمنت أفكارًا شريفة، وقيمًا مهيجة لروح الجند، وكونها قصيرة واضحة المعنى[١] والتي ألقيت الكثير منها في حروبه (عليه السلام) مع الخوارج وأصحاب الجمل وصفين والنهروان[٢]، وسيختار البحث بعضًا من تلكم الخطب.

الأساليب التنموية للإمام علي (عليه السلام)في الخطب الحربية:

من معاني التنمية أنها عملية تطوير الكفاءات البشرية وتحسين أدائها، بصورة شاملة، في مختلف الميادين الحياتية، فهي عمليات تغيير نوعي في المجتمع[٣]، ومن بين تلك الميادين ميدان الجهاد في سبيل الله، وقد استخدم الإمام علي (عليه السلام)عدة أساليب في عملية التنمية في خطابه الحربي منها ما كان فكرياً يهتم بالمقاتلين من حيث التربية العقدية، ومنه ما كان روحياً يهتم بتنمية المقاتلين في جوانب أخلاقيات الحرب في سوح القتال:

أولاً: التنمية الفكرية للمجاهد في نهج البلاغة

هي عملية تنمية الفكر للمجاهدين وتتضمن طرقًا امتازت بالتكامل للنفسية الإدارية التي تسعى لرفع المستوى القتالي للمجاهدين، والذي إن حدث ستكون نتائجه إيجابية، تضع بصمة النصر في ساحات المعارك، ومنها بيان بأن الجهاد أمر

(١) ظ: من بلاغة الإمام علي (عليه السلام)في نهج البلاغة، عادل الاسدي: ٤٥.

(٢) ظ: ملامح من عبقرية الإمام (عليه السلام)، د. مهدي محبوبه: ٢١٥- ٢٣٠.

(٣) الرسول الاعظم والتنمية البشرية التراحم انموذجا، محمد صادق الخرسان: ١٠.

الهي وتنمية العقيدة للمقاتلين، ففي تنمية الجهاد بأنه أمر الهي، والذي يبدو انها من الأمور التي دعت إليها الشريعة، حفاظاً على المصلحة العليا للإنسانية، عن طريق فريضة الجهاد والذي قال الإمام علي (عليه السلام) بحقه ((**فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَتَحَهُ الله لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى وَدِرْعُ الله الْحَصِينَةُ وَجُنَّتُهُ الْوَثِيقَةُ**))[1]، إن الجهاد من الثوابت المؤكدة على مدى التاريخ ولـ((قد أمرت هذه النصوص بالجهاد والدفاع عن الحق وأهله، ووعدت المجاهدين بالجنان والحور الحسان، وتوعدت المتخلفين بغضب الله وعذاب الحريق))[2]، وان معناه أتى من ((تشبيه وقع في المرتبة العليا من بدايتها، وهي ذكر المشبه والمشبه به وتشبيه الجهاد وهو معقول بالباب وهو محسوس فيكون معناه ان المسلم بسبب الجهاد يدخل الجنة ويستحقها، كما ان للدار باباً يدخل الإنسان اليها)[3]، وهو تعبير غاية الدقة في احتماله للمعاني التنموية في بناء المجتمع عن طريق استخدام الوصف الذي اعتاد الناس معرفة أثره في الحفاظ على بيضة الإسلام بحدودها الطبيعية، والمتمثلة بوصفه للجهاد بأنه باب فُتح لخاصة الأولياء وليس الناس وهو بهذا المعنى يبشر المجاهدين بأنهم من الأولياء الذين تحيط بهم رعاية الله تعالى ولهذا وفقوا للجهاد في سبيله، وقوله لباس التقوى اي ان الجهاد يقي المجاهد من النار كما يقي الثوب الجسد من الحرارة والبرودة والمحذورات وأولها إنه ستر يستر الإنسان به نفسه فكذلك الجهاد يمثل الستر للمجاهد، ويسترسل الإمام (عليه السلام)بقوله إن الجهاد هو درع والدرع يستخدم عادة لحماية المقاتلين، فكذلك الجهاد يحمي المجاهدين، إلى ان يصل إلى جنة الله تعالى التي خلقها للمطيعين وأي

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٧/ ٧٤.

(٢) في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ١/ ١٨٧.

(٣) ظ: من بلاغة الإمام علي (عليه السلام)في نهج البلاغة، عادل الاسدي: ١٧٣.

طاعة امام طاعة الجهاد والتضحية بالنفس.

وكذلك استخدم الإمام علي (عليه السلام)عملية التنمية العقدية في خطبه من خلال بيان ان الجهاد هو من الأمور الخاصة بعقيدة الإيمان بالله، ابتغاء مرضاته وتلبية لأوامره، كقوله: ((**إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى الْإِيمَانُ بِهِ وبِرَسُولِهِ والْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ الْإِسْلَامِ**))[١]، ويعني ((كلمة الذروة تشير إلى أنه لولا الجهاد ما ارتفع للإسلام راية، ولا كان له عين وأثر، بل الإسلام في جوهره جهاد من أجل الحرية، وثورة على الفوارق والعبودية، وعلى الاستغلال والمراباة))[٢]، وكذلك ورفض الإمام سياسة العدوان العسكري واللجوء للحرب من غير مبررات شرعية، إذ نسب إليه قوله: ((من سل سيف العدوان قتل به))[٣]، فالحروب والابتداء بها من أخطر الأمور التي حذر الإمام منها، وقد طبقها في الحروب، كحربه مع اصحاب الجمل، لأنه لا يريد ان يبدأ بقتال، ((هو الإشارة إلى أن الإنسان بفطرته يستنكر الظلم، فإن اقترفه فبسبب خارج عن الذات))[٤]، وإن طرق تنمية الجهاد هي ليست دعوى للقتل بقدر ماهي محاولة اضطرارية لوقف الفساد الذي تترتب عليه عدة امور ومنها الظلم والقتل للكثير من الناس؛ لأَنَّ البشر هم الثروة الحقيقية للأمة[٥]، ولهذا يكون الجهاد سببًا في إيقاف الفساد في مختلف أشكاله، وقد وصف الإمام (عليه السلام) الجهاد بأنه الذروة جمع (ذرى) كما ورد في بيت الشعري:

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٧/ ٢٢١.

(٢) في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٢/ ١٥٩.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٩ / ٢٦٥.

(٤) في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٤/ ٤٣٥.

(٥) ظ: مستقبل التنمية البشرية، صباح الاسدي:١٢

أعْطَى فَلَمْ يَبْخَلْ وَلَمْ يُبَخَّلِ كُومَ الذرَى مِنْ خَوَلِ المُخَوِّلِ[١]

فالذروة، وهو أعلى الشيء وهي مما خوله الله ومنحه للإنسان، والذي كان عطاؤه كثيراً، فلم يبخل به على العباد[٢]، وعلل ابن ابي الحديد هذا التحديد بوصف الجهاد بقوله ((جعله ذروة الإسلام أي أعلاه لأنه ما لم تتحصن دار الإسلام بالجهاد لا يتمكن المسلمون من القيام بوظائف الإسلام فكان إذا من الإسلام بمنزلة الرأس من البدن))[٣]، ولهذا اهتم الإمام علي (عليه السلام) بالجهاد في خطابه تنمية للمجاهدين وتذكرة للسامعين عبر الاجيال ومدى الدهر حتى يرث الله الارض ومن عليها.

واستخدم الإمام علي (عليه السلام) التنمية للعقيدة في شرح اللبس في الاذهان من خلال استثارة العقل الباطن، فلقد كتب الإمام علي (عليه السلام) لطلحة والزبير في طريقه للبصرة، يبين لهم ما حل بهم من موقف، لعلهم يعودون لرشدهم فقال (عليه السلام): ((**أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ عَلِمْتُمَا وإِنْ كَتَمْتُمَا أَنِّي لَمْ أُرِدِ النَّاسَ حَتَّى أَرَادُونِي ولَمْ أُبَايِعْهُمْ حَتَّى بَايَعُونِي وإِنَّكُمَا مِمَّنْ أَرَادَنِي وَبَايَعَنِي وَإِنَّ الْعَامَّةَ لَمْ تُبَايِعْنِي لِسُلْطَانٍ غَالِبٍ وَلَا لِعَرَضٍ حَاضِرٍ فَإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَانِي طَائِعَيْنِ فَارْجِعَا وتُوبَا إِلَى الله مِنْ قَرِيبٍ وإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَانِي كَارِهَيْنِ فَقَدْ جَعَلْتُمَا لِي عَلَيْكُمَا السَّبِيلَ بِإِظْهَارِكُمَا الطَّاعَةَ وإِسْرَارِكُمَا الْمَعْصِيَةَ ولَعَمْرِي مَا كُنْتُمَا بِأَحَقِّ الْمُهَاجِرِينَ بِالتَّقِيَّةِ والْكِتْمَانِ وإِنَّ دَفْعَكُمَا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَدْخُلَا فِيهِ كَانَ أَوْسَعَ عَلَيْكُمَا مِنْ خُرُوجِكُمَا مِنْهُ بَعْدَ**

(١) هذا البيت لأبي النجم العجيلي وهو أحد الرُّجاز الفحول في الإسلام، ومن الطبقة الأولى منهم، وكان مكثراً يقول رجزاً وقصيداً فيجيد، وبرز في رجزه الاهتمام بالتصوير، ولاسيما وصف الفرس، والسخرية اللاذعة، والحديث عن دخائل النفس.

(٢) ظ: جامع البيان، الطبري: ٢١ / ٢٦٣.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٧/ ٢٢٢.

إِقْرَارِكُمَا))[١]، إن الناس ضاقوا بسيرة عثمان حتى الأغنياء منهم برغم ما أغدق عليهم من بيت المال، وان طلحة والزبير حرّضا عليه، وهما بايعا الإمام مع من بايع، ثم انقلبا عليه فجأة، فأرسل اليهما ولم يستجيبا لدعوته، ودعهم إليه قبل وقوع معركة الجمل[٢] فكانت دعوته استثارة للعقل لديهم في جانب العقيدة وهو تذكير لهما انهما بايعا باعتقاد فلماذا نكثا البيعة، إلا أن يكونا قد خالفا الاعتقاد بما اشتهت انفسهم، ويستفيد المتأمل من هذا الخطاب بأنه كان على الحق وأن بعض الذين بايعوا ونكثوا ليس لأنه (عليه السلام) جانب الحق، حاشاه، بل إن مصالح الأعداء وأهوائهم لم يجدوا لها طريقًا في حكومة الإمام (عليه السلام)، وهذا الخطاب عبارة عن رسالة تاريخية للأجيال التي تطلع على تراث الأمة لتعرف من يتبعون من السلف الذين إنتهت اليهم مقاليد الأمور بعد النبي المختار (صلى الله عليه وآله)، وهي بحد ذاتها تنمية استخدمها الامام بأبعادها المختلفة في تنمية الأمة.

ثانياً: التنمية الروحية للمجاهدين:

إن من ما يساعد على تنمية روح المقاتلين هو الاعتماد على القيادة العبقرية التي تمتاز بالعلم والمعرفة وكثرة التدبير وحسن التصرف، فالجندي يكون على حالة نفسية مرتفعة ان كانت قيادة الجيش بيد قائد عسكري محنك، ولاشك ولا ريب ان قائدًا مثل الإمام علي (عليه السلام) مثال أعلى في دعم النفسية الجهادية للمقاتلين، وقد سطر الإمام علي أروع الكرم في وضع الخطوط العريضة للمجاهدين في المعارك بقوله (عليه السلام): ((**فَإِذَا نَزَلْتُمْ بِعَدُوٍّ أَوْ نَزَلَ بِكُمْ**

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٩/ ١٣١.

(٢) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٤ / ١٢٤. غزوات امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام)، جعفر نقدي: ١٣٣، ١٣٤.

فَلْيَكُنْ مُعَسْكَرُكُمْ فِي قُبُلِ اَلْأَشْرَافِ أَوْ سِفَاحِ اَلْجِبَالِ أَوْ أَثْنَاءِ اَلْأَنْهَارِ كَيْمَا يَكُونَ لَكُمْ رِدْءاً ودُونَكُمْ مَرَدّاً ولْتَكُنْ مُقَاتَلَتُكُمْ مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ أَوِ اِثْنَيْنِ واِجْعَلُوا لَكُمْ رُقَبَاءَ فِي صَيَاصِي اَلْجِبَالِ ومَنَاكِبِ اَلْهِضَابِ لِئَلاَّ يَأْتِيَكُمُ اَلْعَدُوُّ مِنْ مَكَانِ مَخَافَةٍ أَوْ أَمْنٍ واِعْلَمُوا أَنَّ مُقَدِّمَةَ اَلْقَوْمِ عُيُونُهُمْ وعُيُونَ اَلْمُقَدِّمَةِ طَلاَئِعُهُمْ وإِيَّاكُمْ واَلتَّفَرُّقَ فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَانْزِلُوا جَمِيعاً وإِذَا اِرْتَحَلْتُمْ فَارْتَحِلُوا جَمِيعاً وإِذَا غَشِيكُمُ اَللَّيْلُ فَاجْعَلُوا اَلرِّمَاحَ كِفَّةً ولاَ تَذُوقُوا اَلنَّوْمَ إِلاَّ غِرَاراً أَوْ مَضْمَضَةً))[1].

وهذه خارطة عسكرية امتازت بالتكامل والعقلية السياسية والعسكرية التي تمتاز بكثرة المراس في ساحات القتال، وهذا ما تدل عليه مضامين كلماته (عليه السلام)، فالأشراف الأماكن العالية وقبلها ما استقبلك منها وضده الدبر، وسفاح الجبال أسافلها حيث يسفح منها الماء، وأثناء الأنهار ما انعطف منها وأحدها ثني والمعنى أنه أمرهم أن ينزلوا مسندين ظهورهم إلى مكان عال كالهضاب العظيمة أو الجبال أو منعطف الأنهار التي تجري مجرى الخنادق على العسكر ليأمنوا بذلك من البيات وليأمنوا أيضا من إتيان العدو لهم من خلفهم وقد فسر ذلك بقوله (عليه السلام) كيما يكون لكم ردءا والردء العون، ثم أمرهم بأن لا يتفرقوا ولا يكن قتالكم العدو في جهات متشعبة، فإن ذلك أدعى إلى الوهن واجتماعكم أدعى إلى الظفر، ثم أمرهم أن يجعلوا رقباء في الجبال أعاليها وما جرى مجرى الحصون منها لأنه يمتنع بها كما يمتنع ذو القرن بقرنه ومناكب الهضاب أعاليها لئلا يأتيكم العدو إما من حيث تأمنون أو من حيث تخافون. وقوله (عليه السلام) مقدمة القوم عيونهم، المقدمة وهم الذين يتقدمون الجيش أي الفرقة المتقدمة والطلائع طائفة من الجيش تبعث ليعلم منها أحوال العدو، ثم نهاهم عن التفرق وأمرهم

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٥/ ٨٩.

أن ينزلوا جميعا ويرحلوا جميعا لئلا يفجأهم العدو بغتة على غير تعبئة واجتماع فيستأصلهم، ثم أمرهم أن يجعلوا الرماح كفة إذا غشيهم الليل، أي اجعلوها مستديرة حولكم كالدائرة، ثم نهاهم عن النوم إلا غرارا أو مضمضة وكلا اللفظتين ما قل من النوم[1]، ان هذا العقل العسكري الذي يحمل القلب الأبوي وروح الحريص الذي لا يرضى الا بالنصر كلها تعطي تنمية نحو تحقيق النصر على الاعداء، وكان وجود القائد الحكيم الفذ والمقتدر على ظروف الحروب، لهوَ أكبر دعم روحي لجميع المقاتلين ومحط الاطمئنان لعوائل المقاتلين، اي ان هذا التفكير ينمي الفرد العسكري والمجتمع الذي يقف وراء الاندفاع الروحي في الحروب.

ولقد حرص الإمام علي (عليه السلام) على التنمية الروحية في الحرب على منزلة ومكانة الشهيد الواقعية في الإسلام، اذ جعل الموت هو كرامة لا تدانى من حيث القيمة والكرامة فهي اكرم الموت على حد تعبير الامام الذي يقول: ((**إِنَّ أَكْرَمَ الْمَوْتِ الْقَتْلُ والَّذِي نَفْسُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مِيتَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ فِي غَيْرِ طَاعَةِ الله**))[2].

إن حب الشهادة مبعث الاطمئنان، وعدم الاكتراث بالموت، وإن الإمام (عليه السلام) يحاول أن يحض أصحابه ويحرضهم ليجعل طباعهم مناسبة لطباعه وإقدامهم على الحرب مماثلا لإقدامه على عادة الأمراء في تحريض جندهم وعسكرهم وهيهات أن يصلوا إلى ما وصل اليه (عليه السلام)، حيث إنّه موجب للذكر الجميل في الدّنيا والأجر الجزيل ومع ذلك فلا يجوز للبصير تفويت هذا

(١) ظ: م-ن: ١٥/ ٩٠، ٩١.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٧ / ٣٠٠.

النفع الكثير على نفسه والإقدام على الموت بحتف أنفه[١]، ولو تأمل الإنسان إلى كلامه وهو يصوغ الكلمات، كصائغ الذهب الذي يقدم أغلى قطعة معدنية بأعلى قيمة مادية، وأين كلامه من ان تقابله قيمة، فكلامه لا تقوى كل الكنوز ان تعطي بعضًا من ثمنه، والمهم في ما يبدو للبحث ان يعطي للموت قيمة إن كان في سبيل الله تعالى، وقسمه مثير للنفوس ودافع للهمم نحو الجهاد، فيعطي رقم الف لا على نحو العد، بل الاستمرار إلى ما لا نهاية له أي كما يقولها الرازي[٢] في تفسير قوله تعالى ﴿**يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ**﴾[٣]، وبهذا يكون الإمام علي (عليه السلام) قد استخدم التنمية في الجهاد في سبيل الله تعالى بإحضار اسوأ الاحتمالات فيه وهو القتل او الشهادة، فإنها نهاية حياة، لكنها أجمل وفاة فهي الكرم الافضل والخاتمة الحسنة للإنسان، ولقد تمناها الإمام لأن لها قيمة عند الله فعظمت في نفس الإمام (عليه السلام)، اي ان السلامة في الدين مع الشهادة هي أمنية كل إنسان قد أدرك معنى الحياة الإنسانية وأهدافها.

وقد سعى الإمام لتنمية الأخلاق العسكرية فهي مضرب للأمثال ومحط مكارم الأخلاق ودلالة الإيمان ومصدر الاطمئنان الذي ندر أن يوجد ما يدانيه في عصر من العصور أو في زمان على مر التاريخ، ويأمل البحث تغطية بعض تلك الاخلاق بنقاط على سبيل الايجاز:

---

(١) ظ: شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٧ / ٣٠١. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، الخوئي: ٨/ ١٥٢.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي: ٢٥ / ١٤٠.

(٣) السجدة / ٥.

منها إنصاف العدو، ففي منظومة القانون الإنساني للحرب عند الإمام علي (عليه السلام)في رعاية إنسانية المشاركين في الحرب،باعتبار أنها وسيلة لتطوير الحياة وليس لوقفها [١]، قال الإمام علي (عليه السلام) ((**اَلإنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ اَلرِّجَالِ**))[٢] وكان الإمام يبلور آلية التعامل مع الخصم في إطارها العام عبر وسيلة الدعاء، إذ يقول ((**إِنْ أَظْهَرْتَنَا عَلَى عَدُوِّنَا فَجَنِّبْنَا اَلْبَغْيَ وَسَدِّدْنَا لِلْحَقِّ وإِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنَا فَارْزُقْنَا اَلشَّهَادَةَ واِعْصِمْنَا مِنَ اَلْفِتْنَةِ**))[٣]، أي عند الإنتصار على الأعداء، فجنبنا البغي بدعوى التشفي، بل الدعاء بالتسديد للصواب[٤]، وإن كانت الشهادة هي الرزق فهي إشارة تنموية على أنه (عليه السلام) لا ينهزم من معركة بل إما النصر أو الشهادة، وهذه من اجمل عبارات التنمية للجيش الإسلامي، فقد أنصف العدو في الدعاء له وانصفه من حيث عدم وصفه بأوصاف كالجبن أو الضعف، بل إنه افترض نصر العدو وتمنى الشهادة ان كانت نتيجة المواجهة لصالح العدو، إن هذا الإنصاف هو ما يسمى بالإنصاف في علم التنمية البشرية بل أحد مكوناتها، كونه يركز على عدالة وتكافؤ الفرص بين البشر ويستخدم مصطلح الإنصاف هنا بديلاً عن مصطلحي المساواة والعدالة، وهو الأقرب إلى الخطاب الاجتماعي الذي يتميز بمفهوم[٥]،غاية الجمال وهو ما سبق به (عليه السلام) المنظرين للتنمية في القرن العشرين ببيان ان البشرية تحتاج لهذا الإنصاف ليعيش الناس في حرية واطمئنان.

(١) ظ: اخلاق الامام عتلي بن ابي طالب (عليه السلام)، خضير القزويني: ١٦٧.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد:١٧/ ٢١٤.

(٣) م - ن: ٩/ ٣٠١.

(٤) ظ: م.ن: ٩/ ٣٠٢.

(٥) ظ: مستقبل التنمية البشرية، صباح الاسدي: ٢٠.

ومن أخلاقيات التنمية عند الإمام (عليه السلام) في الحروب هو التمييز بين المقاتلين وغير المقاتلين، ولقد امتاز فكر الإمام (عليه السلام) وسلوكه بالتأكيد ان ليس كل عنصر في جيش العدو يجوز قتله، حيث قصر الإمام جواز القتل لمن يشهر السلاح بوجه المسلمين وجيش الإمام العادل حصراً وعبر الإمام عن ذلك بقوله: ((**لا تقاتلن الا من قاتلك**))[١]، الخطاب لقائد المحاربين، وهو معقل بن قيس الرياحي[٢]، وكان الإمام قد أنفذه إلى الشام في ثلاثة آلاف مقاتل[٣]، وهذا هو الإسلام، لا عدوان إلا على من اعتدى، فلكل إنسان كائنا من كان حرمته المحرومة حتى ينتهك هو حرمته بيده بعدوانه على حرمة غيره، وهذا ما ذكره الباحثون في علوم التنمية البشرية وهو ما يسمى بالاستدامة، اذ إن جوهر الاستدامة هو تأمين طاقات وقدرات ومصادر نمو لأجيال المستقبل[٤]، في كل ميادين الحياة من اجل تحقيق مجتمع متطور يكفل للإنسان العيش بحرية وسلامة في المجتمع وان كانوا اعداء، وهذا ما سبق به الإمام علي (عليه السلام) كل التفكير والتنظير في علوم بناء الإنسان والمجتمع كما سبق العالم بغيره من العلوم والمعارف التي دانت له البشرية جميعاً فلا تفي له شيئا.

ومن جميل الخلق الإنساني في الحروب هو الأمان لتارك الحرب أي إن من يترك الحرب، له أمان في قوانين الحرب عند الإمام علي (عليه السلام) ((من القى

---

(١) مستقبل التنمية البشرية، صباح الاسدي: ١٥ / ٩٢.

(٢) من بني يربوع. قائد عسكري. أدرك عصر النبوة. أرسله عمار بن ياسر مبشراً لعمر بن الخطاب بفتح تستر. وكان صاحب شرطة علي بن أبي طالب يوم الجمل (المصدر: https://:ar.wikipedia.org/wiki/).

(٣) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٣ / ٤١٢.

(٤) ظ: التنمية البشرية في العراق، وليد الخفاجي: ١٠٩.

السلاح فهو آمن))[١]، ويمكننا القول ان هذا المبدأ يضمن سلامة جميع العناصر المشاركة في المعركة من غير المقاتلين امثال الفرق الطبية[٢]، بل إن ظاهر الكلام يتوسع ليشمل من كان محارباً له (عليه السلام)وألقى سلاحه.

أما الرسل والمبعوثون فهم في أمان من القتل، إن الإمام (عليه السلام) يولي الرسل والمبعوثين اهتماماً خاصاً إذ يدعو إلى صيانة سلامتهم الشخصية بغض النظر عن ما يحملونه من رسائل أو شروط من قبل العدو، لأن هذه من الأخلاق التي مارسها المشركون مع النبي فقد ((بعث رسول الله ص الحارث بن عمير الأزدي في سنة ثمان إلى ملك بصرى بكتاب فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقال: أين تريد؟ قال: الشام، قال لعلك من رسل محمد؟ قال: نعم، فأمر به فأوثق رباطا ثم قدمه فضرب عنقه))[٣]، أما في حكومة الإسلام الحقة، فان الدين قد سعى لتنمية البشرية، والحفاظ على حياتهم وعدم تعريضهم لأي خطر.

وأيضاً رفض عمليات الاغتيال إذ إن الإمام (عليه السلام) يرفض اسلوب الاغتيال وقد ورد إنه قال(عليه السلام)((**أَدْبَرَتِ اَلْحِيلَةُ وأَقْبَلَتِ اَلْغِيلَةُ وَلاَتَ حِينَ مَنَاصٍ**))[٤]، إن القصد من وقد أدبرت الحيلة أي ولت وأقبلت الغيلة أي الشر ومنه قولهم فلان قليل الغائلة أو يكون بمعنى الاغتيال يقال قتله غيلة أي خديعة يذهب به إلى مكان يوهمه أنه لحاجة ثم يقتله، قال (عليه السلام) ولات حين مناص هذه من ألفاظ الكتاب العزيز، قال الأخفش شبهوا لات بليس وأضمروا

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد:١٧/ ٢٧٣.

(٢) ظ: اخلاق الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام)، خضير القزويني: ١٦٣.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٥/ ٦١.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد:١٣/ ١١٥.

فيها اسم الفاعل[١]، لأن عمليات الاغتيال هي من موانع التنمية للقيم الإنسانية، باعتبار أن القيم جوهر الاعمال وخطوة تريد الشريعة تطبيقها، لأن الحياة للإنسان ليست كل شيء، بل الأعمال الكبيرة التي تكون منتهى الاعمال، لاسيما التي تخدم الإنسانية بأي فروعها [٢] في الحياة التي يطمح المجتمع فيها للسلام ورفض مظاهر الفساد فيه.

أكد الإمام (عليه السلام) على عدم قتل المدبر الفار، إذ إن الهارب من السيف بأي حال من الأحوال لا يجوز قتله، كما أوصى بذلك الإمام علي (عليه السلام)حين قالها في معركة الجمل قائلاً: ((**فَلاَ تَقْتُلُوا مُدْبِراً**))[٣] وهذا يعكس القيمة المعنوية والمبادئ السامية للدين الإسلامي، باعتبار انه دين التسامح والعفو كراهية إراقة الدماء وهي من أهم مبادئ حقوق الإنسان وأهداف التنمية البشرية في الحفاظ على الإنسان وإيجاد ما ينفعه لإدامة بقائه لأطول فترة ابتغاء التطور الإيجابي.

إن ممّا أراد الإمام (عليه السلام) في الحرب الرفض للقتل الجماعي للعدو فهو يرفض استخدام أسلوب القتل الجماعي لجيش الخصم مثل منع الماء عنه او غيرها من الأساليب ربما لوجود من لا يجب قتلهم أو مغرر بهم وغيرهم من الفئات التي أقر الإمام أن تُحقن دماؤهم، وهذا ما اثبتته السيرة العملية للإمام في معركة صفين وقد ورد عنه انه لم يمنع الماء عن عدوه الذي منعهم، وهو نفسه موقفه من عثمان حين منع الماء ((لما اشتد الحصار عليه فغضب علي من ذلك غضبا شديدا

(١) م - ن:١٣ / ١٢٥.

(٢) ظ: التكامل الاجتماعي للإنسان، مرتضى مطهري: ٤٧.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد:١٣ / ١٠٤.

وقال لطلحة أدخلوا عليه الروايا، فكره طلحة ذلك وساءه فلم يزل علي (عليه السلام) حتى أدخل الماء إليه))[١] وقد وردت في كثير من شروحات نهج البلاغة، والمهم ان هذا مثال على الأخلاق الكبيرة في الحرب الإسلامية، بقيادة الإمام علي (عليه السلام)، فحتى لو اراد به وبأنصاره القتل من قبل الأعداء، فانه يمد يد العون والمساعدة لهم ويبدوا أن الإمام وضع سياسة ضد القتل الجماعي او غيره للعدو، يمكن أن توجز بما يلي:

١. إسعاف الجرحى ومعالجتهم:

أرسى الإمام (عليه السلام)مبدأ عدم استعمال القوة ضد من يعجز عن القتال او من يرفض أو من جرح في المعارك، فقد أكد الإمام على حماية الجرحى والمرضى من الأعداء، وكانت وصيته وأوامره في المعركة[٢] هي: و((لا تجهزوا على جريح))[٣] وكانت سيرته العملية مليئة بمواقف عظيمة كمواقف رسول الله يوم بدر، وكيفية تعاطيه مع الأسرى، مستثمراً معرفتهم الكتابة، وجعلهم مدرسين لصبيان المسلمين بدل ان يكونوا مكبلين، وإن إسعاف الجرحى لهو من أعمال الإرادة التي تهدف التزكية والتطهير للنفس بالعمل الصالح[٤] وهي مبادئ تم وضعها حديثاً في علوم التنمية البشرية، فلا نمو في الإنسان أكمل وأفضل من أن يفتح الله بابًا من العبادة له[٥]، وكذلك يأتي معنى التنمية بمعنى الإصلاح، وطلب

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٢ / ١٤٨.

(٢) ظ: اخلاق الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام)، خضير القزويني: ١٦٣.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٢ / ١٠٤.

(٤) ظ: دروس في فقه النفس الإنسانية، حسين نجيب محمد: ١٤٠.

(٥) ظ: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي القاري:٦٦:١٠.

الخير[١] وهو من جميل معاني التنمية التي نادى بها الإمام (عليه السلام)قبل مئات السنين.

٢. رعاية الأسرى:

دعا الإمام إلى صيانة حقوق الأسير وعمل على ذلك ولاسيما حماية حياته وسلامته الشخصية من أي خطر أو عمل انتقامي، فكان (عليه السلام) الموقف الإنساني الأكبر، بإعلانه العفو العام عن جيش عائشة، ونادى، لاتجهزوا على جريح، لا يطعن مدبر، لا يُستحل فرج، لا يُستحل مال، لا يُتبع مولٍ[٢]، هذا خلقه بأعدائه، فكيف بأسيره؟ ويعد الإمام مسألة اكرام الأسير والإحسان إليه من حقوقه الأساسية، طوال مدة مكوثه في الأسر، إذ يقول (عليه السلام): ((**فَمَنْ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَلْيَصِلْ بِهِ اَلْقَرَابَةَ وَلْيُحْسِنْ مِنْهُ اَلضِّيَافَةَ وَلْيَفُكَّ بِهِ اَلْأَسِيرَ وَاَلْعَانِيَ**))[٣]، ولا شك ولا ريب ان فك الأسير هو من ملحقات الجهاد الأكبر، لأنه تزكية للنفس التي قال عنها الله تعالى: ﴿**قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا**﴾[٤] وهي من أفضل ما أراده الإمام من الإنسان فكل سلم في سيرته أو حرب من أجل تزكية وبناء الإنسان.

٣. تحريم التمثيل بالقتلى:

إن ما أبداه الإمام علي (عليه السلام)من احترام جثث القتلى من الأعداء يعكس سموه النفسي من جهة وحق الإنسان المتوفى بأن يدفن بصورة لائقة وشرعية من جهة ثانية ((لا يمثل بالرجل فإني سمعت رسول الله ص يقول:

---

(١) لسان العرب، ابن منظور: ١٥ / ٣٤١.

(٢) ظ: شرح نهج البلاغة برواية الخلافة، قاسم الحائري: ١٤٧.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد:٩/ ٧٤.

(٤) الشمس/ ٩.

اياكم والمثلة ولو بالكلب العقور))[١]، إن حماية الاعداء الذين تركوا القتال لأي سبب، لهي من أولويات أخلاق الحروب لديه (عليه السلام)، فيكون من باب أولى حمايته وعدم انتهاك حرمته ولو كان مستحقاً كابن ملجم لعنه الله، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن الإنسان الأكمل تجسد فيه، فهو عبارة عن مدرسة تنموية أينما حلت وفي أي زمان يذكر، ولو في بطون الكتب، وهو حسب ما يراه الباحث في تفسير الحديث الذي يقول: ((النظر إلى علي عبادة، وذكره عباده))[٢]، أي أنه تجسيد أوامر الخالق ودستوره الناطق في الارض، ولأن العبادة هي ما يتعلق بين العبد والخالق، وهي من سماتها أنها مستمرة باستمرار وجود أدواتها، وبما إن ذكره عباره عن أمر سماوي أو تجسيد سنة نبوية أو بيان لمتشابه من الأحكام، فيستوجب التأمل فيه، أي إن ذكره عبادة تعبر عن طاعة لله تعالى ورسوله وتصلح لكل زمان هي تعّد تنمية للبشرية التي تبحث عن الأسوة والقدوة الذي حمل كل صفات الإنسان والمفكر الواعي، وهي عينها أهداف التنمية البشرية.

٤. حماية المدنيين:

عادة ما تتوسع دائرة شرور الحرب لتمتد بآثارها السلبية على المدنيين العزل وقد كانت هذه الحقيقة ماثلة أمام علي بن أبي طالب لذلك سعى (عليه السلام) للتقليل من الآثار السلبية التي تتركها الحرب على المدنيين ومن هنا أكد (عليه السلام)صيانة حياة السكان المدنيين من رعايا الأعداء وصيانة كرامتهم[٣]، وجعل من هذه المسألة خطاً لا يمكن تجاوزه، اذ كان (عليه السلام)يوصي قادته قائلاً:

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٧/ ٦.

(٢) المناقب، الخوارزمي:٢. الإمام علي في الاحاديث النبوية، محمد الموحد: ٣٣.

(٣) ظ: اخلاق الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام)، خضير القزويني: ١٦٠.

((ولا تهيجن امرأة بأذى وإن شتمن اعراضكم وسفهن أمراءكم وصلحاءكم))[١]، وقد كان مضرباً للمثل باتسامه بأروع الأخلاق، لاسيما بعد معركة الجمل مع عائشة التي ما رضيت بغير الحرب، إذ إن أول لحظة لسقوط الجمل، بادر الإمام علي (عليه السلام) إلى محمد بن ابي بكر قائلًا ((أنظر إذا عرقب الجمل فأدرك أختك، فوارها))، ثم قال لمحمد بن ابي بكر ((شأنك بأختك،فلا يدنو أحدٌ منها سواك))[٢]، فقد جسد الإمام علي (عليه السلام) أخلاق القرآن بشكل أمثل، قال تعالى ﴿**وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[٣]، فقد كانت ملامح التنمية البشرية تنبع من عظيم خُلق علي بأجمل المعاني وأنبل المواقف وأروع الصور لترسم على مدى التاريخ صورة الإنسان المفكر الذي منهَج لأهداف التنمية الفكرية والسلوكية، بإدراك لا يتسع له إلا عقله (عليه السلام)،في بناء الإنسان وديمومة تقدمه في مختلف المجالات لا سيما محط دراستنا المتواضعة.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٩ / ١٠٤.

(٢) ظ: غزوات امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام)، جعفر نقدي: ١٤٢،١٤١.

(٣) آل عمران / ١٣٤.

المبحث الثاني
التكامل الفكري للإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة

توطئة:

التفكير أرقى سمة يتسم بها الإنسان الذي كرمه الله وميزه عن غيره من سائر الكائنات الحية، وهو نعمة إلهية وهبها الله لبني البشر، ويعد من الحاجات الإنسانية الأساسية التي من خلالها يستطيع الإنسان التكيف وبناء المجتمع، وعرف التفكير على أنه ((عملية ذهنية تعتمد على العلم والنتائج وعلى العقل والبرهان في فهم الظواهر وتفسيرها والتنبؤ بحل المشكلات وتفسيرها ومعرفة أسبابها عن طريق التحليل))[1]، والدراسة التي تريد التشرف بالتكلم عن التكامل الفكري عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، ما هي إلا طريق للتعلم وتنمية للفكر الإنساني الذي يسعى للسعادة، لاسيما الأخذ بنظر الحسبان إن الإمام عليًا (عليه السلام)هو ربيب النبي الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله)، فهو ((تلميذ القرآن، والمجسد الحقيقي لتعاليم الإسلام، والمرآة الصافية التي تعكس أنواره))[2] وعلومه الكثيرة، التي طرز بها كلامه المقدس في كتاب نهج البلاغة قد بلغت حد الإعجاز في كل نوع من هذه العلوم حتى وكأنَه متخصص فقط في أي علم يتناوله بمفرده[3]، ومنها ما البحث بصدده وهو التنمية البشرية، الذي كان لها رائداً قبل ان تولد، وقبل ان

(١) الانقياد نحو الابداع، عامر الرافعي: ١٨.

(٢) دروس سياسية في نهج البلاغة، محمد تقي رهبر: ٥.

(٣) ظ: المبادئ والاساليب التربوية في نهج البلاغة،أميرة برغل: ١٦٥،١٦٦.

تعرف البشرية هذا المصطلح، فكان الأنموذج الأوحد في التكامل الفكري منبعًا عذبًا تنهل الأمة منه كل العلوم، وفتح لها أبواب المعرفة، لتصل إلى ما يجعلها امة إنسانية بخلق ملكوتي، يمنحها السلامة والأمان إن اجتهدت بتطبيق المبادئ التي يحملها جميل خطابه واقواله وما تضمنته رسائله، من الخلق والآداب ما يغني الأمة عن البحث عنها في غيره،وخاصة مجال البحث والدراسة.

التفكير هو العملية التي يعالج من خلالها عقل الإنسان المعلومات المستلمة من البيئة، على نحو متكامل لوجود خصائص عقلية خاصة[1]، وقد ظهرت هذه الخصائص في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، لما يمثله هذا الإنسان من أنموذجٍ فكريٍ متكاملٍ، قد أحاط بما أعجب العالم على مدى الحياة الممتدة الينا منذ لحظة تبركت الدنيا بوجوده (عليه السلام) إلى اليوم واللحظة، لما تمتاز به إمكاناته الفكرية من خواص وصفات قد ميزته عن غيره، ومنها ملازمته للحق كما جاء في الخبر عن النبي (صلى الله عليه وآله) ((**علي مع الحق، والحق مع علي يدور حيثما دار**))[2]، وهذا الحديث يدل على محاكاة للعقل الباطن، والذي إن دل على شيء فإنما يدل على أنه ملتزم بالحق ولا يحيد عنه، وبه يمكن أن يستعين المتحير في ركب سفينته التي هي سفينة النجاة، وأيضاً قال (صلى الله عليه وآله) ((**أنا مدينة العلم، وعلي بابها**))[3]، أي إنه منبع العلم والحكمة لملازمته الحق من جهة، ومن جهة اخرى، توجيه العقول إلى أنه الباب الوحيد الذي فتحه رسول الله للبشرية، ولكي تستقي البشرية من جمال الحكمة والعلم والتقرب من الله،

(١) نظرية المنظمة والسلوك التنظيمي، د. منقذ محمد داغر، د. عادل حرحوش صالح: ٢٧٨.

(٢) من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ٣/ ٣٩٨. شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٢/ ٢٩٧.

(٣) الثاقب في المناقب، ابن حمزة الطوسي: ١٢٠ (وقد تواتر حديث انا مدينة العلم وعلي بابها في كتب العامة والخاصة المصدر نفسه: ١٢٠) / علي ميزان الحق، محمد كوزل الامدي:٤٣٧.

لابد أن ترد الباب عن طريقه سلام الله عليه، إضافة إلى إنه الأذن الواعية التي تكلم بها، كما أورد الزمخشري عنه (عليه السلام) في تفسيره الكشاف في تفسير قوله تعالى ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾[١]، ولهذا يصعب تحديد حقيقة تكامله الفكري (عليه السلام) بشكل متطابق مع حقيقة شخصه المقدس، إلا إن البحث يمكن أن يتشرف بذكر البعض من صفاته العلمية وما يحيط بها وما يدور بداخلها:

التكامل الفكري في نهج البلاغة

إن تكامل الإمام علي (عليه السلام) الفكري يأتي من القدرة على ((الإدراك والتحليل والمقارنة واتخاذ القرار))[٢]، التي تميزت بها شخصيته، فكانت سمته (عليه السلام)، وكونه عاملاً فكانت شيمته، وكونه خليفة الله في الأرض فكانت لرضاه همته، ولهذا دعا (عليه السلام) إلى التفكر، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): ((**رَحِمَ اللهُ امْرَأً تَفَكَّرَ فَاعْتَبَرَ، واعْتَبَرَ فَأَبْصَرَ**))[٣]، أي إنه(عليه السلام)، يريد الحث على التفكر والاستفادة من هذا التفكر بالاعتبار العقلي واثره على السلوك، وبعبارة أخرى إن التفكر هو ((فن وعلم ودين وتطور وتقدم إذا كان سليما ووسيلة للإيمان والنعيم))[٤] ولما كان وسيلة للإيمان والنعيم، كان جديراً بتكرار الدعوة إليه والاعتبار به، وهو شرح ابن أبي الحديد الذي يقول ((جعل التفكر علة الاعتبار وجعل الاعتبار علة الأبصار وهذا حق لأن الفكر يوجب الاتعاظ، والاتعاظ يوجب الكشف))[٥]، وهذه العملية تجري في العقل، فمحصلة

(١) الحاقة / ١٢.

(٢) قوة الطاقة البشرية والطريق إلى القمة، د. ابراهيم الفقي:٢٩.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٥ / ١٤٨.

(٤) في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ١/ ١٥٦.

(٥) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٧/ ١٠٦.

التفكر أنه يؤدي إلى الاتعاظ باعتبار أنها ((عملية معالجة للمعلومات))[١]، ويتم اتخاذ المعالجات والتصرفات وفق تلك العملية العقلية، ولهذا عدّ الإمام ان البصير من استعمل العقل في معالجة المعلومات الداخلة له من الحواس، ومنها قوله (عليه السلام): «**فَإِنَّمَا الْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَكَّرَ، وَنَظَرَ فَأَبْصَرَ، وَانْتَفَعَ بِالْعِبَرِ، ثُمَّ سَلَكَ جَدَداً وَاضِحاً يَتَجَنَّبُ فِيهِ الصَّرْعَةَ فِي الْمَهَاوِي**»[٢]، وإن الإمام يقصد بالبصير الذي استخدم المعلومات في التوجه الحقيقي للهدف السامي لخلقته، والتدبر والتفكر واتخاذ الموقف الذي يجب أن يتخذه العاقل، واضعاً المعلومات نصب عينيه ومتخذها سيرة له في عمله الصالح، مبتعدا عن كل مظاهر الفساد والضلال او ما يؤدي لهما[٣]، ليضمن الإنسان الحصول على التوازن في الحياة، من خلال الملازمة بين العلم والعمل به، والذي يجنبه الوقوع في الذل والهوان في الحياة[٤] وهنا تكمن أهمية العقل وأهمية العملية التفكيرية داخله، ولهذا نجد أن الإمام يؤكد عليه في الحياة، عن طريق الدعوة للتفكر وبيان أهميته وأثر استخدام التفكر، حيث جعل المتفكر كالبصير، بمعنى أن الغير متفكر يكون إما في عمى أو له رؤية ضبابية، لابد أن يرجع للتفكر للتخلص منها، وليكون سلوكه في طرق السلامة والامان.

ومن مظاهر هذا التكامل، علمه (عليه السلام) وطاقاته التفكيرية وأساليبه في التنمية الفكرية وهي كما يلي:

---

(١) افاق بلا حدود، محمد التكريتي: ٢٠١.

(٢) شرح نهج البلاغة،ابن ابي الحديد: ٩ / ١٥٨

(٣) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ١ / ٤٣١.

(٤) ظ: اخلاق الإمام علي، محمد صادق الخرسان: ١/ ٢٣٥، ٢٣٦.

أولاً: علم الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام)

على الرغم من الاعتقاد بأنه ((يجب أن يكون الإمام عالماً بتدبير ما هو إمام فيه، من سياسة رعيته والنظر في مصالحهم وغير ذلك بحكم العقل))[١]، فإنه (سلام الله عليه) كان الأنموذج الأكمل في طاقته العلمية،وإن الناس قد اتفقوا على أن كلامه في أعلى وأرقى طبقات الفصاحة والبلاغة، وما نسميه اليوم بالمعلوماتية، وهو بعد كلام الله وكلام سيد المرسلين محمد (صلى الله عليه وآله)، مشتقا منهما الالفاظ ومقتفيا للمعاني منهما[٢]، فقد ((أحاط الإمام علي (عليه السلام) بالمعرفة دون ان تحيط به، وادركها دون ان تدركه))[٣]، وخير دليل على ذلك قوله (عليه السلام): «**أَيُّهَا النَّاسُ سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي**»[٤]، أجمع الناس كلهم على أنه لم يقل أحد من الصحابة ولا أحد من العلماء سلوني غير علي بن أبي طالب (عليه السلام)[٥]، وقد تكلم (عليه السلام)، عن مصدر علومه بقوله: «**فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ الله نَبِيَّهُ (صلى الله عليه وآله فَعَلَّمَنِيهِ وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي وَتَضْطَمَّ عَلَيْهِ جَوَانِحِي**»[٦]، وكان اهلًا لهذا الكرم الرباني الذي افاض به وجاد على كل البشرية، ويمكن تقسيم علمه (عليه السلام) على ثلاثة انواع:

أ. العلم من الطفولة:

وهو ما اكتسبه (عليه السلام) من معارف وعلوم منذ الصغر، وقد اعلنها

(١) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، الطوسي: ١٩٣.

(٢) ظ: علي والغلاة، علي الطرابلسي: ٣٣.

(٣) ملامح من عبقرية الإمام (عليه السلام)، د. مهدي محبوبه: ١١

(٤) -شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٣/ ١٠١.

(٥) شرح اصول الكافي، الكليني: ٦ / ٤٣٧.

(٦) سنن الإمام علي (عليه السلام)، لجنة الحديث معهد باقر العلوم (عليه السلام): ٥٥.

(عليه السلام) بقول «**انْدَجَتْ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لَاضْطَرَبْتُمْ اضْطِرَابَ الْأَرْشِيَةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ**»[1]، يقول ابن ابي الحديد في معرض بيانه لكلامه (عليه السلام) ((أنه انطوى على علم هو ممتنع لموجبه من المنازعة وأن ذلك العلم لا يباح به ولو باح به لاضطرب سامعوه كاضطراب الأرشية وهي الحبال في البئر البعيدة القعر وهذا إشارة إلى الوصية التي خص بها (عليه السلام)))[2]، وان عملية الاندماج للإمام علي (عليه السلام)التي قالها هي ما قاله علماء التنمية البشرية في هذا القرن الاخير في المصطلح التنموي (النمذجة) الذي يعني نمذجة المهارة اللغوية او المهارات الحسية، والمعالجة لها وربطها مع البرامج العقلية، وهو فكرة النمذجة ومحاكاة الناجحين أو نقل النجاح من اجل استخدامها في المجتمع[3]، وإن المهارات التي يمتلكها الإمام علي وطرق استقبال وتحليلها المعلومة لا يمكن لأي شخص ان يتقبلها، ولهذا اختلف الناس في بعض الامور المتعلقة بالإمام علي (عليه السلام)، وان مدخلات العلم لديه وطرق المعالجة عبارة عن شيء مجهول لحد الان، نعبر عنه بالمعجزة، وهو كما قال الشيخ الكليني فقد روى ((عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبدالله (عليه السلام) فقلت له: جعلت فداك إني أسألك عن مسألة، ههنا أحد يسمع كلامي؟ قال: فرفع أبوعبد الله (عليه السلام) سترا بينه وبين بيت آخر فاطلع فيه ثم قال: يا أبا محمد سل عما بدا لك، قال: قلت: جعلت فداك إن شيعتك يتحدثون أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) علم عليا (عليه السلام) بابا يفتح له منه ألف باب؟ قال: فقال: يا أبا محمد علّم رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليا (عليه السلام) ألف باب يفتح من كل باب ألف

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١/ ٢١٣.

(٢) م - ن: ١/ ٢١٥.

(٣) ظ: البرمجة اللغوية العصبية،ابراهيم موسى:١١-١٢-١٣-١٤.

باب قال: قلت: هذا والله العلم قال: فنكت ساعة في الارض ثم قال: إنه لعلم وما هو بذاك))[١]، إلا إن الشيء الذي يبعث على السرور أن مكنون هذه العلوم قد جسدها بشكل تطبيقي ونظرها بما افاض به على الإنسانية، ولا عجب في اضطراب بعض الأقوام كالخوارج من تلكم السلوكيات التي ما عرفوا حقيقتها فأنتجت ما ذكر التاريخ لنا من وقائع وسلوكيات عاشت تيهًا امام شخص الإمام علي (عليه السلام)ولهذا فإن الإمام (عليه السلام) لم يتركهم حتى الساعة الاولى قبل قتالهم، اخذ يستخدم المعلومات في عرض لها كشفاً للغموض ولهذا فإن الكثير منهم انسحب من المعركة وان الكثير منهم لم يلتحقوا بالإمام لأنهم توصلوا إلى حلول بأنهم مجانبون الصواب ولكن لم تتوصل عقولهم بانه اتباع سبيله هو الأصح في الافعال ولهذا انسحبوا دون نصرته (عليه السلام)[٢]، وليس العيب في الإمام علي(عليه السلام) حاشاه، بل فيهم ولهذا ندب الإمام (عليه السلام) الأمة للتفكر والتعقل والتدبر ((و من أبصر بها بصّرته))[٣]، أي من تدبر الدنيا في ضوء ما فيها من عيوب ومساوئ تدبر واعتبر[٤]، وتوصل للحقائق وهي عينها اهداف التنمية البشرية في تطور الإنسان وتقدمِه المستمر ابتغاء الحياة الاكثر سعادةً وأماناً.

ب. علم لا يجد له حملة:

وهو نوع من العلم يحتاج لمؤهلات استثنائية، ومن ذلك قوله (عليه السلام) لكميل بن زياد ((**إِنَّ هَاهُنَا لَعِلْماً جَمّاً وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً بَلَى**

(١) الكافي، الكليني:١/ ٢٣٩.

(٢) ظ: غزوات امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام)، جعفر نقدي: ١٣٣-١٤٣. / اخلاق الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام)، خضر القزويني: ١٩١.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٦/ ٢٣٨.

(٤) في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ١/ ٣٨٠.

أَصَبْتُ لَقِناً غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ))[١]، ان ما يريده الإمام حسب قول ابن ابي الحديد في اشارته (عليه السلام) لصدره ((إشارة إلى العرفان والوصول إلى المقام الأشرف الذي لا يصل إليه إلا الواحد الفذ من العالم ممن لله تعالى فيه سر وله به اتصال، ثم قال لو أصبت له حمله ومن الذي يطيق حملة بل من الذي يطيق فهمه فضلا عن حمله))[٢]، ان علم الإمام علي (عليه السلام) من اسرار الله تعالى في الارض، ولهذا عبر عن اتساع العلم وقوته وكثير نوعه من العلوم التي لا يقوى على حملها غيره، وهنا اشارة لطيفة، وهي تصب في تنمية الإنسان العقلية وهي ضرورة انفاق العلم على اهله دون من هم يسوفونه ويضيعونه او ممن يجعل منه اداة للحصول على مكاسب الدنيا[٣]، وهكذا الكثير من كلامه الذي جعل ظاهره في بناء الإنسانية واعماقه علوم في تهذيب البشرية، وكلها من مقومات الحياة ودعوة للسلامة والنجاة.

ج. علم لا حدود له:

إن للإمام علي علماً لا حد له وهو من صرح بذلك بقوله (عليه السلام) ((**أَيُّهَا النَّاسُ سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي فَلَأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الْأَرْضِ قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ بِرِجْلِهَا فِتْنَةٌ تَطَأُ فِي خِطَامِهَا وتَذْهَبُ بِأَحْلَامِ قَوْمِهَا**))[٤]، لقد تناول الكثير من الكتاب ما قاله علي (عليه السلام)، شرحا وتعليقاً ولا تكاد تخلو كتابات عنه (عليه السلام)الا وفيها هذه العبارة وهي من اشعر عبارته، ولقد شرحها

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨/ ٣٤٦.

(٢) م - ن:١٨/ ٣٥٠. صفوة شروح نهج البلاغة، اركان التميمي: ٧٩١.

(٣) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٤/ ١٩٦.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٢/ ١٠١. الإمام علي امير المؤمنين الشخصية الإسلامية المعاصرة، عبد السلام الجعفري: ٤٤.

ابن ابي الحديد بقوله: ((سلوني قبل أن تفقدوني)) أجمع الناس كلهم على أنه لم يقل أحد من الصحابة ولا أحد من العلماء سلوني غير علي بن أبي طالب (عليه السلام) والمراد بقوله فلأنا أعلم بطرق السماء مني بطرق الأرض ما اختص به من العلم بمستقبل الأمور ولا سيما في الملاحم والدول وقد صدّق هذا القول عنه ما تواتر عنه من الأخبار بالغيوب المتكررة لا مرة ولا مائة مرة حتى زال الشك والريب في أنه إخبار عن علم وأنه ليس على طريق الاتفاق، وقد تأوله قوم على وجه آخر قالوا أراد انه اعلم بالأحكام الشرعية والفتاوى الفقهية، فعبر عن تلك بطرق السماء لأنها أحكام إلهية وعبر عن هذه بطرق الأرض لأنها من الأمور الأرضية[١]، والنتيجة انه العالم بمختلف العلوم وهو ما سيتناوله البحث في علومه المختلفة ومنها بناء الإنسان ومجتمعه.

ومن ظاهر علم الإمام علي (عليه السلام) الذي لا حدود له:

١. الاستشراف[٢]:

وترتكز هذه الطَّاقة على ما تعلمه الإمام علي (عليه السلام) من رسول الله وآمن بها كأنها وقعت[٣]، وهو القائل (**وَأَنَا مِنْ رَسُولِ الله كَالضَّوْءِ مِنَ الضَّوْءِ وَالذِّرَاعِ مِنَ الْعَضُدِ**)[٤]، وهنا يقف ابن ابي الحديد عند هذا القول المبارك للإمام علي (عليه السلام) ((وذلك لأن الضوء الأول يكون علة في الضوء الثاني ألا ترى أن الهواء المقابل للشمس يصير مضيئا من الشمس فهذا الضوء هو الضوء الأول

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٢/ ١٠٦.

(٢) ظ: حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، قطب الدين البيهقي:١ / ١٧، ١٨. نهج البلاغة، د. صبحي الصالح: ١٩١، ٣٢١.

(٣) نهج البلاغة في دائرة التشكيك، يوسف علي سبتي:٢٣١

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٦ / ٢٨٩.

ثم إنه يقابل وجه الأرض فيضيء وجه الأرض منه، فالضوء الذي على وجه الأرض هو الضوء الثاني وما دام الضوء الأول ضعيفا فالضوء الثاني ضعيف، فإذا ازداد الجو إضاءة ازداد وجه الأرض إضاءة لأن المعلول يتبع العلة، فشبه (عليه السلام) نفسه بالضوء الثاني وشبه رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالضوء الأول وشبه منبع الأضواء والأنوار سبحانه وجلت أسماؤه بالشمس التي توجب الضوء الأول ثم الضوء الأول يوجب الضوء الثاني، وهاهنا نكتة وهي أن الضوء الثاني يكون أيضا علة لضوء ثالث وذلك أن الضوء الحاصل على وجه الأرض وهو الضوء الثاني إذا أشرق على جدار مقابل ذلك الجدار قريبا منه مكان مظلم فإن ذلك المكان يصير مضيئا بعد أن كان مظلما وإن كان لذلك المكان المظلم باب وكان داخل البيت مقابل ذلك الباب جدار كان ذلك الجدار أشد إضاءة من باقي البيت ثم ذلك الجدار إن كان فيه ثقب إلى موضع آخر كان ما يحاذي ذلك البيت أشد إضاءة مما حواليه وهكذا لا تزال الأضواء يوجب بعضها بعضا على وجه الانعكاس بطريق العلية وبشرط المقابلة))[1]، وقال الإمام علي(عليه السلام) بعلم الاستشراف: ((**فلأنا أعلم بطرق السماء مني بطرق الأرض**))[2]، ويعني (عليه السلام) انه يعلم الكثير من ((ما اختص به من العلم بمستقبل الأمور ولا سيما في الملاحم والدول وقد صدق هذا القول عنه ما تواتر عنه من الأخبار بالغيوب المتكررة لا مرة ولا مائة مرة، حتى زال الشك والريب في أنه إخبار عن علم وأنه ليس على طريق الاتفاق))[3]، ومن الامثلة التي قالها (عليه السلام) في استشرافه المستقبل: ((**إِنَّ اللهَ تَعَالَى سَيَجْمَعُهُمْ لِشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي أُمَيَّةَ كَمَا يَجْتَمِعُ قَزَعُ الْخَرِيفِ**

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٦/ ٢٩٠.

(٢) م - ن: ١٢/ ١٠١.

(٣) - م - ن: ١٣ / ١٠٦.

يُؤَلِّفُ اللهُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَجْمَعُهُمْ رُكَاماً كَرُكَامِ اَلسَّحَابِ ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ لَهُمْ أَبْوَاباً يَسِيلُونَ مِنْ مُسْتَثَارِهِمْ كَسَيْلِ اَلْجُنَّتَيْنِ حَيْثُ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ قَارَةٌ ولَمْ تَثْبُتْ عَلَيْهِ أَكَمَةٌ ولَمْ يَرُدَّ سُنَنَهُ رَصٌّ طَوْدٍ ولاَ حِدَابُ أَرْضٍ يُذَعْذِعُهُمُ اللهُ فِي بُطُونِ أَوْدِيَتِهِ ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَنَابِيعَ فِي اَلْأَرْضِ يَأْخُذُ بِهِمْ مِنْ قَوْمٍ حُقُوقَ قَوْمٍ ويُمَكِّنُ لِقَوْمٍ فِي دِيَارِ قَوْمٍ واَيْمُ اللهِ لَيَذُوبَنَّ مَا فِي أَيْدِيهِمْ بَعْدَ اَلْعُلُوِّ وَاَلتَّمْكِينِ كَمَا تَذُوبُ اَلْأَلْيَةُ عَلَى اَلنَّارِ))[1]، لقد كان (عليه السلام) في غاية الدقة في رسم صورة لمشهد يقع في المستقبل لحال أصحابه وشيعته بعده فيقول افترقوا بعد اجتماعهم. وتشتتوا بعد مفارقتي فمنهم آخذ بغصن أي يكون منهم من يتمسك بمن أخلفه بعدي من ذرية الرسول أينما سلكوا سلكوا معهم وهم القوم من ثبت منهم على عقيدته فينا، ومن لم يثبت لا بد أن يجمعهم الله تعالى لشر يوم لبني أمية وكذا كان، فإن الشيعة الهاشمية اجتمعت على إزالة ملك بني مروان من كان منهم ثابتا على ولاء علي بن أبي طالب (عليه السلام)و من حاد منهم عن ذلك وذلك في أواخر أيام مروان عند ظهور الدعوة الهاشمية. وقزع الخريف هي سحب صغار تجتمع فتصير ركاما. ومستثارهم موضع ثورتهم. وشبه (عليه السلام) سيلان الجيوش إلى بني أمية بالسيل المسلط على ثينك الجنتين. فإنه لم تسلم عليه جبل صغير او تلعة ارض، ولم يرد طريقه الروابي والنجاد، ثم قال يذعذعهم الله الذعذعة اي الشر إذاعته. ثم يسلكهم ينابيع في الأرض، والمراد أنه كما أن الله تعالى ينزل من السماء ماء فيستكن في أعماق الأرض ثم يظهر منها ينابيع إلى ظاهرها كذلك هؤلاء القوم يفرقهم الله تعالى في بطون الأودية وغوامض الأغوار ثم يظهرهم بعد الاختفاء فيأخذ بهم من قوم حقوق آخرين ثم أقسم ليذوبن ما في أيدي بني أمية بعد علوهم وتمكينهم كما تذوب الألية على النار[2]،

(١) م - ن: ٩ / ٢٨٣.

(٢) ظ: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٩/ ٣٨٤، ٣٨٥. الأثر القرآني في نهج البلاغة، د. عباس

وهذا فوق ما يمكن أن يوصف فهي اقوال لا يقولها إلا من كان مطلعًا عليها او آمن بها كأنها وقعت وانتهت، وهي من العلوم التي علمهما رسول الله (صلى الله عليه وآله) له (عليه السلام)[1]، ان ما قاله يحمل رسائل عديدة ومن ضمنها ان الايمان بما يقوله هو (عليه السلام) والاقتداء بأثره وبذريته من بعده، له اثر كبير في ارساء سبل النجاة والسلامة[2]، وضمان للسلوك الذي لا لبس فيه، ان اختلفت الأهواء وازدحمت الآراء، فهو يرسم لمن بعده طرق السلامة، وايضا يبين مصير من عاداهم من الأمة، بأن سيكون نصيبهم خسران الدنيا والآخرة، وبهذا يكون علم علي (عليه السلام) في المستقبل واخبار الناس فيه لطريق في بناء الإنسان فكرياً من خلال توضيح طرق السلامة وجسديا من خلال بيان مواطن الامن باتباع النبي وعترته (صلى الله عليه وآله)، وبهذا يكون قد جسد افكاره (عليه السلام) جميعا لإنقاذ الأمة وتنمية للسلامة، ان تمسكت الأمة بهديهم الذي هو هدي محمد (صلى الله عليه وآله).

٢. مصائر العباد

وهو الإخبار إلى ما تؤول إليه مصائر الناس[3]، بل إن الإمام قد تجاوز هذا العلم، فهو عالم بما بدأ به الناس وما ستستقر اليه امورهم، ومنها قوله (عليه السلام) ((**والله لَوْ شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَمَوْلِجِهِ وَجَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ وَلَكِنْ أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِيَّ بِرَسُولِ الله (صلى الله عليه وآله) أَلَا وَإِنِّي مُفْضِيهِ**

الفحّام: ١٠١.

(١) ظ: مشارق انوار اليقين في اسرار امير المؤمنين، رجب برسي: ١٩٠. الكل يسأل وعلي يجيب، هشام الحيدري: ٦٢١.

(٢) ظ: علي ميزان الحق، محمد الآمدي: ١٣٥.

(٣) ظ: معاجز الإمام علي، هاشم البحراني: ٣١٨.

إِلَى الْخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمَنُ ذَلِكَ مِنْهُ وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ وَاصْطَفَاهُ عَلَى الْخَلْقِ مَا أَنْطِقُ إِلَّا صَادِقاً وَقَدْ عَهِدَ إِلَيَّ بِذَلِكَ كُلِّهِ وَبِمَهْلِكِ مَنْ يَهْلِكُ وَمَنْجَى مَنْ يَنْجُو وَمَآلِ هَذَا الْأَمْرِ وَمَا أَبْقَى شَيْئاً يَمُرُّ عَلَى رَأْسِي إِلَّا أَفْرَغَهُ فِي أُذُنَيَّ وأَفْضَى بِهِ إِلَيَّ))[1]، لقد أقسم الإمام (عليه السلام) بالله انه قادر على اخبارهم بكل التفاصيل التي عرضها عليهم، والتي لا يعلمها الا الله ومن عنده اسرار الخلق من اصفياء الخلق، ((فأقسم أنه لو شاء أن يخبر كل واحد منهم من أين خرج وكيفية خروجه من منزله وأين يلج وكيفية ولوجه وجميع شأنه من مطعمه ومشربه وما عزم عليه من أفعاله وما أكله وما ادخره في بيته وغير ذلك من شؤونه وأحواله لفعل، وهذا كقول المسيح (عليه السلام) ﴿**وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ**﴾[2]. قال إلا أني أخاف أن تكفروا فيّ برسول الله (صلى الله عليه وآله) أي أخاف عليكم الغلو في أمري وأن تفضلوني على رسول الله (صلى الله عليه ويله) بل أخاف عليكم أن تدعوا فيّ الإلهية كما ادعت النصارى ذلك في المسيح لما أخبرهم بالأمور الغائبة. ثم قال ألا وإني مفضيه إلى الخاصة أي مفضٍ به ومودع إياه خواص أصحابي وثقاتي الذين آمن منهم الغلو وأعلم أنهم لا يكفرون في بالرسول (صلى الله عليه وآله) لعلمهم أن ذلك من إعلام نبوته إذ يكون تابعًا من أتباعه وصاحبًا من أصحابه بلغ إلى هذه المنزلة الجليلة))[3]، ان هذا العلم من الاستشراف يدل على تكامل فكري فريد من نوعه، ولهذا خشي على قومه من فتنة كفتنة المسيح بعيسى (عليه السلام)، حين ادعوا انه الله، وان هذا العرض لأحداث المستقبل يحمل في ابعاده تنمية فكرية للأمة، بأن الرسول المصطفى (صلى الله عليه وآله) رسالته حقه،

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٠/ ١١.

(٢) آل عمران / ٤٩.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٠/ ١١، ١٢.

وهذا الإنباء بالمستقبل دليل واضح جلي، وهي طريقة للتنمية الايمانية في العقل الباطن، والذي ان زاد علمه ويقينه بالله زاد ايمانه وتوكله عليه سبحانه وتعالى.

٣. الفتن والحروب المستقبلية

لقد اخبر الإمام (عليه السلام)في كثير من المواضع في نهج البلاغة، عن الفتن والملاحم ومنها قوله (عليه السلام) لما عزم على حرب الخوارج وقيل له: انهم قد عبروا جسر النهروان، فقال: (مَصَارِعُهُمْ دُونَ النُّطْفَةِ، وَاللهِ لاَ يُفْلِتُ مِنْهُمْ عَشَرَةٌ، وَلاَ يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشَرَةٌ)[١]، والضمير في مصارعهم يعود إلى الخوارج، والمراد بالنطفة النهر، واستتابهم أمير المؤمنين (عليه السلام)، فرموه بالسهام، وقاتلهم الإمام (عليه السلام) فما نجى من الخوارج الا تسعة، تفرقوا في البلاد[٢]، وهذا الخبر من الاخبار التي تكاد تكون متواترة؛ لاشتهاره ونقل الناس كافة له، وهو من معجزاته واخباره المفصلة عن الغيوب، وقتل من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) ثمانية[٣].

وقال (عليه السلام) في الإخبار عن انقلاب الامور الدينية: ((**أَيُّهَا اَلنَّاسُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يُكْفَأُ فِيهِ اَلْإِسْلاَمُ كَمَا يُكْفَأُ اَلْإِنَاءُ بِمَا فِيهِ، أَيُّهَا اَلنَّاسُ إِنَّ اللهَ قَدْ أَعَاذَكُمْ مِنْ أَنْ يَجُورَ عَلَيْكُمْ وَلَمْ يُعِذْكُمْ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَكُمْ وَقَدْ قَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾**[٤]))[٥]، ان ما يريده الإمام بقوله هذا (((و المعنى انكم تقولون بأفواهكم ما ليس في قلوبكم، هذا كناية عن معاكستهم لدين الله،

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٢/ ٣.

(٢) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية خطبة: ١/ ٣١٣.

(٣) ظ: صفوة شروح نهج البلاغة، اركان التميمي: ١٣٤.

(٤) المؤمنون/ ٣٠.

(٥) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٧/ ١١٠.

وانهم تنكبوا عن طريقه إلى طريق المتاهة والضلالة،و المعنى ان الله سبحانه شرع لكم من الدين ما هو أمن وخير دنيا وآخرة[١]، واستخدم الإمام (عليه السلام) الآية دلالة على أن الله تعالى لا يلجئ الناس إلى الصلاح إذا فسدوا، بل يتركهم واختيارهم امتحانا لهم، فمن أحسن أثيب ومن أساء عوقب، ويحتمل أن يكون المراد بالابتلاء فيما بعد على وجه الاستقبال وهو ما يتناسب والمعنى الذي يريده الإمام (عليه السلام)[٢]، والذي يستفيده البحث ان علمه (عليه السلام) بالمستقبل واخباره به لناس لا يخلو من إعْمال التنمية في الإنسان نفسياً بزرع الاطمئنان في قلوب المؤمنين والخوف والرعب في نفوس المعاندين، وايضاً فائدة بأنه (عليه السلام)من أهل البيت(عليهم السلام) الذين علمهم من رسول الله وعلم الرسول من الله والله وسع علمه كل شيء، فالمعلومات التي يسقون بها العقول الخصبة تزداد ايماناً وتثمر عطاءً باقتفاء أثر آل محمد الذين لديهم ما يصلح الارض والبشرية التي تسعى للسعادة والتطور.

ثانياً: الطاقات التفكيرية عند الإمام علي (عليه السلام)

أ. القدرة على الإدراك:

هي الطَّاقة التي تفضل الإنسان على غيره، لقدرتها على الادراك والتفكير والإنسان هو الوحيد لديه قدرة التغيير الايجابي بعد حصول العمليات التفكيرية، حيث تكون لديه الاهداف والاحلام والتخطيط والتقييم[٣]، وهي نعمة من نعم الله التي لا تحصى التي انعمها على الإنسان، ومنها ما ذكره امير المؤمنين (عليه

(١) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٣/ ١٤٨.

(٢) ظ: الأثر القرآني في نهج البلاغة، د. عباس الفحّام: ٤٦٥.

(٣) قوة الطاقة البشرية والطريق إلى القمة، د. ابراهيم الفقي:٢٩.

السلام) يريد تنمية ادراك الأمة باهل البيت (عليهم السلام)، بعد ان توفرت المعلومات الكثيرة عن أهل البيت (عليهم السلام) واشتهرت بينهم[١]، بقوله (عليه السلام) ((**أُنْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَالْزَمُوا سَمْتَهُمْ وَاتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدًى وَلَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدًى فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبُدُوا وَإِنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا وَلاَ تَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا وَلاَ تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا**))[٢]، وهنا يوجه الإمام الناس إلى التوجه نحو ال النبي (عليهم السلام) والسير على طريقهم، وضرورة الاقتداء بهم في السلم او الحرب[٣]، فأهل البيت (عليهم السلام) جديرون بأن نتمسك بهم، إذ ((تمسكنا بهم ونقلنا أحاديثنا وأصول ديننا عنهم لما ثبت عندنا من عصمتهم))[٤]، فهم ساسة العباد، وأَركان البلاد، وسلالة النبيين، وأعلام التقى، ومصابيح الدجى، وذوي النهى، والائمة الدعاة، والقادة الهداة، وأهل الذكر، وأولي الأمر[٥]، ولقد تظافرت التفاسير والروايات أَنَّ المقصود بأهل البيت (عليهم السلام) هم أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) وهم (علي وفاطمة والحسن والحسين). فقد ورد في الدر المنثور((عن ام سلمة أن رسول الله ص قال لفاطمة: ائتيني بزوجك وابنيه، فجاءت بهم فألقى رسول الله ص عليهم الكساء فدكياً. ثم وضع يده عليهم ثم قال: اللهم أن هؤلاء أهل محمدوفي لفظ آل محمد- فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد، كما جعلتها على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، قالت

---

(١) ظ: شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٧/ ٧٦.

(٢) م - ن:٧/ ٧٦.

(٣) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٢/ ٢٢٢.صفوة شروح نهج البلاغة، اركان التميمي: ٢٤٣.

(٤) رسائل في دراية الحديث، ابو الفضل حافظيان: ٣٥٠-٣٥١.

(٥) ظ: حجج الله، صاحب واثق: ٣٦-٣٧.

ام سلمة فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه من يدي وقال: إنك على خير))[١] وفي كلامه تنمية للاطمئنان النفسي بأنهم لن يخرجوا من اقتدى بهم إلى ضلالة، وتنمية عقلية بضرورة الاستفادة منهم في كل شيء حتى في صمتهم او حركاتهم، وان الإمام (عليه السلام) يحاول في طي الكلام السير بالأمّة إلى بر الامان الذي اتت الرسالات من اجله في الارض.

ب. القدرة على التحليل:

اي قدرة تطلق على من يستطيع ان يحلل المعلومات والمحتويات بسرعة فائقة.[٢] قال الإمام علي (عليه السلام) مخاطباً كميل بن زياد: ((**يَا كُمَيْلُ اَلْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ اَلْمَالِ اَلْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وأَنْتَ تَحْرُسُ اَلْمَالَ واَلْمَالُ تَنْقُصُهُ اَلنَّفَقَةُ واَلْعِلْمُ يَزْكُوا عَلَى اَلْإِنْفَاقِ وصَنِيعُ اَلْمَالِ يَزُولُ بِزَوَالِهِ، يَا كُمَيْلَ بْنَ زِيَادٍ مَعْرِفَةُ اَلْعِلْمِ دِينٌ يُدَانُ بِهِ، بِهِ يَكْسِبُ اَلْإِنْسَانُ اَلطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ وجَمِيلَ اَلْأُحْدُوثَةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ واَلْعِلْمُ حَاكِمٌ وَاَلْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ، يَا كُمَيْلَ بْنَ زِيَادٍ هَلَكَ خُزَّانُ اَلْأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءٌ واَلْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ اَلدَّهْرُ أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ وأَمْثَالُهُمْ فِي اَلْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ**))[٣]، العلم هو المقياس الوحيد لفهم الحياة والقوة والتفوق في كل ميدان، ولكل خطوة تخطوها البشرية إلى الأمام، والمال عصب الحياة، وقاضي الحاجات من كبيرها وصغيرها، إلى كل ما في الدنيا من وسائل الترف وزينة الحياة، إلا إن الإمام يصنف العلم بدرجة مثلى، وقد سبق زمانه بأكثر من ألف وثلاثمئة عام حين تنبأ بمكانة العلم وعظمته في عصرنا وفي كل عصر يأتي من بعده، فالعلم هو اكثر نفع من المال،

(١) ظ: مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل: ٤ / ١٠٧. الميزان، الطباطبائي:١٦ / ٣١٦ - ٣١٧. رسائل في دراية الحديث، ابو الفضل حافظيان: ٣٥١. أهل البيت في القرآن والسنة، مؤسسة البلاغ: ٦

(٢) ظ: الطريق إلى القمة، د. ابراهيم الفقي: ٣٠.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد:١٨/ ٣٤٦.

لأن به ما يحرس الإنسان نفسه وماله[١] لقد استخدم الإمام حكمته التي قالها لكميل في تنمية الوعي بضرورة العلم وأهميته، فبالعلم يستطع ان يكون الإنسان آمناً وبمجرد المال فإن المال لا يستطع جلب السعادة، ولهذا فإن أهل العلم باقٍ ذكرهم، أما أهل الاموال فلا يكاد ان يعرفوا بمجرد انتهاء العمل او المصلحة بهم، ولهذا يحث الإمام بل يبين اهمية العلم، تحبيباً لطلبه وتحقيراً للمال امام العلم.

ج. القدرة على المقارنة:

وهي المقارنة بين المعلومات والمحتوى الموجود الآن، والمعلومات الموجودة في مخازن ذاكرته[٢]، ومنها موقفه (عليه السلام) من المعلومات المكذوبة التي نقلت اليه في طريقه لملاقاة الخوارج، والتي ذكرها ابن ابي الحديد بشرحه لنهج البلاغة، ((لما خرج علي (عليه السلام) إلى أهل النهر أقبل رجل من أصحابه ممن كان على مقدمته يركض حتى انتهى إلى علي (عليه السلام)، فقال البشرى يا أمير المؤمنين قال: ما بشراك؟ قال إن القوم عبروا النهر لما بلغهم وصولك فأبشر فقد منحك الله أكتافهم فقال له آلله أنت رأيتهم قد عبروا؟ قال نعم، فأحلفه ثلاث مرات في كلها يقول نعم، فقال علي (عليه السلام) والله ما عبروه ولن يعبروه وإن مصارعهم لدون النطفة والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لن يبلغوا الأثلاث ولا قصر بوازن حتى يقتلهم الله وقد خاب من افترى، قال ثم أقبل فارس آخر يركض فقال كقول الأول فلم يكترث علي (عليه السلام) بقوله وجاءت الفرسان تركض كلها تقول مثل ذلك؟ فقام علي (عليه السلام) فجال في متن فرسه قال فيقول شاب من الناس والله لأكونن قريبا منه فإن كانوا عبروا النهر لأجعلن سنان هذا الرمح

(١) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٤/ ٣١٤.

(٢) ظ: الطريق إلى القمة، د. ابراهيم الفقي: ٣٠.

في عينه؟ أيدعي علم الغيب؟ فلما انتهى (عليه السلام) إلى النهر وجد القوم قد كسروا جفون سيوفهم وعرقبوا خيلهم وجثوا على ركبهم وحكموا تحكيمة واحدة بصوت عظيم له رجل فنزل ذلك الشاب فقال يا أمير المؤمنين إني كنت شككتك فيك آنفا وإني تائب إلى الله وإليك فاغفر لي، فقال علي (عليه السلام) إن الله هو الذي يغفر الذنوب فاستغفره))[1]، نلاحظ كيف قارن الإمام علي(عليه السلام) بين المعلومات التي عنده وبين ما تم القسم عليه من المعلومات، ونلاحظ كيف ان الايمان الذي يملكه الإمام (عليه السلام)بعلمه باستشراف المستقبل عبارة عن حقيقة لا تقبل الشك او الطعن.

د. القدرة على اتخاذ القرار:

هي عملية عقلية عرفت بأنها استطاعة المخ ان يتخذ القرارات بناء على معطيات موجودة في الذاكرة[2]، قال الإمام علي (عليه السلام) ((**وَ إِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنْ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ اَلْقُطْبِ مِنَ اَلرَّحَى يَنْحَدِرُ عَنِّي اَلسَّيْلُ ولاَ يَرْقَى إِلَيَّ اَلطَّيْرُ فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً وطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ يَهْرَمُ فِيهَا اَلْكَبِيرُ وَيَشِيبُ فِيهَا اَلصَّغِيرُ وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ، فَرَأَيْتُ أَنَّ اَلصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى فَصَبَرْتُ وَفِي اَلْعَيْنِ قَذًى وفِي اَلْحَلْقِ شَجًا**))[3]، ويشرح كلامه ابن ابي الحديد، الذي هو بمثابة عرض لأسباب اتخاذ القرار فيقول إن محلي منها محل القطب من الرحى فليس من هذا النمط الذي نحن فيه ولكنه تشبيه محض خارج من باب الاستعارة والتوسع، يقول كما أن الرحى لا تدور إلا على القطب ودورانها بغير قطب لا ثمرة له ولا فائدة فيه كذلك نسبتي إلى

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد:٢/ ٢٧١.

(٢) -ظ: الطريق إلى القمة، د. ابراهيم الفقي:٣٠.

(٣) -شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد:١٣/ ١٥١.

الخلافة فإنها لا تقوم إلا بي ولا يدور أمرها إلا علي، ينحدر عني السيل يعني رفعة منزلته (عليه السلام) كأنه في ذروة جبل أو يفاع مشرف ينحدر السيل عنه إلى الوهاد والغيطان، لا يرقى إلي الطير هذه أعظم في الرفعة والعلو من التي قبلها لأن السيل ينحدر عن الرابية والهضبة وأما تعذر رقي الطير فربما يكون للقلال الشاهقة جدا بل ما هو أعلى من قلال الجبال كأنه يقول إني لعلو منزلتي كمن في السماء التي يستحيل أن يرقى الطير إليها، ضربت بيني وبينها حجابا فعل الزاهد فيها الراغب عنها، وأما قوله يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير، يعني بذلك صعوبة تلك الأيام حتى أن الكبير من الناس يكاد يهرم لصعوبتها والصغير يشيب من أهوالها كقولهم هذا أمر يشيب له الوليد وإن لم يشب على الحقيقة، فرأيت(وهنا اتخاذ القرار بناء على المصلحة الإسلامية) أن الصبر على هاتا أحجى فسدلت دونها ثوبا وطويت عنها كشحا، ثم صبرت وفي العين قذى إلى آخر القصة[1]. ان مما يلاحظ ان عملية اتخاذ القرار عملية تحتاج استراتيجية صحيحة واهدافًا إنسانية تقدم المصلحة العامة للأمة، وهي ما تستهدفه التنمية البشرية في عملية البناء الرصين للمجتمع.

ثالثاً: أساليب التنمية الفكرية لأمير المؤمنين (عليه السلام)

يبدو ان للتنمية البشرية اساليب تنموية للفكر الإنساني، وقد سبق الإمام علي (عليه السلام)العالم، بإرساء معالمها وهي كما يلي:

١. اسلوب تنمية الذاكرة الدورية

وهي التنمية التي تعتمد على الترداد والتكرار للمعلومة، وهي مفيدة في حفظ المعلومات وبيان اهميتها[2]، مثلًا الصلاة التي قال عنها الله تعالى: ﴿**إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ**

(١) ظ:م - ن:١٣/ ١٥١ - ١٥٥. نهج البلاغة صوت الحقيقة، د. صباح عنوز: ٦٨ -٧٩.

(٢) ظ: اسرار التفكير العلمي والابداعي، ابراهيم الموسى: ١٧.

عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾[١]، والتي كان حضور ذكرها الكثير في نهج البلاغة، لقيمتها عند الله تعالى، وسيذكر البحث من تلكم الشواهد على سبيل الايجاز:

١. قال الإمام علي (عليه السلام) في الصلاة لبيان انها معراج المربوب إلى الرّب، وأنها ما وصّى بها ابنه الامام احسن (عليه السلام) ((الله الله فِي اَلصَّلاَةِ فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ))[٢].

٢. الإمام علي (عليه السلام)يؤكد بخطبة له ما يغني عن الذكر الكثير لشواهد تكرار للصلاة والتأكيد على اهميتها وهو قوله (عليه السلام): ((**تعَاهَدُوا أَمْرَ اَلصَّلاَةِ وحَافِظُوا عَلَيْهَا وَاِسْتَكْثِرُوا مِنْهَا وتَقَرَّبُوا بِهَا فَإِنَّهَا كَانَتْ عَلَى اَلْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً أَ لاَ تَسْمَعُونَ إِلَى جَوَابِ أَهْلِ اَلنَّارِ حِينَ سُئِلُوا ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قالُوا لَمْ نَكُ مِنَ اَلْمُصَلِّينَ، وإِنَّهَا لَتَحُتُّ اَلذُّنُوبَ حَتَّ اَلْوَرَقِ وَتُطْلِقُهَا إِطْلاَقَ اَلرِّبَقِ وشَبَّهَهَا رَسُولُ الله (صلى الله عليه وآله) بِالْحُمَّةِ تَكُونُ عَلَى بَابِ اَلرَّجُلِ فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي اَلْيَوْمِ وَاَللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ اَلدَّرَنِ وَقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ اَلْمُؤْمِنِينَ اَلَّذِينَ لاَ تَشْغَلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ وَلاَ قُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ وَلاَ مَالٍ يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ الله وإِقامِ اَلصَّلاةِ وَإِيتاءِ اَلزَّكاةِ وَكَانَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وآله) نَصِباً بِالصَّلاَةِ بَعْدَ اَلتَّبْشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّةِ لِقَوْلِ الله سُبْحَانَهُ وأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاِصْطَبِرْ عَلَيْهَا فَكَانَ يَأْمُرُ بِهَا أَهْلَهُ وَيُصْبِرُ يَصْبِرُ عَلَيْهَا نَفْسَهُ**))[٣]، يشير ابن ابي الحديد في بيان معاني خطبة الإمام علي (عليه السلام)، أن الملفت للنظر في عملية التكرار في المعنى، هوما يؤدي من

(١) النساء/ ١٠٤.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٤/ ٥.

(٣) م-ن:١٧/ ٢٠٢.

معنى تنموي جميل وهو بيان خطر وعظم الصلاة وضرورتها للحياة وهو قوله / ((ليس لقائل أن يقول معنى قوله: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ لم نكن من القائلين بوجوب الصلاة لأنه قد أغنى عن هذا التعليل قوله وكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ لأن أحد الأمرين هو الآخر وحمل الكلام على ما يفيد فائدة جديدة أولى من حمله على التكرار والإعادة، فقد ثبت بهذا التقرير صحة احتجاج أمير المؤمنين (عليه السلام) على تأكيد أمر الصلاة وأنها من العبادات المهمة في نظر الشارع، قوله (عليه السلام) وإنها لتحتُّ الذنوب، والحتُّ نثر الورق من الغصن وانحات أي تناثر وقد جاء هذا اللفظ في الخبر النبوي بعينه. والربق جمع ربقة وهي الحبل أي تطلق الصلاة الذنوب كما تطلق الحبال المعقدة أي تحل ما انعقد على المكلف من ذنوبه وهذا من باب الاستعارة. ويروى تعهدوا أمر الصلاة بالتضعيف وهو لغة يقال تعاهدت ضيعتي وتعهدتها وهو القيام عليها وأصله من تجديد العهد بالشيء والمراد المحافظة عليه وقوله: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ أي واجبا وقيل موقوتا أي منجما كل وقت لصلاة معينة وتؤدى هذه الصلاة في نجومها. وقوله كتابا أي فرضا واجبا كقوله كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ اَلرَّحْمَةَ أي أوجب))[1]، ومن ما تقدم يكون امر التكرار من الوسائل المنمية للذاكرة الدورية.

٢ـ تنمية الذاكرة المنطقية

وهي عملية تعتمد على الترتيب والربط المنطقي[2]، لقد اسس الإمام علي (عليه السلام) في كلامه وخطبه لكل طريق نظامًا، ومنه التنمية البشرية في مجالها المختص بالذاكرة المنطقية،وطالما وجدنا هذا النظام حاضراً في كلامه ومنه،

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٢٠/ ٢٠٤.

(٢) ظ: اسرار التفكير العلمي والابداعي، ابراهيم الموسى: ١٧.

سلم المرتبة العبادية، اذ يقول ((**إِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللهَ رَغْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ اَلتُّجَّارِ وإِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللهَ رَهْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ اَلْعَبِيدِ وَإِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللهَ شُكْراً فَتِلْكَ عِبَادَةُ اَلْأَحْرَارِ**))[١]، ان ذكر مقام العابدين امر يستوقف ابن ابي الحديد بقوله ((هذا مقام جليل تتقاصر عنه قوى أكثر البشر وقد شرحناه فيما تقدم وقلنا إن العبادة لرجاء الثواب تجارة ومعاوضة وإن العبادة لخوف العقاب لمنزلة من يستجدي سلطانًا قاهرًا يخاف سطوته. وهذا معنى قوله عبادة العبيد أي خوف السوط والعصا وتلك ليست عبادة نافعة وهي كمن يعتذر إلى إنسان خوف أذاه ونقمته لا لأن ما يعتذر منه قبيح لا ينبغي له فعله، فأما العبادة لله تعالى شكرا لأنعمه فهي عبادة نافعة لأن العبادة شكر مخصوص، فإذا أوقعها على هذا الوجه فقد أوقعها الموقع الذي وضعت عليه))[٢]، أما هو (عليه السلام) فإن ((عبادته لم تكن خوفا ولا طمعاً، بل كانت اعظم من ذلك بكثير))[٣]، فلم تكن عبادته لاستدرار المرغوب ولدفع المرهوب بل اسمى وأزهى. وان الآخذ بهذه الحكمة لما يدفع باتجاه تطوير اسلوب العبادة[٤]، لاسيما عبادة التفكير التي ما برحت فكر علي (عليه السلام) في كل ما قاله وعمله (عليه السلام).

عوامل تنمية التفكير في نهج البلاغة

التفكير نعمة ربانية اختص بها الإنسان، فان كان تفكيراً سليماً، مستقيماً هداه الله تعالى وشرح صدره لمعرفة الله وعبادته على بصيرة، وإن امير المؤمنين (عليه السلام) لهو خير من تجسدت به نعمة التفكير وخير من استخدمها من البشر،

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد:١٩/ ٦٨.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد:١٩/ ٦٨.

(٣) الامام علي بن ابي طالب - حسين نجيب محمد: ٣١٢.

(٤) ظ: اخلاق الإمام علي (عليه السلام)- محمد صادق الخرسان:٢: ٥٨.

لأنه تلميذ من لا ينطق عن الهوى، فكان نتاجًا سماويًا ومصدر هدي للعالمين، وقد تضمنت خطبه وكلماته ما ينمي التفكير من العوامل الداخلية والخارجية، مختصرا على بعض النماذج لا للإحاطة بل للمثال الذي هو جزء من منظومة تربوية اخلاقية قد ملأت نهج البلاغة، وهي كما يلي:

١. العوامل الداخلية لتنمية العقل الباطن

وهي العوامل التي تنمي التفكير في العقل بالباطن الذي يخزن المعلومات، عن طريق استثارتها وتفعيلها بغية الوصول لنتائج مرغوب فيها[١] القيم - الدوافع - الميول، كأسلوب تنمية الامل عند المسلمين، بضرورة ترك القنوط من رحمة الله لاعتبار ان الله قد جعل القانط من الضالين وهو قوله: ﴿**وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ**﴾[٢]، ان الخطاب هنا ((يقع في خطاب المؤمنين في عدم اليأس من رحمة الله))[٣]، فعمد الإمام علي (عليه السلام) تنمية الأمل لديهم بقوله ((**عَجِبْتُ لِمَنْ يَقْنَطُ ومَعَهُ اَلِاسْتِغْفَارُ**))[٤]، المراد بالقنوط هنا اليأس من عفو الله ورحمته، وبالاستغفار التوبة[٥]، ويشير الإمام بهذا إلى قوله[٦]: ﴿**يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾[٧]، وفي الآية توجيه قرآني إلى عدم القنوط بشرط التوبة، لأن الله يغفر

(١) ظ: اسرار التفكير العلمي والابداعي، ابراهيم الموسى: ٢٠.
(٢) الحجر / ٥٦.
(٣) الاثر القرآني في نهج البلاغة،د. عباس الفحّام: ٥٢.
(٤) شرح نهج البلاغة،ابن ابي الحديد: ١٨/ ٢٣٩.
(٥) ظ: م.ن:١٨ / ٢٣٩.
(٦) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٤/ ٢٦٧.
(٧) الزمر / ٥٣.

الذنوب [١]، ولقد حمل الإسلام الأمة الإسلامية مسؤولية حضارية في حمل الدعوة وهداية البشر، وقيادتها إلى شاطئ الأمن والسلام، أي تقوم على التطور الإنساني وتنظيم المجتمع البشري من اجل توفير الحياة الكريمة لجميع افراد المجتمع[٢]، ليعيش الجميع بسلامة واطمئنان.

٢. العوامل الخارجية لتنمية العقل الواعي

وهي عوامل تنمي العقل الواعي عن طريق إدراك الأشياء والمعلومات وتجميعها وترتيبها وتنظيمها وصولاً لاتخاذ قرار[٣]، ومنها اساليب تنمية التفكر بجبار السماوات والارض، كقوله (عليه السلام): ((**وَجَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا وقَمَرَهَا آيَةً مَمْحُوَّةً مِنْ لَيْلِهَا وأَجْرَاهُمَا فِي مَنَاقِلِ مَجْرَاهُمَا وَقَدَّرَ سَيْرَهُمَا فِي مَدَارِجِ دَرَجِهِمَا لِيُمَيِّزَ بَيْنَ اَللَّيْلِ وَاَلنَّهَارِ بِهِمَا وَلِيُعْلَمَ عَدَدُ اَلسِّنِينَ وَاَلْحِسَابِ**))[٤]، لقد استخدم الإمام (عليه السلام) بعض المقال ذي الصورة الحسية التي تري القلب ببصيرته فضلا عن ما تستطيعه حاسته في نظرها للسماء، في كونها اية من آيات خالقها جل جلاله، فعرض الامام جملة امور منها ((لفظة مبصرة مستعارة، فقد شبهت آية الشمس بكائن مبصر، ثم حذف المستعار منه وأشير اليه مما يخصه وهو البصر بجامع الرؤية))[٥]، وهي من اساليب التنمية العقلية التي استخدمها الإمام علي (عليه السلام).

(١) ظ: الكشاف، الزمخشري: ٤ / ١٣٥.

(٢) ظ: الفكر الاقتصادي في نهج البلاغة، د. محسن الموسوي: ١٩٤.

(٣) ظ: اسرار التفكير العلمي والابداعي، ابراهيم الموسى: ٢٠.

(٤) شرح نهج البلاغة،ابن ابي الحديد:٧/ ٤١٩.

(٥) الاثر القرآني في نهج البلاغة،د. عباس الفحّام:٢٢٤.

المبحث الثالث

التكامل الجسماني للإمام علي(عليه السلام)

توطئة

الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) عطاء متواصل ومتجدد في مختلف الاتجاهات الإنسانية، فما من شيء موجود قد نالته البشرية او بَعْضُهَا، كُلُهُ او بَعضُه، إلا من ما ذكره الإمام (عليه السلام)، علمت البشرية او لم تعلم، إلا إنها ستعرف أن هذا الإنسان قد حمّل كل إنسان دَيناً على عاتقه، بوجود خير يصله، فما من خير الا من فيض وجوده (عليه السلام).

ومما شك فيه ولا شبه، إن التركيب والجسمية التي امتاز بها الإمام (عليه السلام) قد أدّت الدور الكبير والريادي في عمليه البناء للإنسان والمجتمع، بشكل معنوي ومادي، فتكون الدراسة لبيان الأثر الذي يتركه وجود الإمام علي (عليه السلام) في عملية التنمية البشرية.

عوامل التكامل الجسدي للإمام علي (عليه السلام)

١. عوامل إلهية

وهي عوامل تتعلق بالحكمة والعلم الخاص بالله، الحكيم المدبر، قال الإمام علي (عليه السلام) ((**أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا كَذِباً وبَغْياً عَلَيْنَا أَنْ رَفَعَنَا الله وَوَضَعَهُمْ وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ وأَدْخَلَنَا وأَخْرَجَهُمْ، بِنَا يُسْتَعْطَى الْهُدَى وَيُسْتَجْلَى الْعَمَى، إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ وَلَا تَصْلُحُ الْوُلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ**))[1]. جاء في بيان كلامه (عليه

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٤/ ٨٤.

السلام)ان الاعداء يعترفون برسوخ العلم عنده، من جهة ومن جهة اخرى، ان رفعة الإنسان ليست بالكراسي والمناصب، بل بما يترك من اثر مفيد ينتفع به اخوة الإنسان، والشيء الأهم هو ان مراد الإمام بأن الائمة من قريش، ان هذا الامر ليس من مخلوق بل من عند الله ورسوله [١]،كما ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله) ((لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان))[٢]،، اما السر باختيار الله له هي طيب السريرة والاصطفاء[٣]، وقد ورد كثير يؤكد هذا المعنى في كتب التفسير[٤]، خاصة في تفسير قوله ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ**[٥] **أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**[٦]﴾[٧]، ان الله تعالى اصطفى عليًا (عليه السلام)من بين خلقه في وراثته الكثير من شجرة النبوة، وما يترتب عليها من امور العصمة والخلافة، لأن ﴿**اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾[٨]، مضافاً لهذه الامور، عامل إلهي آخر وهو ما اجمع عليه المؤرخون في كتب التاريخ وهو مكان ولادته المباركة

(١) في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية:٢/ ٢١٣.

(٢) الجامع الصحيح المختصر، البخاري: ٣/ ٦٧٢٠.

(٣) في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية:٢/ ٢١٣.

(٤) ظ: جامع البيان، الطبري:٢٢/ ٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل:٤/ ١٠٧. مفاتيح الغيبالرازي: ٢٧/ ١٦٢. الميزانالطباطبائي:١٦ / ٣١٦. اضافة إلى الكتابات المعاصرة (: احاديث أهل البيت- د. عبد الهادي الفضلي: ٢٤-٣٣. حجج الله، صاحب واثق: ٣٦-٣٧. رسائل في دراية الحديث، ابو الفضل حافظيان: ٣٥١).

(٥) الرجس: الرِّجْسُ القذر وقد يعبر به عن الحرام والفعل القبيح والعذاب واللعنة والكفر (ظ: لسان العرب،ابن منظور:٩٤. غريب الحديثالهروي:١٩١:٢.

(٦) (والتَّطَهُّرُ التنزُّه والكَفُّ عن الإثم وما لا يُجْمُل ورجل طاهرُ الثياب أَي مُنَزَّه)./ ظ: لسان العرب، ابن منظور، باب طهر: ٥٠٤:٤.

(٧) الاحزاب / ٣٣.

(٨) الانعام / ١٢٤.

في مكة المكرمة، بشكل خارق لم يتكرر مع أحد غيره، كما انه لم يسبقه احد بذلك، قد اضفت عليه صبغة القداسة منذ ان ولد إلى اليوم، باعتبار انه إنسان مقدس، قد احاطت به عناية السماء، لحدوث كرامة شق الجدار لأمه (عليه السلام)، ولمكثه معها في البيت ثلاثة ايام، تحت رعاية السماء.[١] كانوا معجزة التاريخ البشري، وإشارة إلى مكانته عند الله تعالى، التي اولت السماء لها ولتنميتها اهمية منذ يوم ولد (عليه السلام) إلى يوم استشهاده.

وهناك قضية متعلقة بالتسديد الإلهي، وهو قوله (عليه السلام)((فَإِنِّي وُلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ))[٢]، والفطرة في اللغة ((شهادةُ أَن لا إله إلا الله وأَن محمداً رسوله))[٣]، وهي مفهوم قرآني ورد ذكره في قوله تعالى ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللهِ الّتي فَطَرَ النّاس عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ**﴾[٤]، اي هي فطرة التوحيد كما فسرها الرازي بقوله ((وهي التوحيد فإن الله فطر الناس عليه))[٥]، اي هي العصمة التي هي من مقتضياتها التوحيد، وهذا ما قاله ابن ابي الحديد ((يمكن أن يفسر بأنه (عليه السلام)أراد بالفطرة العصمة وأنه منذ ولد لم يواقع قبيحا))[٦].

---

(١) ظ: الامالي، الصدوق:١٩٤. الإمام علي امير المؤمنين الشخصية الإسلامية المعاصرة، عبد السلام الجعفري: ١٤. التربية والتعليم في خطاب الإمام علي (عليه السلام)، رفعت الناشيي: ٤٥. ظ: علي والغلاة، علي الطرابلسي: ١٨./ الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) السيرة الذاتية والاجتماعية: ٢١. الإمام علي والقيم الإنسانية، كوثر شاهين: ١٧. الإمام علي بن ابي طالب الشخصية الإسلامية الخالدة، حسين نجيب محمد: ٣٥.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٤/ ١١٤.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، ٥/ ٥٦.

(٤) الروم/ ٣٠.

(٥) مفاتيح الغيب، الرازي: ١٢/ ٢٣٥.

(٦) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٤/ ١١٥.

٢. عوامل وراثية

إن العامل الوراثي له الدور الكبير في البناء الإنساني النفسي والجسدي، وإن الإمام عليًا (عليه السلام)من ابوين موحدين[١]، وقيل اسلمت امه بعد خديجة، وابوه كتم إسلامه[٢]، وقد ولد (عليه السلام)مسلما موحدا[٣]، أو إنه أول من اسلم وآمن بالنبي (صلى الله عليه وآله)[٤]، اما ابوه فهو اخو عبد الله بن عبد المطلب ابي النبي صلامه وابيه، اي ان الإمام عليًا والنبي مرتبطان من حيث الوراثة بشكل عميق جدا، وان للسنة والقرآن موقفًا من حيث العامل الوراثي بين النبي والامام علي (عليه السلام)، وقد ذكر ذلك الإمام علي (عليه السلام) بقوله ((إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ وَلَا تَصْلُحُ الْوُلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ))[٥]. وهذا ما اكده ما روي عن جابر بن عبد الله الانصاري قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: ((الناس من اشجار شتى، وانا وعلي من شجرة واحدة))[٦]، اي من (هاشم)، اما ما جاء في كلام سيد الوصيين (عليه السلام)((ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم))[٧]، وهذا الذي جاء به امير المؤمنين (عليه السلام)يدل على ((التركيز على طهارة النسب وشرف الآباء،

(١) ظ الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) السيرة الذاتية والاجتماعية:٢٢.

(٢) ظ: علي امام المتقين، عبد الرحمن الشرقاوي: ١٨.

(٣) ظ: علي والغلاة، علي الطرابلسي: ١٨.

(٤) ظ: الإمام علي امير المؤمنين الشخصية الإسلامية المعاصرة، عبد السلام الجعفري: ١٦.

(٥) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٤/ ٨٤.

(٦) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الشافعي: ٩/ ١٢٠. / كلام سيد المرسلين في علي امير المؤمنين، ماجد زين الدين: ٢٩٩.

(٧) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٦/ ٢٢٩.، اقتبس الامام قوله هذا من القرآن الكريم من سورة آل عمران، الآية ٣٤، وان من معانيها هم آل محمد،كما ورد في تفسير السيد الطباطبائي: ٣/ ٩٣.

وانه من سلالة الانبياء، وذريتهم))[١]، اما موقف القرآن فهو الأقوى والأصدع والأوضح وقد ساعد كثيرا في رفع كل الشبهات التي لطالما وضعت من قبل النواصب، فقد جاء في محكم التنزيل: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾[٢]، ذكر الرازي ان المقصود من انفسنا وانفسكم هو ان ما ((دلت الآية على أن نفس علي هي نفس محمد، ولا يمكن أن يكون المراد منه، أن هذه النفس هي عين تلك النفس، فالمراد أن هذه النفس مثل تلك النفس، وذلك يقتضي الاستواء في جميع الوجوه))[٣]، وهو ما اكد معناه النسائي، برواية صحيحة، ان النبي قال ((**علي مني وأنا منه**))[٤]، وقد ورد هذا المعنى في جملة من الكتب، منها تفسير القمي وصحيح مسلم، وصحيح الترمذي وتفسير ابن جرير الطبري والاحتجاج للطوسي ومسند أحمد بن حنبل[٥]، وبهذا الاستدلال القرآني الحديثي يمكن للبحث ان يقول ان العامل الوراثي في الإمام علي هو نفسه عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو الذي أدبه الله تعالى ومدحه بأجمل عبارات التكامل حين قال سبحانه ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[٦]، مؤكدًا في القرآن نفسه ان هذا الخلق هو من فيض الله تعالى على خير البشرية (صلى الله

(١) صورة النبي في نهج البلاغة، د. عباس الفحّام: ١٥.

(٢) آل عمران / ٦١.

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي: ٤/ ٢٤١.

(٤) السنن الكبرى، النسائي: ٥/ ٤٥. ظ: ذكر الحديث في غيره من الكتب: ظ: كلام سيد المرسلين في علي امير المؤمنين، ماجد زين الدين: ٣٠٢.

(٥) ظ: روضة الخلاص في خير الناس، فاضل العلياوي: ٥١ -٥٥.

(٦) القلم / ٤.

عليه وآله) بقوله تعالى ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾[١]، اي انه لا ينطق بالباطل قط. كان نطقه حجة من حجج الله تعالى، فكيف يكون للهوى والشيطان عليه اعتراض؟[٢]، وكذلك علي (عليه السلام)كان الأنموذج الأكمل الذي يعد امتدادًا لرسالة النبي (صلى الله عليه وآله) وهو قوله ((**تَاللهِ لَقَدْ عُلِّمْتُ تَبْلِيغَ الرِّسَالَاتِ وَإِتْمَامَ الْعِدَاتِ وَتَمَامَ الْكَلِمَاتِ وَعِنْدَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ أَبْوَابُ الْحُكْمِ وضِيَاءُ الْأَمْرِ**))[٣]، نرى هنا أن الإمام قد اقسم وتكلم بضرس قاطع انه عَلِمَ تبليغ الرسالات، التي قال ابن ابي الحديد فيها انه، قد عَلم او عُلم ((أداء الشرائع إلى المكلفين والحكم بينهم بما أنزله الله وعلم مواعيد رسول الله التي وعد بها فمنها ما هو وعد لواحد من الناس بأمر نحو أن يقول له سأعطيك كذا ومنها ما هو وعد بأمر يحدث كأخبار الملاحم والأمور المتجددة وعلم تمام كلمات الله، أي تأويلها وبيانها الذي يتم به لأن في كلامه المجمل الذي لا يستغني عن متمم ومبين يوضحه. ثم كشف الغطاء وأوضح المراد فقال وعندنا أهل البيت أبواب الحكم يعني الشرعيات والفتاوى وضياء الأمر يعني العقليات والعقائد وهذا مقام عظيم لا يجسر أحد من المخلوقين أن يدعيه سواه (عليه السلام)ولو أقدم أحد على ادعائه غيره لكذب وكذبه الناس))[٤]، وقال (عليه السلام) ((**أَفْضَتْ كَرَامَةُ اللهِ إِلَى مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله) فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ اَلْمَعَادِنِ مَنْبِتاً وَأَعَزِّ اَلْأَرُومَاتِ مَغْرِساً مِنَ اَلشَّجَرَةِ اَلَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءَهُ وَانْتَجَبَ مِنْهَا أُمَنَاءَهُ عِتْرَتُهُ خَيْرُ اَلْعِتَرِ وَأُسْرَتُهُ خَيْرُ اَلْأُسَرِ وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ اَلشَّجَرِ نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ وَبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ**

(١) النجم / ٣، ٤.

(٢) ظ: تفسير التستري، التستري: ١٥٦.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٧/ ٢٨٨.

(٤) م - ن: ٧ / ٢٨٩.

لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ وَثَمَرٌ لاَ يُنَالُ فَهُوَ إِمَامُ مَنِ اِتَّقَى وبَصِيرَةُ مَنِ اِهْتَدَى))[١]، ويعلق ابن ابي الحديد على قول الإمام، ساعيا لبلوغ معناه بقوله ((أفضت كرامة الله إلى محمد (صلى الله عليه وآله) أي انتهت والأرومات جمع أرومة وهي الأصل ويقال أروم بغير هاء وصدع شق وانتجب اصطفى والأسرة رهط الرجل، وقوله نبتت في حرم يجوز أن يعني به مكة ويجوز أن يعني به المنعة والعز. وبسقت طالت ومعنى قوله وثمر لا ينال ليس على أن يريد به أن ثمرها لا ينتفع به لأن ذلك ليس بمدح بل يريد به أن ثمرها لا ينال قهرا ولا يجنى غصبا ويجوز أن يريد بثمرها نفسه (عليه السلام) ومن يجري مجراه من أهل البيت (عليه السلام) لأنهم ثمرة تلك الشجرة. ولا ينال أي لا ينال مساعيهم ومآثرهم ولا يباريهم أحد))[٢]، فوصف (شجرة)، يعطي مؤشرات جميلة منها، التشبيه بالأصل الواحد، أي أن الإمام أو أهل البيت متصلون بالنبي بأصل وراثي واحد، من حيث الأب والأم في سلالة النبي المصطفى[٣]، وقد أشار الإمام إلى أن ثمار الشجرة المحمدية تمتاز بالشرف والعلو حتى لا ينهب ثمره على حد تعبير التستري كل من اراد النهب منه، والمراد ان علوم النبي وكمالاته ليست عادية متعارفة حتى لا يدعي نيابة كل احد، وإن الإمام قد أراد التصوير بالشجرة أن جذوره ضاربة بجذور النبوة والتي ضاربت جذور النبوات. [٤]

وفي مجال التنمية البشرية تعد وراثة الإمام علي للنبي مصدرا مهما في نشر العدل والسلام والسعادة في ربوع الارض، والتي هي من اولويات مبادئ التنمية

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٧/ ٦٢.

(٢) م- ن: ٧/ ٦٣.

(٣) ظ: الإمام علي في الاحاديث النبوية، محمد الموحد: ٢٢٤.

(٤) ظ: صورة النبي في نهج البلاغة، د. عباس الفحّام: ١٥- ٢١.

البشرية في بناء الإنسان والمجتمع وتحقيق الرفاهية له، وهذا ما قاله ابو ذر الغفاري في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقوله ((أيتها الأمة المتحيرة بعد نبيها، اما لو قدمتم من قدم الله، وأخّرتم من أخّر الله، وأقررتم الولاية والوراثة في أهل بيت نبيكم، لأكلتم من فوق رؤوسكم ومن تحت اقدامكم، ولما عال ولي الله ولا طاش سهم من فرائض الله ولا اختلف إثنان في حكم الله إلا وجدتم علم ذلك عندهم من كتاب الله وسنة نبيه))[1]، وهذا ما لا يحتاج تفسيرًا في بيان اهمية علم الوراثة والكلام عن الاتصال الوراثي المباشر بين النبي المصطفى وعلي المرتضى وأثره في استعمار الارض واستصلاحها في كل ميادين الحياة، وهي ما ترومه منظومة التنمية البشرية في الارض، مقررة ما جاء به تراث الأمة الإسلامية من قبل أن تولد مفاهيمها قبل ألف وأربعمائة عام تقريباً، وهي مؤكدات تكامل النظام الإسلامي الشامل في عملية البناء والتقدم.

٣. العامل الأسري

إن الإمام عليًا (عليه السلام) من أهل البيت (عليهم السلام)وقد ورث الإسلام الكثير من ما يمكن أن يفيد في بيان الأثر الأسري على شخصية الإمام علي (عليه السلام) لا سيما في انوار كلامه في نهج البلاغة، مسلطين الضوء على الفترة الأهم والاكثر في حياته الاسرية مع شخص النبي المصطفى (صلى الله عليه وآله)، قال الإمام علي (عليه السلام) ((**وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ الله (صلى الله عليه وآله) بِالْقَرَابَةِ اَلْقَرِيبَةِ وَاَلْمَنْزِلَةِ اَلْخَصِيصَةِ وَضَعَنِي فِي حَجْرِهِ وأَنَا وَلَدٌ وَلِيدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ ويَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ ويُمِسُّنِي جَسَدَهُ ويُشِمُّنِي عَرْفَهُ وكَانَ يَمْضَغُ اَلشَّيْ ءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ ومَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ ولاَ خَطْلَةً فِي فِعْلٍ ولَقَدْ قَرَنَ اللهُ بِهِ**

(١) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، المحمودي:١/ ٣٣٩.

(صلى الله عليه وآله) مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلاَئِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ اَلْمَكَارِمِ ومَحَاسِنَ أَخْلاَقِ اَلْعَالَمِ لَيْلَهُ ونَهَارَهُ ولَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اِتِّبَاعَ اَلْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلاَقِهِ عَلَماً ويَأْمُرُنِي بِالاِقْتِدَاءِ بِهِ ولَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ فَأَرَاهُ ولاَ يَرَاهُ غَيْرِي ولَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي اَلْإِسْلاَمِ غَيْرَ رَسُولِ الله (صلى الله عليه وآله) وخَدِيجَةَ وأَنَا ثَالِثُهُمَا أَرَى نُورَ اَلْوَحْيِ واَلرِّسَالَةِ وَأَشُمُّ رِيحَ اَلنُّبُوَّةِ وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ اَلشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ اَلْوَحْيُ عَلَيْهِ (صلى الله عليه وآله) فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله مَا هَذِهِ اَلرَّنَّةُ، فَقَالَ هَذَا اَلشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وتَرَى مَا أَرَى إِلاَّ أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ ولَكِنَّكَ لَوَزِيرٌ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ))[1]، يلاحظ من قول الإمام انه قد حدّد اطوارًا في حياته مع رسول الله، طور تمثل بالمربي له، وطور هو المرافق الذي ما غاب عنه وكان المتعلم للعلوم والحكمة منه، وطور كان مثله، الا انه لا نبي بعده، وفي طوره الأول نجد فيه يصور الأبوة للنبي ودوره الكبير في حياته الاولى،، فبعد بلوغ النبي المصطفى مبلغ الرجال وتزوج بخديجة بنت خويلد استقل في حياته الجديدة وضمّ الامام اليه، حيث ان الامام نشأ في حجر النبي ولم يفارقه، وكان بمثابة الابن للنبي، عاش في هذه المرحلة مبكراً من حياته ثلاث سنين في بيت خديجة (سلام الله عليها)، اذ كان النبي قد اخذ عليا من ابيه، وهو صغير في سنة اصابت قريشا بقحط شديد، فاخذ حمزة جعفراً، وأخذ العباس طالباً، وأخذ هو عقيلا، فقال النبي اخترت من اختار الله لي عليكم: علياً، وكان يضعه بين حجره كما يفعل الأباء حيث يلاحظ ثمة تصوير للنبي يجسد الأب المربي الذي ولد في حضنه فيطعمه تارة ويشمه تارة أخرى في صورة حانية، محبة حباً شديداً، يضع مهده بقرب فراشه، ويحركه،

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد:١٣/ ١٩٧.

ويناغيه،ويطهره في غسله، ويحمله على صدره، وذلك في معرض كلام الامام عن فضل قرباه من ابن عمه[١]، ثم تكلم الإمام عن طور الملازمة للنبي (صلى الله عليه وآله)، التي استمرت ثلاثة وعشرين عاماً، انتهل من اخلاقه، وعلمه مشاركة هموم الرسالة الإلهية وأعبائها، وكان معه حيثما كان، كما قال (عليه السلام) ((**أَنَا مِنْ رَسُولِ الله كَالضَّوْءِ مِنَ اَلضَّوْءِ وَاَلذِّرَاعِ مِنَ اَلْعَضُدِ**))[٢]، فكانت رعاية النبي في هذا الدور الحيوي عبارة عن ((اداة لصقل دوافعه الدينية نحو الخالق عز وجل ووسيلة لتنمية مواقفه الحياتية والفكرية مع الدين الجديد القادم، وطريق لترسيخ الجمالية الدينية والأخلاق السماوية التي كان يتمتع بها رسول الله (صلى الله عليه وآله) في شخصيته))[٣]، والدور الثالث هو دور الحياة في ظل التكليف الإلهي بالنبوة، والذي قال عنها الإمام (عليه السلام) ((**بَعَثَهُ وَالنَّاسُ ضُلاَّلٌ فِي حَيْرَةٍ وَحَاطِبُونَ فِي فِتْنَةٍ قَدِ اِسْتَهْوَتْهُمُ اَلْأَهْوَاءُ واِسْتَزَلَّتْهُمُ اَلْكِبْرِيَاءُ وَاِسْتَخَفَّتْهُمُ اَلْجَاهِلِيَّةُ اَلْجَهْلاَءُ حَيَارَى فِي زَلْزَالٍ مِنَ اَلْأَمْرِ وبَلاَءٍ مِنَ اَلْجَهْلِ فَبَالَغَ (صلى الله عليه وآله) فِي اَلنَّصِيحَةِ ومَضَى عَلَى اَلطَّرِيقَةِ وَدَعَا إِلَى اَلْحِكْمَةِ واَلْمَوْعِظَةِ اَلْحَسَنَةِ**))[٤]، بعث الله النبي المصطفى للامة، وكان معه علي (عليه السلام)، وكانت الأمة في حيرة وضلال في الاعتقادات مبتعدة عن المنطق وحدود العقل، وهذا ما أشارت اليه كلمة (ضلال) بصيغة المبالغة، الذي يوحي معناه التخبط كله، اي ان حركاتهم

(١) -ظ: شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٣/ ١٩٩. صورة النبي في نهج البلاغة، د. عباس الفحّام: ٢٢-٢٤. ظ: علي امام المتقين، الشرقاوي: ١٨، ١٩. الإمام علي امير المؤمنين الشخصية الإسلامية المعاصرة، عبد السلام الجعفري: ١٨. الإمام علي بن ابي طالب السيرة الذاتية والاجتماعية، زهير الاعرجي: ٢٤.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد:١٦/ ٢٨٩.

(٣) الامام علي بن ابي طالب السيرة الذاتية والاجتماعية، زهير الاعرجي:٢٥.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٧ / ٦٦.

كانت على غير نظام في ضلال البدع، وقد قادهم الكبرياء والاهواء إلى الزلل والخطل عن طريق العدالة [١]، وبهذا الوضع الذي اتصفت به قريش، كان الإمام علي (عليه السلام) أول من آزره في دعوته من عشيرته، وأول من قبل دعوته، وقد قال فيه ((ان هذا أخي ووصيي، ووزيري، وخليفتي فيكم))[٢]، وقول النبي بخلافته هو المقطع الاخير الذي قاله الإمام في وصفه لحياته الاسرية مع النبي حين قال ((**أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ ولكِنَّكَ لَوَزِيرٌ وإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ**))[٣]، فكانت اثار النبوة قد ازهرت في البلاد بحد وصف الإمام علي (عليه السلام): ((**إِنَّ الله بَعَثَ مُحَمَّداً (صلى الله عليه وآله) وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً وَلَا يَدَّعِي نُبُوَّةً فَسَاقَ النَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ وَبَلَّغَهُمْ مَنْجَاتَهُمْ فَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ وَاطْمَأَنَّتْ صَفَاتُهُمْ**))[٤]، أي ان العرب كانوا في جهالة مهلكة، وضلالة مظلمة، لا يهتدون بكتاب إلهي ولا بسنة نبوية، دفع الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) بالناس إلى الإمام، وأنقذهم من الهلكة إلى سبيل النجاة، فاستقامت أمورهم، وسكنوا في ديارهم آمنين[٥]، ان قوة التغيير التي يمتلكها النبي (صلى الله عليه وآله)، لهي من اهم الامور التي عنت التنمية البشرية بتحقيقها عبر اهدافها التي تشكلت من اجلها، لأن التغيير من اهم النتائج التي تسعى لتحقيقها في منظونتها التي دعت لها في استراتيجية التنمية البشرية.

(١) ظ: صورة النبي في نهج البلاغة، د.عباس الفحّام: ٢٨.

(٢) الكافي، الكليني: ١/ ٣١٢.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد:١٣/ ١٩٧.

(٤) م - ن: ٧/ ١٨٥.

(٥) في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ١/ ٢٢١.

مؤشرات التنمية البشرية في شخصية الإمام علي (عليه السلام):

أ. الفداء:

لقد كانت حياة الإمام علي (عليه السلام)مع النبي عطاء وفداء في سبيل الإسلام، عطاءً لقيم الإنسانية، وفداء لأنه وضع كل شيء في سبيل الله وخدمة شريعته وابتغاء رضاه،وقد قال الإمام علي (عليه السلام) ((**إِنَّ أَكْرَمَ الْمَوْتِ الْقَتْلُ والَّذِي نَفْسُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مِيتَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ فِي غَيْرِ طَاعَةِ الله**))[١]، فبعد اجتماع قريش على قتل الرسول، قولهم ليس لديه اليوم احد يحميه، بعد وفاة عمه[٢]، وهو ما يسرده بقوله ((**أمرني أن أضطجع مضجعه وأن أقيه بنفسي، فأسرعت إلى ذلك مطيعا له مسرورا به ولنفسي على أن افتك موطنا، فمضى (عليه السلام) لوجهه واضطجعت مضجعه وأقبلت رجالات قريش موقنة في أنفسها بقتل النبي (صلى الله عليه وآله) فلما استوى بي وبهم البيت الذي أنا فيه نهضت بسيفي، فدفعتهم عن نفسي بما قد علمه الناس**))[٣]، وهو الموقن فإن ((**مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَىَ فِرَاشِهِ وهُوَ عَلَىَ مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ وحَقِّ رَسُولِهِ وأَهْلِ بَيْتِهِ مَاتَ شَهِيداً ووَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى الله واسْتَوْجَبَ ثَوَابَ مَا نَوَى مِنْ صَالِحِ**))[٤]، بل لاشك ولا ريب انه بفدائه بنفسه النبي (صلى الله عليه وآله) ((**آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ**))[٥]، ان الفداء مع العقيدة تولد السعادة في كل الظروف، وهذا سر السعادة في التنمية البشرية، التي تعتمد على

(١) شرح نهج البلاغة. ابن ابي الحديد: ٧/ ٣٠٠..

(٢) ظ: الإمام علي امير المؤمنين الشخصية الإسلامية المعاصرة، عبد السلام الجعفري: ٢٢.

(٣) الاختصاص، العكبري: ٢ / ١٦٥..

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٣/ ١١١.

(٥) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، المحمودي ٧ / ١٣٢.

اليقين والثقة وتحقيق الذات وكلها عند الإمام علي فوق المقاييس البشرية، فهي من عطاء الله الذي لا ينفد.

ب. المعروف:

إن طاقة المعروف إذا مر ذكرها فإنها لا تستحق أن تعرف إلا من خلال علي (عليه السلام)، الذي يجب ان تدرس سيرته لكل متعلم ومعلم في علوم التنمية البشرية، وقد قال (عليه السلام) في بيانه لهذه الطاقة ((**فَمَنْ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَلْيَصِلْ بِهِ الْقَرَابَةَ وَلْيُحْسِنْ مِنْهُ الضِّيَافَةَ وَلْيَفُكَّ بِهِ الْأَسِيرَ وَالْعَانِيَ وَلْيُعْطِ مِنْهُ الْفَقِيرَ وَالْغَارِمَ وَلْيَصْبِرْ نَفْسَهُ عَلَى الْحُقُوقِ وَالنَّوَائِبِ ابْتِغَاءَ الثَّوَابِ**))[1]، وهذا كان تصرفه (عليه السلام) في كثير من المواطن يختصر البحث على ما ذكره ابن ابي الحديد ((وقد ظهر صحة ما قلناه يوم الجمل حيث ظفر بمروان بن الحكم وكان أعدى الناس له وأشدهم بغضا فصفح عنه. وكان عبد الله بن الزبير يشتمه على رؤوس الأشهاد وخطب يوم البصرة فقال قد أتاكم الوغد اللئيم علي بن أبي طالب، وكان علي (عليه السلام) يقول ما زال الزبير رجلا منا أهل البيت حتى شب عبد الله فظفر به يوم الجمل فأخذه أسيرا فصفح عنه وقال اذهب فلا أرينك لم يزده على ذلك. وظفر بسعيد بن العاص بعد وقعة الجمل بمكة وكان له عدوا فأعرض عنه ولم يقل له شيئا. وقد علمتم ما كان من عائشة في أمره فلما ظفر بها أكرمها وبعث معها إلى المدينة عشرين امرأة من نساء عبد القيس عممهنَّ بالعمائم وقلدهن بالسيوف، فلما كانت ببعض الطريق ذكرته بما لا يجوز أن يذكر به وتأففت قالت هتك ستري برجاله وجنده الذين وكلهم بي، فلما وصلت المدينة ألقى النساء عمائمهن وقلن لها إنما نحن نسوة. وحاربه أهل البصرة وضربوا وجهه ووجوه

(١) نهج البلاغة، محمد عبده: ٢ / ٢٥.

أولاده بالسيوف وشتموه ولعنوه، فلما ظفر بهم رفع السيف عنهم ونادى مناديه في أقطار العسكر ألا لا يتبع مول ولا يجهز على جريح ولا يقتل مستأسر ومن ألقى سلاحه فهو آمن ومن تحيز إلى عسكر الإمام فهو آمن، لم يأخذ أثقالهم ولا سبى ذراريهم ولا غنم شيئا من أموالهم ولو شاء أن يفعل كل ذلك لفعل ولكنه أبى إلا الصفح والعفو وتقيل سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم فتح مكة فإنه عفا والأحقاد لم تبرد والإساءة لم تنس. ولما ملك عسكر معاوية عليه الماء وأحاطوا بشريعة الفرات وقالت رؤساء الشام له اقتلهم بالعطش كما قتلوا عثمان عطشا سألهم علي (عليه السلام) وأصحابه أن يشرعوا لهم شرب الماء فقالوا لا والله ولا قطرة حتى تموت ظمأ كما مات ابن عفان، فلما رأى (عليه السلام) أنه الموت لا محالة تقدم بأصحابه وحمل على عساكر معاوية حملات كثيفة حتى أزالهم عن مراكزهم بعد قتل ذريع سقطت منه الرؤوس والأيدي وملكوا عليهم، الماء وصار أصحاب معاوية في الفلاة لا ماء لهم، فقال له أصحابه وشيعته امنعهم الماء يا أمير المؤمنين كما منعوك ولا تسقهم منه قطرة واقتلهم بسيوف العطش وخذهم قبضا بالأيدي فلا حاجة لك إلى الحرب، فقال لا والله لا أكافئهم بمثل فعلهم افسحوا لهم عن بعض الشريعة ففي حد السيف ما يغني عن ذلك، فهذه إن نسبتها إلى الحلم والصفح فناهيك بها جمالا وحسنا وإن نسبتها إلى الدين والورع فأخلق بمثلها أن تصدر عن مثله (عليه السلام)))[1]، ما تستطيع التنمية البشرية ان تنظر في مقابل هذا الصرح الملائكي، إلا أن تحني له رأسها اجلالاً وإكراماً.

ج. المناجزة:

الطَّاقة التي استخدمها ضد من يبارزه في ساحات القتال، والتي كانت مضرب

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١/ ٢٢-٢٤.

الامثال، وحكاية الازمان والركبان، ومنه تعلم فرسان الإسلام فنون الشجاعة، وضروب الرجولة والفروسية، ولو كانت له ضربة عمرو بن ود، لكفته مدى الدهر،[١] قال (عليه السلام): ((**مَا لَقِيتُ رَجُلاً إِلاَّ أَعَانَنِي عَلَىَ نَفْسِهِ**))[٢]، وقد ذكر ابن ابي الحديد ما يحتاج اليه المقام بقوله ((أما الشجاعة فإنه أنسى الناس فيها ذكر من كان قبله ومحا اسم من يأتي بعده ومقاماته في الحرب مشهورة، يضرب بها الأمثال إلى يوم القيامة وهو الشجاع الذي ما فر قط ولا ارتاع من كتيبة ولا بارز أحدا إلا قتله ولا ضرب ضربة قط فاحتاجت الأولى إلى ثانية، وفي الحديث كانت ضرباته وترا ولما دعا معاوية إلى المبارزة ليستريح الناس من الحرب بقتل أحدهما قال له عمرو لقد أنصفك، فقال معاوية ما غششتني منذ نصحتني إلا اليوم أ تأمرني بمبارزة أبي الحسن وأنت تعلم أنه الشجاع المطرق أراك طمعت في إمارة الشام))[٣]، فالمناجزة، هي طاقة ذات بعد كبير في تحقيق الثقة الكبيرة في النصر على الأعداء، فقد قال (عليه السلام): ((**وَاللهِ لَوْ تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَا وَلَّيْتُ عَنْهَا وَلَوْ أَمْكَنَتِ الْفُرَصُ مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا**))[٤]، فقد كان بشجاعته(عليه السلام) ((مضرب الامثال، ولم يهرب من معركة قط، وكانت العرب تعتبر الفرار من الحرب عارا إلا من سيف أمير المؤمنين (عليه السلام)))[٥] حتى اشتهر النداء، عبر التاريخ بـ((لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار))[٦]،دلالة لمواقفه المرتبطة

(١) علي والغلاة، علي الطرابلسي: ٢٤.

(٢) في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٤ / ٣١٨.

(٣) شرح نهج البلاغة،ابن ابي الحديد:١/ ٢٠.

(٤) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، المحمودي: ٥ / ٢١.

(٥) شرح نهج البلاغة برواية مدرسة الخلافة، قاسم الحائري: ٢٩٦.

(٦) علي امام المتقين، الشرقاوي: ٣٧.

بإيمانه العميق بالله تعالى والذي جعله بهذه القوة التي يستحقها، والتي وظبها لخدمة الإسلام والشرع المقدس.

د. الترويض:

إن من الصعب أن يتكلم أحدٌ عن طاقته سلام الله عليه في هذا المجال، فقد ((روى عنه أنه كان يسقي بيده لنخل قوم من يهود المدينة حتى مجلت يده ويتصدق بالأجرة ويشد على بطنه حجرا. وقال الشعبي وقد ذكره (عليه السلام) كان أسخى الناس كان على الخلق الذي يحبه الله السخاء والجود ما قال لا لسائل قط))[١]، وقد قال (عليه السلام) ((**والله لَأَرُوضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تِهَشُّ مَعَهَا إِلَى الْقُرْصِ إذا قَدَرْتُ عَلَيْهِ مَطْعُوماً وتَقْنَعُ بِالْمِلْحِ مَأْدُوماً وَلَأَدَعَنَّ مُقْلَتِي كَعَيْنِ مَاءٍ نَضَبَ مَعِينُهَا مُسْتَفْرِغَةً دُمُوعَهَا**))[٢]، وقد عنى الإمام (عليه السلام) بذلك ((ليروضن نفسه أي يدربها بالجوع والجوع هو أصل الرياضة عند الحكماء وأرباب الطريقة. قال حتى أهش إلى القرص، أي إلى الرغيف وأقنع من الإدام بالملح. ونضب معينها فني ماؤها. ثم أنكر على نفسه فقال أ تشبع السائمة من رعيها بكسر الراء وهو الكلأ والربيضة جماعة من الغنم أو البقر تربض في أماكنها وأنا أيضا مثلها أشبع وأنام. لقد قرت عيني إذا حيث أشابه البهائم بعد الجهاد والسبق والعبادة والعمل والجد في السنين المتطاولة))[٣]، ان مباني الترويض التي تحتاجها الموارد البشرية في عملية التنمية، تحتاج ان تستقي من عذب علوم التنمية التي كانت قطرة من فيض وجوده.

---

(١) شرح نهج البلاغة،ابن ابي الحديد:١/ ٢٢.

(٢) في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٤/ ١٩.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٦/ ٢٩٥.

هـ الذوبان في المعبود:

لقد ذاب الإمام علي في حضرة المعشوق، فلم يرَ اهمية لوجود جنة او نار بالنسبة له، فقد مُلأ ايمانًا وانعكس على جميع حركاته وسكناته، وكان في اعلى درجات اليقين[١]، وهو قوله (عليه السلام) ((**لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا**))[٢]، وقد كان حبه لله وعبادته قد جعلت منه عبدا حرا، وقال في ذلك (عليه السلام) ((**لم أعبده خوفا ولا طمعا لكني وجدته أهلا للعبادة فعبدته**))[٣] إن الإمام عليًا (عليه السلام) كان ((اعبد الناس بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، منه تعلم الناس صلاة الليل والتهجد والادعية المأثورة، لقد كان يفرش له بصفين والسهام تتساقط حوله، وهو لا يلتفت عن ربه ولا يغير عادته ولا يفتر عن عبادته، وكان إذا توجه إلى الله توجه بكليته وانقطع نظره عن الدنيا وما فيها حتى انه يبقى لا يدرك الألم لأنهم كانوا إذا أرادوا اخراج الحديد والنشاب من جسده الشريف تركوه حتى يصلي، فاذا اشتغل بالصلاة وأقبل إلى الله اخرجوا الحديد من جسده ولم يحس، فاذا فرغ من صلاته يرى ذلك فيقول لولده الحسن(عليه السلام): ان هي إلا فعلتك يا حسن. ولم يترك صلاة الليل قط حتى في ليلة الهرير))[٤]، لأنه ذاب في الله وعبوديته.

و. نكران الذات:

لقد كان الإمام علي (عليه السلام)، كرسول الله (صلى الله عليه وآله) لا يعمل الا لمصلحة عليا فيها نجاة الأمة، وقد قال (عليه السلام): ((**وَوَالله لاَسْلِمَنَّ**

(١) الامام علي امير المؤمنين، عبد السلام الجعفري: ١٩.

(٢) شرح نهج البلاغة،ابن ابي الحديد: ١٣/ ٨.

(٣) م - ن: ١٠/ ١٥٧.

(٤) سنن الإمام علي (عليه السلام)، لجنة الحديث معهد باقر العلوم (عليه السلام): ١١٧.

مَاسَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلاَّ عَلَيَّ خَاصَّةً، الْتِمَاساً لأجر ذلِكَ وَفَضْلِهِ، وَزُهْداً فِيمَا تَنافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِبْرِجِهِ))[١]. أي أنه (سلام الله عليه) قد قسم لهم انه ((ليتركن الخلافة لهم، إذا كان تنازعه عن الخلافة سلامة امور الأمة، ولم يكن الجور والظلامة إلا عليه خاصة))[٢]، وفي هذا النص عدة رسائل منها تأكيده على سلامة امور المسلمين التي كان حريصًا عليها اكثر من حرصه على نفسه، الصبر عنده لله تعالى فيلتمس الأجر منه، اي انه لا يرجو من احد جزاء.

ز. التأسي:

قد أوصى أمير المؤمنين (عليه السلام) بالتأسي بالرسول المصطفى (صلى الله عليه وآله) وهو قوله: **((فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَرِ (صلى الله عليه وآله) فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى وعَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى))**[٣]، باعتبار انه صلوات ربي عليه وآله النموذج الذي يمثل خلق الله العظيم في أرضه، **﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾**[٤]، ومن بعد هذا التوجيه عرض نفسه اسوة للعالم اجمع بطريقة عبر عن مشاعره بطريقة مشاركته الناس في الحياة، فيكون أسوة حسنة بقوله (عليه السلام) **((أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ أَوْ أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ))**[٥]، ولقد جاء في الأخبار الصحيحة أنه (عليه السلام) قال إنه عبد لله تعالى يأكل أكلهم ويجلس جلوسهم وكان يأكل على الأرض ويجلس جلوس العبيد يضع قصبتي ساقيه على الأرض

(١) - نهج البلاغة - هاشم الميلاني: ١٨٢، ١٨١.

(٢) شرح نهج البلاغة برواية مدرسة الخلافة، قاسم الحائري: ٣٨٠.

(٣) شرح نهج البلاغة،ابن ابي الحديد: ٩ / ٢٣٢.

(٤) العلق / ٤.

(٥) -في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٤/ ١٧.

ويعتمد عليهما بباطني فخذيه وركوبه الحمار العاري آية التواضع وهضم النفس وأردف غيره خلفه[١] أي انه كان ابلغ من قوله في التواضع والأخلاق الحميدة في التواضع التي يوجه بها الناس إلى ضرورة التأسي بالنبي (صلى الله عليه وآله) والتأسي به لأنهم مضرب المثل في مشاركة الناس بحياتهم، مما يبعث في نفوسهم الإقدام على أعمال الخير والفضيلة.

ح. الاستعداد:

وهي الطَّاقة الناتجة من الإيمان بالموت والخروج من هذا العالم وتدفعه للعجلة والمسارعة بعمل الخيرات، إذ إن الفترة التي يعيشها الإنسان في الدنيا بالنسبة للآخرة قليلة[٢]، وهذا الشعور واضح في قول الامام امير المؤمنين (عليه السلام): **((كُونُوا قَوْماً صِيحَ بِهِمْ فَانْتَبَهُوا وَعَلِمُوا أَنَّ اَلدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارٍ فَاسْتَبْدَلُوا فَإِنَّ الله سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً ولَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى ومَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وبَيْنَ اَلْجَنَّةِ أَوِ اَلنَّارِ إِلاَّ اَلْمَوْتُ))**[٣]، ان ما يريده الامام هو ((صاح بكم الموت للرحيل، فاستيقظوا من سباتكم وكونوا من الذين علموا أن الدنيا ليست لهم بدار سعادة وإقامة، بل دار فناء وبلاء (فاستبدلوا). أي كونوا من الذين استبدلوا الثمين بالرخيص، والباقي بالفاني أي اشتروا ذاك بهذا.(فإن الله سبحانه لم يخلقكم عبثا). وفيه إيماء إلى ان الدنيا لو كانت هي الغاية من خلق الإنسان لكان خلقه عبثا لا معنى له، لأن وجوده أمدا قصيرا في هذه الحياة لا يستدعي كل ما أودع الله فيه من أسرار وطاقات، وإذن فلا بد أن يكون القصد من خلق الإنسان ووجوده في الدنيا أن يهيئ نفسه لحياة أسمى وأبقى، (ولم يترككم سدى) بلا تكليف ونذير وبشير (وما بين أحدكم

(١) -ظ/ شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٩/ ٢٣٤.

(٢) ظ: الدنيا في نهج البلاغة، مكتبة الروضة الحيدرية: ٤٠.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٣ / ١٤٥.

وبين الجنة أو النار إلا الموت أن ينزل به) لا محالة مهما طال عمره، وبلغ نصيبه من الصحة والجاه والثراء، وليس بعد الموت إلا الحساب، والجزاء بالنعيم على عمل الخير، أو الجحيم على فعل الشر))[١]. ونلاحظ ان الامام قد جسد كل شيء لبناء الإنسان حتى ذكر الموت، وهو عدم الخلق للعبث بل ان الحياة ممر لكل خير ان تهيئ الإنسان للصالحات من الافعال، وهو تفعيل للطاقة الايمانية داخل الإنسان، لأن هذه الطَّاقة تنمي الكثير من التفكير والسلوك الايجابي عند الإنسان، والذي يشمل اعمال الخير، كقوله (عليه السلام) ((**مَنِ ارْتَقَبَ الْمَوْتَ سَارَعَ إِلَى الْخَيْرَاتِ**)[٢]، وكان الإمام علي (عليه السلام) قد استثمر هذه الطَّاقة حتى اصبحت له أنسًا جميلًا ((لَابْنُ أَبِي طَالِبٍ آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ))[٣]، لانه (عليه السلام)كان في اوج الشوق للمعشوق الذي ذاب فيه كما مر، وان حب الموت شيء اما الانس به فهي مرحلة فاقت حبه له وهي مرتبة تفرد بها (عليه السلام) على كثير من الناس بل حتى الانبياء[٤]، ان الاستعداد للموت يعني عمل الصالحات، يعني البناء، يعني اصلاح الارض، يعني اشاعة الحب والرخاء وهي كلها من صميم ما تراه التنمية البشرية قائمة به.

ط. القوة الربانية:

إن القوة البدنية للإمام علي على الرغم من عدم توفر مقوماتها المتعلقة بمصادر التغذية الكافية، حسب ما ينقل ابن ابي الحديد ((ما شبع من طعام

(١) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ١/ ٣٢٤-٣٢٥.

(٢) شرح نهج البلاغة، البحراني: ٥ / ٣١١.

(٣) في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ١ / ١٠٦.

(٤) ظ: بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة،:٤ / ٤٢١

قط وكان أخشن الناس مأكلا وملبسا))[١] إلا أن قوته (عليه السلام)، قد فاقت الخيال لأنها ((لم تكن قوة جسمانية صرفة بل قوة الايمان، قوة ربانية)[٢]، وهذا ما قاله الإمام (عليه السلام) ((**والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية بل بقوة إلهية**))[٣]، على الرغم من أن ما يتناوله لا يفي بإعطائه هذه الطاقة، قد ذكر ابن ابي الحديد عن هذه القوة ما نصه ((وهو الذي قلع باب خيبر واجتمع عليه عصبة من الناس ليقلبوه فلم يقلبوه وهو الذي اقتلع هبل من أعلى الكعبة وكان عظيما جدا وألقاه إلى الأرض وهو الذي اقتلع الصخرة العظيمة في أيام خلافته (عليه السلام) بيده بعد عجز الجيش كله عنها وأنبط الماء من تحتها))[٤]، ان المتأمل لقوله (عليه السلام) في التكلم عن قوته وارجاعها لكرم الله تعالى عليه، ما هي الا تنمية لكل مطلع على كلامه او سامع له او منقول إليه، بأن الإنسان إذا أطاع الله تعالى يكرمه بما يحتاج إليه ولو قلع بابًا ثقيلًا كباب خيبر، إضافة إلى انه تشجيع للإيمان بالله وتعميق الثقة به بكونه يعطي ما يشاء وكيفما يشاء حسب الحكمة، واشارة اخرى بأنه الوحيد من اتباع النبي (صلى الله عليه وآله) الذي قد كانت عنده مؤشرات طاعة الله الكاملة، بحيث أعطاه وامام الناس جميعا ما يحتاجه الإسلام بوقتها في فتح خيبر، ودلالتها توجيهية بأنه الوحيد الذي يستحق ان يلي خلافة الارض من بعد النبي المختار (صلى الله عليه وآله)، وينمي في الأمة هذا الانجاز الكبير عن طريق التوثيق له والتأكيد عليه بالقسم الواضح، وان هذا النص وغيره من النصوص وفي مختلف جوانب الشخصية لديه كلها تحمل العديد

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد:١ / ٢٦. الإمام علي امير المؤمنين، عبد السلام الجعفري: ٢٨.

(٢) الامام علي (عليه السلام)و القيم الإنسانية، كوثر شاهين: ٢٠٤.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد:٥/ ٧.

(٤) م - ن: ١ / ٢١. الاختصاص، العكبري: ٢ / ١٦٧.

من مضامين توجيهية يمكن ان يتعرف عليها الإنسان إن أمعن النظر فيها، أو انتبه إليها بتوجيه من غيره، فعلي (عليه السلام) ثروة هائلة جعلها الله مفتحة لمن أراد أن يرتوي من معالم الدين والدنيا، وهذا مجرد القول اما الاعمال التي كان يعملها ويرسخ مفاهيمها النظرية، ايضاً هي الاخرى تحمل العديد من المضامين وكلها تحمل الصفة التوجيهية بما يريده الله من الإنسان، في ميدان التقدم والتطور.

الفَصْلُ الثَّانِي

موضوعات التنمية البشرية في نهج البلاغة

توطئة

التنمية البشرية من أهم الموضوعات التي زاد الكلام عنها في الكتب التأليفية والابحاث العلمية في كل جوانب الحياة التي يعيشها الإنسان، إذ انه يمتد ليشمل جوانب الحياة الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية، وتعد التنمية احدى وسائل الارتقاء بالبيئة والإنسان فهي تعمل على الموارد الطبيعية وتعزيز قيمتها الاقتصادية وتحقيق التنمية الاجتماعية[1]، التي تهدف إلى رفاهية الإنسان ورفع مستوى المعيشة وتحقيق اقصى استثمار للطاقات والإمكانات البشرية في المجتمع[2]،بغية وصول التنمية الاجتماعية ذروتها في تحقيق التنمية البشرية في المجتمع عن طريق بناء الإنسان والمجتمع والتي كانت اهداف حاضرة وبأجمل صورها في حياة الإمام علي (عليه السلام) في كل الظروف ومختلف المواقف.

(١) ظ: تحليل مؤشرات التنمية السياحية المستدامة في دول مختارة مع الإشارة إلى العراق، عبير السعدي: ٤١.

(٢) ظ: أثر المعلومات في التنمية الاجتماعية والاقتصادية في العراق، سلمان وفيق: ٣٦.

المبحث الاول

بناء الإنسان في نهج البلاغة

جميل أن تَحطَ رحالَ الباحثين في منابع المعرفة، وأجمل منها أن تجد المنبع متصلاً بشجرة النبوة التي تمثل الشريعة الخاتمة والديانة الكاملة، التي ستخفق راياتها في كل ربوع المعمورة، ولو كره الكافرون.

يبدو للبحث أن الإمام عليًا (عليه السلام) خير من جسد التشريع الأمثل في بناء الإنسان، وما جاءت التنمية البشرية إلا لأجل أن تحقق هدفها في تنامي البشرية وسعادتها، والتي تصاغرت أساليبها ومحتوياتها أمام فكر أمير المؤمنين (عليه السلام)، لاسيما في عملية بناء الإنسان، وليس عيبًا أن تدعي التنمية انها تلميذة علي (عليه السلام)، وإن تكابرت فهي ليست تنمية، وإن رفضت الدخول، إلا من الشباك، خرجت من جلبابها في التنمية، ولم يبق للتنمية إلا الباب الذي يفتح له من كل باب ألف باب من العلم، ونأمل بهذا المبحث أن نكون موفقين في بيان ما تشرفت به الكتب المخصصة لنهج البلاغة من كلام سيد المرسلين في مجال تنمية الإنسان وبنائه.

يبدو أن الإسلام بعقيدته وشريعته سعى لتلبية مطالب التنمية للمجتمع ولأهم عنصر فيه وهو الإنسان، وتنمية جوانبه العقلية وجوانبه النفسية والروحية معا، دون تفرقة أو شتات[١]، أي ان التنمية البشرية تنمي الإنسان كفرد في المجتمع، وقوة تأثيره في التغيير الايجابي في البيئة العامة وتطويرها[٢]، بوسائل تنموية تسهم بتنمية الإنسان عقليا، ونفسيا، وروحيا وهي كما سيأتي:

(١) ظ: التعددية والحرية في الإسلام المذاهب، محمد مهدي شمس الدين: ١٥.

(٢) ظ: الرسول الاعظم والتنمية البشريةالتراحم انموذجاً، محمد صادق الخرسان: ٥٥.

أولاً: التنمية العقلية

إن السيطرة على وظائف الجسم وإعادة تركيبه من عمل العقل الذي باستطاعته ان يطلق حالة حيوية كامنة ويحرر الإنسان من النقص ويجعل الإنسان ينمو نمواً صحيحاً[١]، وبشكل قطعي يستلزم الركون إلى ركن وثيق، وهو الإمام علي (عليه السلام) والذي يقول: (فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ نَفْعَ مَا أُوتِيَ مِنَ الْعَقْلِ والتَّجْرِبَةِ)[٢]، فعلى الرغم من أن الإمام (عليه السلام) قد قالها، فيما رواه التاريخ عن خديعة عمرو بن العاص لأبي موسى الأشعري في قضية التحكيم،[٣]، إلا إن الكلام يبدو للباحث في ظاهره دعوة عامة للاستفادة من العقل والتجارب عبر الزمن، التي ان لم يلتزم بها الإنسان فإنه سيشقى، وهو الظاهر من كلامه (عليه السلام)، ولكي ينجو الإنسان من مخالب سطوة الشهوات التي تدمر الجسم والعقل والدنيا والآخرة، لا سبيل له إلا بتقوية سلطة العقل[٤]، التي لا تتم إلا باصلاح النفس بطريق العقل والتدبير[٥]، ولطريق العقل والتدبير اساليب تنموية تضمن الحاجة إلى الحرية الفكرية والتنمية العقلية والتأمل الحر في الكون، وتنمية الحس وتقوي المنطق في تصور الاشياء كل ذلك حاجة إنسانية اصيلة[٦]، سعى الإمام علي (عليه السلام)لتحقيقها في بناء الإنسان، كما تسعى التنمية بأساليبها العقلية إلى تحقيقها، عبر بعض الطرق التنموية ومنها ما جاء في كتاب نهج البلاغة

(١) ظ: البرمجة اللغوية العصبية، ضياء حسين: ٥٤،٥٥.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٨/ ٧٤.

(٣) ظ: بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، التستري: ٨/ ٣٥.

(٤) ظ: محاضرات في الدين والاجتماع، مرتضى مطهري: ١٦٦.

(٥) ظ: الإنسان في فكر الشهيد مرتضى مطهري، احمد حسين عودة: ٧٠

(٦) ظ: حقوق الإنسان بين الإعلانين الإسلامي والعالمي، محمد علي التسخيري:١٩.

كالمشاورة والتأمل الفكري والعصف الذهني واستحضار التاريخ، والتي لها بالغ الأثر في عملية التنمية.

إن من أهم ما سعى إليه الإمام (عليه السلام)هو تنمية العقل بالاستشارة، وهي ((من الأساليب التي دعا اليها الإمام علي (عليه السلام)في مجال التنمية العقلية، مشاورة الآخرين ومناقشتهم من اجل الاستفادة من علومهم وتجاربهم))[١]، وقد قال في التحذير من الذين لا يستحقون المشاورة: ((**وَلاَ تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلاً يَعْدِلُ بِكَ عَنِ اَلْفَضْلِ ويَعِدُكَ اَلْفَقْرَ**))[٢]، يبدو أن أمير المؤمنين (عليه السلام) يقصد هنا النظام الشوري في مقابل الاستبداد والدكتاتورية، وهو مجرد الاستئناس برأي من ترى منه الوعي والنصيحة، والإمام (عليه السلام) ينهى عن الأخذ برأي الجبان والبخيل))[٣]، فلو انتبهنا إلى كلمة (يعدك الفقر) فإنها تذكر بقول الله تعالى ﴿**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ**﴾[٤]، فيلاحظ ان الفقر قد اقترن بالشيطان في الآية المباركة، وقول امير المؤمنين،[٥] فهذا يدل على أن الإمام قام بتنمية العقل الباطن للإنسان عن طريق التحذير من مشورة البخيل، الذي يقابل الشيطان ومن ثم لا يستحق أن يستشيره أحد ولو برجاء الاستئناس على حد تعبير محمد جواد مغنية.

واستخدم الإمام علي(عليه السلام) أسلوباً آخر في تنمية العقل وهو أسلوب التأمل الفكري هو عبارة عن سلسلة من النشاطات العقلية غير المرئية التي يقوم

(١) المبادئ والاساليب التربوية في نهج البلاغة،اميرة برغل: ٢٥٢.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد:٦/ ٣٦.

(٣) في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٤/ ٩٥.

(٤) البقرة/ ٢٦٨.

(٥) ظ: الأثر القرآني في نهج البلاغة، د.عباس الفحّام: ٩٩.

بها الدماغ عندما يتعرض لمثير يتم استقباله عن طريق واحدة او أكثر من الحواس الخمس، بحثا عن معنى في الموقف او الخبرة،[١] فهو ((كل ما يجري داخل العقل كالإحساس والإدراك))[٢]، ومن اهم ما يساعد على نمو العقل، في نظر الإمام علي (عليه السلام)، هو تعويده على التأمل والتفكر فيما يعرض على الإنسان من الحقائق والمعلومات ينظر لها بعمق وعدم الاكتفاء بالمعرفة السطحية[٣]، (**فَإِنَّمَا الْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَكَّرَ، وَنَظَرَ فَأَبْصَرَ، وَانْتَفَعَ بِالْعِبَرِ، ثُمَّ سَلَكَ جَدَداً وَاضِحاً يَتَجَنَّبُ فِيهِ الصَّرْعَةَ فِي الْمَهَاوِي، وَالضَّلاَلَ فِي الْمَغَاوِي**)[٤]،ويقصد من (نظر) إلى باطن الأمور (فأبصر) الواقع (وذكر) الله (فاستكثر) من العمل في رضاه، (وارتوى من عذب فرات) أي من دين الله وشريعته (سهلت له موارده فشرب نهلا) هذا، بعد أن أخلص النية، وصدق منه العزم، وجدَّ في العمل (وسلك سبيلا جددا) أي طريق العلم والعمل، لا طريق النفاق والشعارات الزائفة [٥].
أي ان التأمل العقلي يقي الوقوع في الهوه والشبهات التي تغوي الناس فتضلهم[٦] وهو عينه التفكير الإبداعي والذي يعني اكتشاف علاقات جديدة والقدرة على استنطاق تلك العلاقات والافصاح عنه، بمعنى انه عبارة عن الربط بين العلاقات الجديدة وبين العلاقات القديمة التي سبق لغيره اكتشافها وتوظيفها لتحقيق اهداف معينة[٧] ومن اساليب التأمل هو النظر في مخلوقات الله تعالى، كما

(١) فلسفة التفكير لقوة الشخصية، ابراهيم الموسى: ٨.
(٢) قوة التأثير ووحدة الهدف، عامر الرفاعي: ٩٤.
(٣) المبادئ والاساليب التربوية في نهج البلاغة، اميرة برغل:٢٤٩-٢٥٠.
(٤) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٩ / ١٥٨.
(٥) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ١ / ٤٣٠.
(٦) ظ: شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٩ / ١٦٠.
(٧) ظ: فلسفة التفكير لقوة الشخصية، ابراهيم الموسى:١٣٠-١٣١.

قال (عليه السلام)((**فَانْظُرْ إِلَى اَلشَّمْسِ وَاَلْقَمَرِ وَاَلنَّبَاتِ وَاَلشَّجَرِ وَاَلْمَاءِ وَاَلْحَجَرِ وَاِخْتِلاَفِ هَذَا اَللَّيْلِ وَاَلنَّهَارِ وتَفَجُّرِ هَذِهِ اَلْبِحَارِ وكَثْرَةِ هَذِهِ اَلْجِبَالِ**))[١]، أي ان الامام قد أمر بالنظر للشمس والقمر وغيره، والى الليل والنهار وما فيهما من اختلاف وتعاقبهما في الذهاب والمجيء[٢]، وقد وصف الإمام علي (عليه السلام) اختلاف الليل والنهار وتعاقبهما بمشهد فكري خيالي يرسم طريق التفكير والتعقل لدى الإنسان وهو قوله (عليه السلام)((**وإِنَّ غَائِباً يَحْدُوهُ اَلْجَدِيدَانِ اَللَّيْلُ وَاَلنَّهَارُ لَحَرِيٌّ بِسُرْعَةِ اَلْأَوْبَةِ**))[٣]، فقد شبهها (عليه السلام)بحادي الابل الذي يسوقهما فتعطيه سالكا بها سبيلا يقصده، لما يستلزمه الإنسان من إعداد لقرب اجله، المشبه بصوت الحادي الذي يحدو الابل لسرعة سيرها، فقد شبه الإنسان في الحياة بإبل والليل والنهار ورائه يحدوانه واطلق عليه صفة الغائب على اساس عودته إلى مستقره التي هي داره الحقيقية وهي دار الآخرة[٤]، فإن الله تبارك وتعالى قد سخر هذه الطوابير الـ (هائلة من الكواكب والانظمة، وربط الكون بخدمتنا، وكلما غاص العلماء في حقائق الكون وجدوا ان الإنسان يشكل العنصر الأبرز في التكريم والتعظيم لله)[٥]، واي تعظيم اكبر من نعمة العقل والتفكر، وقد استخدم الإنسان ملاحظته بحواسه لهذه المخلوقات، وجعلها اسلوبا من اساليب تنمية الفكر الإنسان للوصول للمعبود الأوحد تبارك وتعالى.

وايضا استخدم الإمام علي (عليه السلام)الاسلوب المهم في تنمية العقل الذي

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٣/ ٥٦.

(٢) – ظ: الأثر القرآني في نهج البلاغة، د.عباس الفحّام: ٢٢٣.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٣/ ١٤٥.

(٤) ظ: الأثر القرآني في نهج البلاغة، د.عباس الفحّام:٢٢٦، ٢٢٧.

(٥) فلسفة الحياة، جعفر حسن عتريسي: ٢٠٢.

تعتمده التنمية البشرية بشكل مهم،هو العصف الذهني، وفي هذا الاسلوب ((يتم الاعداد للمشكلة عن طريق التفكير وتجميع المعلومات الخاصة بها ويعمل الموجه هنا على توليد الحلول البديلة))[١]، التي تمتاز بالإبداع الذي ((هو نتاج الرغبة في التطوير))[٢]، بغية انتاج شيء جديد لم يكن موجودا من قبل على هذه الصورة، وصياغتها وتعديلها باستخدام المعطيات الجديدة للوصول إلى نتائج جيدة لتقدم للآخرين[٣]، وقد استخدم امير المؤمنين (عليه السلام)هذا الاسلوب، بقوله ((**فَاعْلَمُوا وأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ بِأَنَّكُمْ تَارِكُوهَا وَظَاعِنُونَ عَنْهَا وَاتَّعِظُوا فِيهَا بِالَّذِينَ قَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلاَ يُدْعَوْنَ رُكْبَاناً وأُنْزِلُوا اَلْأَجْدَاثَ فَلاَ يُدْعَوْنَ ضِيفَاناً**))[٤]، يبدو ان الإمام (عليه السلام)يريد (بأن الذي قضوا وماتوا، لا أحد يشعر بوجود الآخر. تناحروا على الدنيا حين كانوا من أهلها، ولما ارتحلوا عنها انقطعت أسباب الشحناء والبغضاء. أي ليس من شأنهم أن يحقدوا على أحد، أو يخاف منهم أحد بعد أن أصبحوا ترابا وعظاما منهم لا يملكون شيئا إلا أعمالهم، كما انهم عند الموت فارقوا جميع ما يملكون[٥]، وهو التخويف من الطغيان في الدنيا والاغترار بها وبما هم فيه واستقرارهم بعد وفاتهم في القبور[٦] ويبدو ان الامام قد احضر معه عملية محاكاة ما بخزانة افكارهم، من ان الإنسان تارك الدنيا، وما يجري بعدها عليه، لهي عصفة تستحق ان يقف الإنسان امامها تنمية

(١) دراسات في سيكولوجية التفكير، د. رضا الموسوي: ١١٣.

(٢) اساليب النجاح،هادي المدرسي: ٩٢.

(٣) قوة التاثير ووحدة الهدف،عامر الرفاعي: ١٠٩-١١٠.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد:٧/ ٢٢٨.

(٥) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٢/ ١٧٢،١٧٣.

(٦) ظ: الأثر القرآني في نهج البلاغة، د.عباس الفحّام: ٤٦٣.

للعمل الصالح، واستعدادا ليوم عظيم، وهذه العملية هي العصف الذهني التي استثمرها الإمام (عليه السلام) في عملية تنمية المعرفة العقلية.

ويبدو أن لعملية تنمية العقل أثر مهم عند الإمام علي (عليه السلام)، لاسيما من خلال استذكار واستحضار التراث والتاريخ والاستفادة منه، واخذ العبر، التي هي محط اهتمام الدراسات الحديثة في مجالات التنمية، وقد قال الإمام علي (عليه السلام)((**اِعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ اَلْمَاضِينَ وَذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ اَلْأَوَّلِينَ وسِرْ فِي دِيَارِهِمْ وآثَارِهِمْ فَانْظُرْ فِيمَا فَعَلُوا وَعَمَّا اِنْتَقَلُوا وَأَيْنَ حَلُّوا وَنَزَلُوا فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ قَدِ اِنْتَقَلُوا عَنِ اَلْأَحِبَّةِ وَحَلُّوا دَارَ دِيَارَ اَلْغُرْبَةِ وَكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ فَأَصْلِحْ مَثْوَاكَ وَلاَ تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ**))[1]، يبدو أن الإمام (عليه السلام) يفعّل عملية استذكار الماضي بطريقة التعايش معهم، لأن نسيان الموت والفناء يؤدي إلى العمى والطغيان، بل أدى ببعض الغافلين إلى ادعاء الربوبية وتذكيره أنه عما قريب ينزل إلى قبره جثة هامدة، ويتلخص بأن على العاقل أن لا يغتر بالدنيا وسلطانها وزينتها ومالها، فالأوائل أصابوا الكثير من لذاتها، ثم فارقتهم وفارقوها (فأصلح مثواك) بادخار الحسنات لوقت الحاجة وإلا لحقتك الحسرة والندامة[2]. وهو قوله سِر في ديارهم، لأن السير في الديار لهو اعظم أثرا واكثر وقعاً في نفسه، وطلب المزاوجة بالافكار المتحركة الممتدة في اثناء التأمل، وكلها عمليات عقلية تنمي العقل، الا ان الفرق بين ما يريده الإمام علي (عليه السلام) هو السعادة للإنسان في الدارين عن طريق التسليم لله والعمل للاخرة، اما منظرو التنمية البشرية، فهم يؤمنون بالاستفادة من التاريخ، إلا إنهم لا يجدون

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٦/ ٦٣.

(٢) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية:٣/ ٤٨٨.

للتفاعل مع الحضارة التاريخية المتمثلة بالقبور حصراً أية اهمية، اما امير المؤمنين (عليه السلام)، يجعل القبور محطة للاعتبار ومبادرة للعمل الصالح.

وكما ان وجود الإمام عطاء مستمر فكذلك ما يضعه من طرق لتنمي العقل ومنها، المادة العلمية التي تصلح للتقدم والبناء والتكامل، وأكد على ضرورة انها لا تقبل الخطا، لان العلم الذي يحتمل البناء للإنسان أو لا، لايصلح ان يكون مادة تنموية، فحث الإمام (عليه السلام)الإنسان الذي يرغب التطور والتقدم الفكري، بالاستسقاء من القرآن الكريم، وسنة الرسول الأعظم وأهل بيته (عليهم السلام)،باعتبار انهم مصدر للمعلومات وما يحتاجه البشر في حياتهم[١]، فقد ورد عنه (عليه السلام) ((**وَتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ وتَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ واسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ وأَحْسِنُوا تِلَاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ الْقَصَصِ وَإِنَّ الْعَالِمَ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ كَالْجَاهِلِ الْحَائِرِ الَّذِي لَا يَسْتَفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ بَلِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ والْحَسْرَةُ لَهُ أَلْزَمُ وهُوَ عِنْدَ الله أَلْوَمُ**))[٢]، عملية الاستفادة من القرآن الكريم، لها عدة وجوه يعرضها الإمام (عليه السلام)، فالقرآن ربيع القلوب، شفاء الصدور، ثم ذكر الإمام (عليه السلام) أن العالم الذي لا يعمل بعلمه كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق من جهله، ثم قال بل الحجة عليه أعظم لأنه يعلم الحق ولا يعمل به، فالحجة عليه أعظم من الحجة على الجاهل، والحسرة له ألزم لأنه عند الموت يتأسف ألا يكون عمل بما علم والجاهل لا يأسف ذلك الأسف. ثم قال وهو عند الله ألوم أي أحق أن يلام لأن المتمكن عالم بالقوة وهذا عالم بالفعل فاستحقاقه اللوم أكيد[٣]، ويبدو ان الإمام قد جعل من معلومة القرآن مادة ذات

(١) علوم نهج البلاغة، د. محسن الموسوي: ١١٧.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٧/ ٢٢١.

(٣) م - ن: ٧/ ٢٢٦.

حاجة ماسة له في التكامل او التقدم للإنسان، وهذا خلاف التنمية البشرية التي تخضع للامم المتحدة واليونسكو، إذ إنها لا تعتمد القرآن بظاهرها، الا ان الإمام عليًا يعد القرآن ضرورة للتنمية العقلية، بوصفها رافداً متكامل الأفكار والمنهج، الذي يستهدف البناء الحقيقي للإنسان.

أما الرافد العلمي الأصيل الثاني الذي يستخدمه الإمام علي في عملية بناء الإنسان بعد القرآن الكريم فهم محمد وآل محمد صلى الله عليهم اجمعين، بوصفهم الشجرة التي اصلها ثابت وفرعها في السماء، فقد قال الإمام (عليه السلام) بهم ((**هُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ ومَوْتُ الْجَهْلِ يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ وظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ وصَمْتُهُمْ عَنْ حِكَمِ مَنْطِقِهِمْ لَا يُخَالِفُونَ الْحَقَّ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَهُمْ دَعَائِمُ الْإِسْلَامِ ووَلَائِجُ الِاعْتِصَامِ بِهِمْ عَادَ الْحَقُّ إِلَى نِصَابِهِ وانْزَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ مُقَامِهِ وانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنْبِتِهِ عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلَ وِعَايَةٍ وَرِعَايَةٍ لَا عَقْلَ سَمَاعٍ وَرِوَايَةٍ فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ وَرُعَاتَهُ قَلِيلٌ**))[1]، كلماته فيهم عبارة عن أمر وإشارة إلى أهل البيت (عليهم السلام)، بضرورة الأخذ بسيرتهم التي تميزت بطابعها الرسالي الخالد ((بهم يحيا العلم ويموت الجهل، فسماهم حياة ذاك وموت هذا نظرا إلى السببية، يدلكم حلمهم وصفحهم عن الذنوب على علمهم وفضائلهم، ويدلكم ما ظهر منهم من الأفعال الحسنة على ما بطن من إخلاصهم، ويدلكم صمتهم وسكوتهم عما لا يعنيهم عن حكمة منطقهم، ويدلكم صمتهم على منطقهم وليس في هذه الرواية لفظة حكم. لا يخالفون الحق لا يعدلون عنه ولا يختلفون فيه كما يختلف غيرهم من الفرق وأرباب المذاهب))[2]، وهذا توجيه تنموي لايوجد الا في مدرسة علي

(١) م.ن: ١٣/ ٣١٧.

(٢) – شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٣/ ٣١٧.

(عليه السلام)، إذ إن مصادر المعلومة عنده تكون من القرآن ومن عدله آل البيت عليهم الصلاة والسلام.

ثانياً: التنمية النفسية في نهج البلاغة:

يبدو أن البناء الإنساني الذي سعى الإمام علي (عليه السلام) لارساء التنمية العقلية فيه، ابى أن يترك التنمية النفسية، فالعقل والنفس هما جانبا البناء الإنساني في عملية التنمية، ((هدف بعثة الأنبياء ونزول الكتب السماوية هو تزكية النفس)[١]، لأن تزكيتها يعني فتح الأبواب الكبرى للتغيير الأيجابي، وتزكيتها يعني الدخول بالتغير الأكبر في المجتمع، إذ لاتغير فيه دون تزكية النفس، بل تتعدى حدود الإنسان بالفرد والمجتمع فقط، لتأخذ صورة إيجابية كبرى ومهمة تتمثل بكونها ((انعكاس ايجابي ومفيد على الإنسان في حياته الدنيوية والاخروية))[٢]، وقد ذكر الإمام علي (عليه السلام)، ما ينمي النفسية الإنسانية، وخاصة ما يساعد في سمو النفس الإنسانية، ((ويرى الإمام (عليه السلام) ان تهذيب النفس واصلاحها يبدأ من التخلي عن ملذات الدنيا، لذلك كثر في كلامه الايصاء بذلك والتنفير من الركون إلى الدنيا))[٣]، ومن اقواله التي يذكرها مذكرا ومخوفا ((**صْرِتُمْ إِلَىَ مَا صَارُوا إِلَيْهِ وارْتَهَنكُمْ ذَلِكَ الْمَضْجَعُ وضَمَّكُمْ ذَلِكَ الْمُسْتَوْدَعُ فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ تَنَاهَتْ بِكُمُ الْأُمُورُ وبُعْثِرَتِ الْقُبُورُ هُنالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ ما أَسْلَفَتْ ورُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ**))[٤]، بكلمات قد رسمت مشهدًا من مشاهد ما بعد الموت، وحياة القبر ونهاية الاختبار لمعرفة الآثار من الاعمال، حيث تبلى

(١) دروس في فقه النفس الإنسانية،حسين نجيب محمد: ٨٥.

(٢) م - ن: ٨٦.

(٣) الاثر القرآني في نهج البلاغة، د.عباس الفحّام:٤٤٩.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٣/ ٢٥٨،٢٥٧.

كل نفس بما كسبت، ان من علم الإمام وسعيه لتنمية الخوف وهو عاطفة توجد عند كل إنسان، فسعى لتنمية الجزء الإيجابي من هذه العاطفة وهي التخويف من القبر والآخرة، ولهذا حث ((على العمل والاستعداد للقيامة الكبرى التي توفى فيها كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون. وتساءل الإمام: ما ذا تصنعون آنذاك إذا كنتم عزلا من كل سلاح؟ أنتم الآن على مفترق الطرق، وعليكم أن تختاروا لأنفسكم السلامة والنجاة))[1]، واستمر الإمام في تنمية هذه العاطفة بشكل يجعل من الإنسان في موقع الحدث، إذ إن الإنسان ان لم تسعفه حسناته، سيكون مصيره لجهنم، وقد وصف الإمام جهنم بقول تقشعر له الجلود، وتضطرب له الافئدة وهو قوله (عليه السلام) ((**اِعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهَذَا اَلْجِلْدِ اَلرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَى اَلنَّارِ فَارْحَمُوا نُفُوسَكُمْ فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَّبْتُمُوهَا فِي مَصَائِبِ اَلدُّنْيَا فَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ اَلشَّوْكَةِ تُصِيبُهُ وَاَلْعَثْرَةِ تُدْمِيهِ وَاَلرَّمْضَاءِ تُحْرِقُهُ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ طَابَقَيْنِ مِنْ نَارٍ ضَجِيعَ حَجَرٍ وَقَرِينَ شَيْطَانٍ أَعَلِمْتُمْ أَنَّ مَالِكاً إِذَا غَضِبَ عَلَى اَلنَّارِ حَطَمَ بَعْضُهَا بَعْضاً لِغَضَبِهِ وَإِذَا زَجَرَهَا تَوَثَّبَتْ بَيْنَ أَبْوَابِهَا جَزَعاً مِنْ زَجْرَتِهِ**))[2]، يقول ابن ابي الحديد يصف هذه الملحمة الجهنمية، ((الرمضاء الأرض الشديدة الحرارة والرمض بالتحريك شدة وقع الشمس على الرمل وغيره وقد رمض يومنا بالكسر يرمض رمضا اشتد حره وأرض رمضة الحجارة ورمضت قدمه من الرمضاء احترقت، والطابق بالفتح الآجرة الكبيرة وهو فارسي معرب. وضجيع حجر يومئ فيه إلى قوله تعالى ﴿**وَقُودُهَا اَلنَّاسُ وَاَلْحِجَارَةُ**﴾ قيل إنها حجارة الكبريت. وقرين شيطان يومئ فيه إلى قوله تعالى: ﴿**قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ**﴾. وحطم بعضها بعضا كسره أو أكله والحطمة من أسماء النار لأنها تحطم ما تلقى ومنه سمي الرجل

(١) في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٣/ ٣٢٥.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٠/ ١٢٢.

الكثير الأكل حطمة))[١]، ويبدو ان العذاب يضاعف ويزيد، كما ورد في ظلال نهج البلاغة، في معرض بيان كلامه (عليه السلام) واعتبر كلام الإمام انه ((قليل ويسير، وينبغي أن يضاعف أضعافا كثيرة لمن أفسد على الناس حياتهم، ونهب أقواتهم، وألقى بقنابله على الآمنين، ولوث الجو ودم الإنسان والحيوان بقنابله النووية وتفجيرها.))[٢]، فالإمام يصف حال المعاندين في جهنم، تخويفا للسامعين، لإبعادهم عن مصائر الهلكات، وتجنيبا لهم من جهنم والندم، حين لاينفع المال والولد، فالإمام يسعى لتحقيق السعادة عن طريق التخويف من المعوقات لها عن طريق الاستعداد للآخرة بالأعمال الصالحة[٣] وهو ما تريده التنمية في رفع العناء عن البشر ودفع الآلام والأوجاع وكل الأخطار.

وكذلك ويسعى الإمام علي (عليه السلام) إلى بناء الإنسان عن طريق التقوى، وهي ((قوة روحية تتولد للإنسان من التمرين العملي الذي يحصل من الحذر المعقول والمنطقي من الذنوب))[٤] وقيل في معنى التقوى ((انها الاحتراز عن المعاصي والحذر عما نهى الله تعالى عنه، وقيل إنها التخلي عن المذموم والاقبال إلى كل محمود وقيل انها حالة ضبط النفس والتسلط على الشهوات))[٥]، والتقوى موضوع قد اخذ من نهج البلاغة الحيز الأكبر، باعتبارها موضوعا قرآنيًا محضًا جاء به الإسلام فكرا مجسدا بسلوك عملي لأن التقوى تعني امتزاج النظريه بالتطبيق، وهذا واحد من اسرار عظمة الفكر الإسلامي، والجميل أن الإمام بدأ

(١) م - ن: ١٠/ ١٢٤.

(٢) في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٣/ ٤٧.

(٣) ظ: الأثر القرآني في نهج البلاغة، د. عباس الفحّام: ٤٦٠.

(٤) في رحاب نهج البلاغة، مرتضى مطهري: ١٥٢ - ١٥٥.

(٥) من وحي نهج البلاغة، العتبة العلوية: ١٥.

بنفسه في اضافة التقوى اليها ليكون قدوة للمسلمين، ثم عرج على شرائح الأمة واطياف المجتمع بالتزام التقوى[١]، قال (عليه السلام) ((إنّما هي نفسي أروضها بالتّقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر، وتثبت على جوانب المزلق. ولو شئت لاهتديت الطّريق إلى مصفّى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا القزّ، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي إلى تخيّر الأطعمة. ولعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشّبع، أو أبيت مبطانا وحولي بطون غرثى وأكباد حرّى؟ أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داء أن تبيت ببطنة وحولك أكباد تحنّ إلى القدّ))[٢]

وبسبب هذا الارتباط الوثيق لمعنى التقوى بين الفكر والسلوك فقد أكثر الإمام علي (عليه السلام) من ترديد التقوى في كلامه (عليه السلام)، وبمعان عدة من أجل تنمية الإيمان وتعميقه في النفس، ومن معانيها التوبة، والاخلاص، وترك المعصية[٣]، والتقوى ان كان معناها التوبة فهي تعني ((الرجوع إلى الحق تعالى، وإصلاح النفس بالتقيد بظواهر الشرع من إتيان الواجبات واجتناب المحرمات))[٤] قال (عليه السلام) في كتابه لمعاوية لعنه الله، في بيان ان معنى التقوى التوبة ((**فَاتَّقِ الله فِيمَا لَدَيْكَ وَانْظُرْ فِي حَقِّهِ عَلَيْكَ**))[٥]، انه يقول لمعاوية لعنه الله، اي فاتقِ الله فيما لديك، يا معاوية من أموال المسلمين، وفيما أنت متسلط عليه من شؤونهم

(١) ظ: الأثر القرآني في نهج البلاغة، د.عباس الفحّام: ٤١٨، ٤١٩.

(٢) في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٤ / ١٣.

(٣) ظ: الأثر القرآني في نهج البلاغة، د. عباس الفحّام: ٤٢٠، ٤٢١.

(٤) دراسات في الأخلاق، حسين المظاهري: ١٤٦.

(٥) – شرح نهج البلاغة،ابن ابي الحديد: ١٦ / ٦.

ومصالحهم، والمعنى دع عنك العمل لتفريق الجماعة، وارجع إلى الطاعة[١]، لأن التقوى تعني هنا التوبة والرجوع إلى الطاعة، بمعنى انها الدعوة إلى اعتماد الطاعة والابتعاد عن المعصية، كوسيلة يحترز بها الإنسان مما يتوقع عند الحساب، منجهة ومن جهة اخرى انها دعوة إلى الجد في الطاعة وعدم التواني، ومصارحة النفس بالمعاصي والتوبة منها والعودة إلى الله وهو معنى التوبة هنا[٢]، والذي تتمحور فلسفة العبادات كلها حول هذا المفهوم (التقوى)، من حيث المنطق والغاية وايضاً سعى الامام في بيان ان من معاني التقوى الاخلاص لله تعالى[٣]، وهي ميزان الكرامة والتفاضل بين أفراد الإنسان، وهي مفهوم متعلق بعقيدة التوحيد الذي يتطلب الاخلاص بالعبودية لله تعالى[٤] وهو قوله (عليه السلام) ((**وَأَفْضَلُ مِنْ صِحَّةِ اَلْبَدَنِ تَقْوَى اَلْقَلْبِ**))[٥]، ولقد جاء في بيانه ((التقوى صحّة القلب فكما أنّ علامة صحّة البدن اعتدال الأعمال الصادرة عن جهازاته ونشاط صاحبها في أعماله، فصحّة القلب علامتها اعتدال الأخلاق ونشاط صاحبها في عباداته وتوجّهه إلى اللهَّ تعالى))[٦]، اذا فالتقوى بمعناها الاخلاص (تعني روح العمل والجهاد وتحقيق العدالة والاخاء والتعاون وتنمية الإنتاج والإخلاص في العمل)[٧]، وأما التقوى

(١) ظ: في ظلال نهج البلاغة: ٣ / ٤٨٠.

(٢) ظ: اخلاق الإمام علي (عليه السلام)، محمد صادق الخرسان: ٩ - ١١. شرح حكم نهج البلاغة، عباس القمي: ٥٤.

(٣) ظ: الأثر القرآني في نهج البلاغة، د.عباس الفحّام:٤٢١.

(٤) ظ: هل اتاك حديث مجتمعنا، ابراهيم الموسى: ٢٩١.

(٥) شرح نهج البلاغة،ابن ابي الحديد: ١٩ / ٣٩٥.

(٦) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، الخوئي: ١٢/ ٤٧٧.

(٧) هل أتاك حديث مجتمعنا، ابراهيم الموسى:٢٩٦.

بمعناها ترك المعصية[١] والذنوب وهوما جاء بتعريفها بهذا المعنى ((قوة روحية تتولد للإنسان من التمرين العملي الذي يحصل من الحذر المعقول والمنطقي من الذنوب))[٢]، وقد قال الإمام علي (عليه السلام) ((**اِتَّقُوا مَعَاصِيَ اللهِ فِي اَلْخَلَوَاتِ فَإِنَّ اَلشَّاهِدَ هُوَ اَلْحَاكِمُ**))[٣] إذا كان الشاهد هو الحاكم وهو الله تعالى السميع العليم فإنه استغنى عمن يشهد عنده، فالإنسان إذن جدير أن يتقي الله حق تقاته لأنه تعالى الحاكم فيه وهو الشاهد عليه[٤]، وأيضا تأخذ التقوى معنى أنها عملية تقوية الارادة وقهر الشدائد، قال الإمام علي (عليه السلام) ((**فَمَنْ أَخَذَ بِالتَّقْوَى عَزَبَتْ عَنْهُ اَلشَّدَائِدُ بَعْدَ دُنُوِّهَا**))[٥]، ان من يأخذ بالتقوى ابتعدت عنه الشدائد[٦]، والشدائد هنا هي التي لا دخل للإنسان بها، كالحوادث الكونية[٧] وأن الإمام يضع التقوى كخط اساسي في بناء الإنسان وتطوره واستمراره في العطاء، عن طريق التقوى التي هي حصن من المعاصي وطريق نجاة من الشقاء الابدي، فهي اثر كبير لمن عرفها وعمل بها، وهذا ما قاله الإمام علي (عليه السلام)، في بيان اثارها في عملية بناء الإنسان، بقوله ((**فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ اَلْفَضَائِلِ مَنْطِقُهُمُ اَلصَّوَابُ وَمَلْبَسُهُمُ اَلِاقْتِصَادُ وَمَشْيُهُمُ اَلتَّوَاضُعُ، غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى اَلْعِلْمِ اَلنَّافِعِ لَهُمْ، نُزِّلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي اَلْبَلاَءِ كَالَّذِي نُزِّلَتْ فِي اَلرَّخَاءِ وَلَوْلاَ اَلْأَجَلُ اَلَّذِي كَتَبَ اللهُ لَهُمْ عَلَيْهِمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ**

(١) ظ: الأثر القرآني في نهج الباغة، د.عباس الفحّام: ٤٢١.

(٢) في رحاب نهج البلاغة، مرتضى مطهري: ١٥٢.

(٣) شرح نهج البلاغة،ابن ابي الحديد: ١٩/ ٢٣٦.

(٤) ظ: م - ن: ١٩/ ٢٣٦.

(٥) -م - ن: ١٩ / ١٨٩.

(٦) ظ: بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، التستري،: ٢١ / ٥٢٨.

(٧) ظ: محاضرات في الدين والاجتماع، مرتضى مطهري: ١٩٨.

طَرْفَةَ عَيْنٍ شَوْقاً إِلَى اَلثَّوَابِ وخَوْفاً مِنَ اَلْعِقَابِ، عَظُمَ اَلْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ، فَهُمْ واَلْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ، وهُمْ واَلنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ))[1]، جاء كلام الإمام علي (عليه السلام) في جوابه لاحد شيعته وأوليائه وهو همام بن شريح، في بيان صفة المتقين،[2] ان صفات المتقين التي قالها الإمام علي (عليه السلام) في أكثرها صفات، تكون من خواص أهل التقوى، واذا تأمل الإنسان يجدها عبارة عن صفات تنموية عامة، يحتاجها كل إنسان، بل ان عملية بناء الإنسان تحتاج تقوى فتكون من آثارها ما قاله الإمام علي (عليه السلام)، وجاء في شرح كلماته (عليه السلام)لصفات المتقين، ما جاءت بعدها عملية التنمية لتقررها انها من وسائل البناء للإنسان في العملية التنموية وفق ما تم شرحه في ظلال نهج البلاغة، إذ إن كل فقرة لها أصل قرآني، أي انها ((مستخلصة من الفهم العميق لآيات القرآن الكريم))[3]، وهي كما يلي:

- (منطقهم الصواب) لا يقولون ما لا يعتقدون ولا يفعلون، وهي أساس قرآني، قال تعالى ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا**﴾[4]، ان ما يريده الله تعالى من القول السديد هو ((هو الإصابة والرشاد فالسديد من القول ما يجتمع فيه مطابقة الواقع وعدم كونه لغوا أو ذا فائدة غير مشروعة كالنميمة وغير ذلك، فعلى المؤمن أن يختبر صدق ما يتكلم به وأن لا يكون لغوا أو يفسد به اصلاح))[5]، وهو عينه جوهر أهداف التنمية البشرية للإنسان الذي يروم

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٠ / ١٣٣.

(٢) ظ: م.ن: ١٠ / ١٣٤.

(٣) الأثر القرآني في نهج البلاغة، د. عباس الفحّام: ٤٢٧.

(٤) الاحزاب / ٧٠.

(٥) الميزان، الطباطبائي: ١٦ / ١٨٥.

الكمال والذي عليه ان لا ينمي موهبة او استعدادًا واحدًا، بل يضعها جميعها في موضع متعادل ومتوازن، وينميها معا في المجتمع الذي يعيش فيه، لأن المجتمع الذي يحمل تلك الصفات الايجابية مثل الصدق والأمانة هو الأقدر دائما على انجاز المهمات الكبيرة وهو مجتمع يدفع باستمرار إلى الخير، لأنه يربي ابناءه على ارض الواقع وينمي فيهم الفضائل التي تسهم في عملية التنمية بل من اساسياتها الحقيقية[١].

- (وملبسهم الاقتصاد) يلبسون ثوبا واحدا، أو ثوبين على الأكثر بلا مضاهاة ومباهاة. وهم المتعففون الذين تكلم الله تعالى عنهم مادحا: ﴿**لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا**﴾[٢]، ويقول صاحب تفسير الميزان ((يحسبهم الجاهل أي الجاهل بحالهم أغنياء من التعفف دلالة على أنهم غير متظاهرين بالفقر إلا ما لا سبيل لهم إلى ستره من علائم الفقر والمسكنة من بشرة أو لباسٍ خَلقٍ أو نحوهما))[٣]، فهم بتقواهم انفسهم عزيزة، لاتعرف الضجر من قضاء الله تعالى، متفائلون، كرماء، وهذه الصفات هي صفات تنموية، فالتنمية البشرية تهدف لبناء الإنسان معنويا بوصفه هدفها، وعن هذا الهدف تتفرع الأهداف الأخرى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وفي الوقت نفسه فإن الإنسان هو الذي ينفذ عملية التنمية لأنه وسيلتها بوصفه يشكل عوامل حاسمة في تسيير عملية التنمية وتوجيهها في هذا الاتجاه او ذلك، لأنه مليء بالمشاعر والأحاسيس

(١) ظ: الفكر الاقتصادي في نهج البلاغة، د. محسن باقر الموسوي: ٢٢٧-٢٢٨.

(٢) البقرة / ٢٧٣.

(٣) الميزان،الطباطبائي: ٢/ ٢٢٩.

والافكار والمعتقدات والمواقف والاجتهادات والتطلعات والرغبات، وقد اصبح مفهوم التنمية البشرية اكثر نضجا، فبعد أن كان ينظر إلى الإنسان وسيلتها، اصبح ينظر اليه بانه صانع التنمية وهدفها، من خلال تفعيل طاقاته واطلاق العنان بخبراته وذخائر ثروته الإنسانية[1]، وصولا للإنسان المتكامل (الذي يستثمر الطبيعة ومحيطه الخارجي إلى اقصى حد ممكن)[2].

-(ومشيهم التواضع) يمشون على فطرتهم وطبيعتهم بلا خيلاء وتصنع، الإنسان المتقي يعرف قدر نفسه، فيكون متواضعا بين يدي الله تعالى، فتكون حركاتهم لاسيما مشيتهم التواضع كما قال تعالى: ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا**﴾[3]، اي من صفاتهم أنهم يمشون على الأرض مشيا لينا رقيقا، لا تكلف فيه ولا خيلاء ولا تصنع فيه ولا ضعف، وإنما مشيهم تكسوه القوة والجد، والوقار والسكينة[4]. وهو ما تستهدفه التنمية البشرية في بناء الإنسان لاسيما في المجال الأخلاقي في عملية تنمية الاستقرار البشري عن طريق تنمية الاخلاقيات والقيم الإنسانية وهذا ما اكده المؤتمر العام لليونسكو لعام ٢٠١٥م بتأكيده على الاخلاقيات والقيم التي تشكل القضية التي ستدور حولها تطلعات المستقبل، فضلا عن كونها أحد الحلول الاساسية لمشكلات البشرية من خلال غرس اخلاقيات التنمية البشرية [5].

---

(١) ظ: مستقبل التنمية البشرية في ضوء مستجدات البيئة الاقتصادية في العراق، صباح رحيم مهدي الاسدي: ١٩.

(٢) التكامل الاجتماعي للإنسان،مرتضى مطهري: ٦٥.

(٣) الفرقان / ٦٣.

(٤) ظ: التفسير المختصر للقران الكريم، د. مصطفى فرج: ٤٢٩.

(٥) – ظ: تقرير اليونسكو لعام ٢٠١٥ م: ٢٣.

- (غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم) كناية عن عفة النفس، وصونها عما يشين، ان مما تفرزه التقوى في عملية بناء الإنسان هي مسألة غض البصر، التي هي مما وصى بها الله تعالى ﴿**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ**﴾[١]، والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل [٢]، وهو ما اشارت اليه الدراسات في التنمية البشرية في الشعور والإحساس بالجماعة واحترام الذات وحقوق الإنسان،فالتنمية البشرية يجب ان تتجه بالدرجة الأولى إلى تحسين حياة الإنسان من الناحية الجسدية والنفسية والروحية [٣]، ومن أهمها غض البصر لانه من خيار الصفات الكمالية للإنسان الواعي الذي يحس بالمسؤولية في المجتمع المحافظ.

- (وقفوا أنفسهم على العلم النافع لهم). لا يقدسون إلا الحق والحكمة، ولا يهتمون إلا بالعلم المنتج، إذ لا دين بلا علم، والعامل بغير علم يفسد أكثر مما يصلح، لقد ذم الله تعالى من يقف في ما لا يعلمه الإنسان[٤]، بقوله تعالى ﴿**وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**﴾[٥]، واستخدم الإمام هذا التوظيف بإظهار العكس، فذكر صفة المتقين انهم قد التزموا بقول الله تعالى، فوقفوا عما ينفعهم، وتركوا ما لم يعلموا ويسمعوا[٦]، وهي اخلاق سعت التنمية لتحقيقها، إذ إن التنمية تنظر إلى الناس بوصفهم فاعلين في عملية التغيير الاجتماعي، وليسوا مجرد مستفيدين يتلقون النتائج من دون مشاركة نشيطة، وهو

(١) -النور/ ٣٠.

(٢) ظ: مفاتيح الغيب، الرازي: ١١/ ٣٠١، ظ: تفسير القرآن الكريم، قاسم هاجر الموسوي: ٣٨٢.

(٣) - ظ: مستقبل التنمية البشرية، صباح الاسدي: ١٢-٢٢

(٤) ظ: مختصر الامثل، مؤسسة التاريخ العربي:٢٨٩.

(٥) الاسراء/ ٣٦.

(٦) تنوير المقباس، ابن عباس:٢٩٨.

يعني ان يتمكن الناس من ممارسة الخيارات التي صاغوها بإرادتهم الحرة ليكونوا في وضع يتيح لهم المشاركة الكاملة في القرارات والآليات التي توجه حياتهم ومصيرهم، ومن اهمها طلب العلوم والمعارف التي تسهم بالتغيرات للأفضل[١].

- (نزلت أنفسهم منهم في البلاء... الخ). يرجون رحمة الله عند الشدة، ويخافون بأسه عند النعمة. وهو ما اشارت اليه الآيات المباركات بقوله تعالى﴿**رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ٣٧ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾[٢]، اي هم الرجال الذين لا تشغلهم التجارة عن ذكر الله تعالى، يقومون بالواجبات ويخافون يوم القيامة، يوم تتقلب فيه أحوال القلوب والأبصار وتنتقل من حال إلى حال[٣]، ان التنمية البشرية تسعى دائما إلى سعادة الإنسان، إلا أن الإنسان المتكامل بطبيعته يشعر انه يحتاج رقيًا متزايدًا، وهذا الرقي يحصل عليه من تواضعه الذي أتاه من التقوى، والذي جعله يتسامى في محضر الله تعالى، فمهما عمل من العبادات هو خائف من الله تعالى راج أن يكون تحت رعاية جوده وكرمه الذي يليق بقدسه، ويبدو انه على الرغم من احتياجه للزاد والأموال في الدنيا وما يطلبه بالتجارة، إلا أنه يقدم التقوى والخوف من الله، بل هو المسيطر على تصرفاته، ولذلك لا تلهيهم، اذا المحفز في عمليات العبادة شيء مهم وهو ما كان قد سبق به (عليه السلام) المتخصصين في مجالات التنمية الذين قالوا ((إذا كانت التنمية هي العمل

(١) ظ: مستقبل التنمية البشرية، صباح الاسدي: ٣٥.

(٢) النور/ ٣٧، ٣٨.

(٣) ظ: مجمع البيان، الطبرسي: ٧/ ٢٢٦، ٢٢٧.

بفاعلية كبيرة فان الإنسان بحاجة إلى محفز يستخرج به طاقته المخبأة ليدفع بها إلى الوجود، وليس هناك محفزا اقوى من العقيدة الناصعة التي جعلت من الإنسان خليفة في هذا الوجود وحملته اكبر المسؤوليات، والتقوى هي الطريق إلى الالتزام بهذه المسؤولية والحفاظ عليها، وهي في الوقت نفسه سبب كبير من اسباب لسعادة الإنسان في الحياة))[١].

إن عملية بناء الإنسان تحتاج محاربة النفس الأمارة التي تحبب متابعة الهوى، الذي حذر من اتباعه (عليه السلام) في كثير من المواضع في نهج البلاغة، تنمية للإنسان في عملية البناء النفسي له، الذي سيؤثر ايجابا على ماديات الجسم ومعنوياته بشكل أكبر باعتبار ان المعنويات طريق لسلامة الإنسان الباطنية والظاهرية، وقد قال الإمام علي (عليه السلام)في ذم اتباع الهوى، واعتبارها من مصادر المقاومة لعملية البناء للإنسان، بتحذيره الذي تكرر، وهو قوله (عليه السلام)((**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمُ اثْنَتَانِ اِتِّبَاعُ اَلْهَوَى وَطُولُ اَلْأَمَلِ فَتَزَوَّدُوا فِي اَلدُّنْيَا مِنَ اَلدُّنْيَا مَا تُحْرِزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَداً**))[٢]، وقال ايضا مكررا هذا التحذير مع بيان سبب التحذير بشكل موجز جدا في اللفظ وواسع الدلالة في المعاني، وهو ما يقول ((**أَيُّهَا اَلنَّاسُ إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اِثْنَتَانِ اِتِّبَاعُ اَلْهَوَى وَطُولُ اَلْأَمَلِ فَأَمَّا اِتِّبَاعُ اَلْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ اَلْحَقِّ وَأَمَّا طُولُ اَلْأَمَلِ فَيُنْسِي اَلْآخِرَةَ**))[٣]، فقد قال في بيان ما عرضه الإمام في خطبته، بأن الأثر السلبي لاتباع الهوى هو إن اتباع الهوى يصد عن الحق وهذا صحيح لا ريب فيه لأن الهوى يعمي البصيرة وقد

(١) الفكر الاقتصادي في نهج البلاغة، د. محسن باقر الموسوي: ٢١٢.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد:١٢ / ٩١.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٢ / ٣١٨.

قيل حبك الشيء يعمي ويصم ولهذا قال بعض الصالحين رحم الله امرءًا أهدى إلي عيوبي وذاك لأن الإنسان يحب نفسه ومن أحب شيئا عمي عن عيوبه فلا يكاد الإنسان يلمح عيب نفسه، وقد سبب بمشاكل لها الأثر الكبير في المجتمع ومنها تعدد المذاهب، بسبب الحب للمذهب، اكثر من حب الحق، والذي سبب الكثير من الانقسامات،[١] وفي مجال التنمية البشرية التي تستهدف الإنسان وتعمل جاهدة على وضع كل ما يفيده، ويخدمه في متناول يده، خاصة أن يحيا حياة طويلة ويكتسب المعرفة، ويتمتع بمستوى معيشة كريمة، فضلا عن تطوير جميع طاقاته وإمكانياته لهذا الغرض[٢]، إلا انه يبدو للبحث، ان الكثير ممن يكتب فيها قد تعصب، وخرج من دوره التنموي بسبب حبه لرأيه، واتباعه لهواه، ومنها اعراض الكثير من العاملين في حقول التنمية، عن الإقرار بمبدأ التوحيد الذي يكفل بسط العدل، وتحقيق الرفاهيات في المجتمع ان وجد، ولهذا نجد ان الإمام (عليه السلام)، يعد مبدأ التوحيد هو الأساس في عملية بناء الإنسان والمجتمع في آن واحد، ولهذا نجد تركيز الإمام على التوحيد في كثير من الخطب، على اساس وحدانية الله تعالى وتنزيهه عن الشرك، ويندر ان يكون موضع من مواضيع نهج البلاغة خاليا من التعظيم الله تعالى، وإثبات وحدانيته، وبيان صفاته[٣]، لأن عقيدة التوحيد التي ينبني عليها المجتمع الإسلامي، هي عقيدة تدعو الإنسان إلى السعي نحو الرقي والتكامل، وتلقي على عاتقه مسؤولية السعي في الارض واعمارها وتطوير الحياة فيها، لأن الهدف من خلق الإنسان هو السير في طريق تكامله

(١) ظ: م - ن: ٢ / ٣١٨، ٣١٩.

(٢) الثقافة والتنمية البشرية، اشواق الساعدي: ٣٢.

(٣) ظ: الأثر القرآني في نهج البلاغة، د. عباس الفحّام: ٣٥١.

من خلال ممارسة الأفعال الاختيارية من اجل التوصل إلى الكمال النهائي)[١]، ولهذا حذر الإمام من اتباع الهوى لأنه يصد عن التوحيد بقوله (عليه السلام) ((**اعْلَمُوا أَنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ وَمُجَالَسَةَ أَهْلِ الْهَوَى مَنْسَاةٌ لِلْإِيمَانِ**))[٢]، فقد جعل الإمام (عليه السلام) من خلال هذا النص الرياء الذي ايسره الشرك بالله تعالى، اتباع الهوى الذي هو ينسي الإيمان ومحضرة للشيطان[٣]، ويبدو انه يمكن أن يكون معنى مجالسة أهل الهوى منسأة للإيمان، إن القصد من الإيمان التوحيد لأن من معاني التوحيد هو ((الإيمان بخالق الكون))[٤]، وفي كل الأحوال فإن اتباع الهوى أمر لابد من اجتنابه، لانه يعثر من بناء الإنسان، لأن التنمية البشرية هي عمليه تغيير جذري في المجتمع من نواح مختلفة سواء أكانت اقتصادية أم اجتماعية أم ثقافية أم غيرها، أي الانتقال من حالة التخلف إلى حالة التقدم[٥]. فالتنمية ليست عملية إنتاج فحسب، وإنما عملية إنسانية تستهدف الإنسان ورقية، وتقدمه ماديا، وروحيا، وسلوكيا، وعادات، وأخلاقا، ومن الطبيعي أن تكون صفحة منسجمة من الأهداف السامية لخلق الإنسان[٦]، في عملية البناء التي توجب مجانبة الهوى.

لم يترك الإمام علي (عليه السلام)الإنسان دون الاشارة إلى ما يسهم في عملية البناء الذي يجعله يمتلك حصانة نفسية بالالتزام أو الترك لكل ما يسهم في تطوره

---

(١) ظ: دروس في العقيدة الإسلامية، محمد تقي اليزدي:٢٠٩.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٢ / ٣٥٤.

(٣) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ١ / ٤٢٧.

(٤) دروس في العقيدة الإسلامية، معهد الإمام الخميني:٩. دروس في العقيدة الإسلامية، محمد تقي اليزدي:٢١. الدين المعاملة فن العلاقات الاجتماعية،حسين نجيب محمد: ٥.

(٥) ظ: مستقبل التنمية البشرية في ضوء مستجدات البيئة الاقتصادية في العراق،، صباح الاسدي: ٤.

(٦) -ظ: منهج الحياة، علي الاشكوري:٤٤٧.

ويجعله على قدر معقول من الوعي، ومن تلكم ما أكد عليه الإمام (عليه السلام) في تنمية الإنسان، هي العصبية، قال الإمام (عليه السلام) ((**أَمَّا إِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَى آدَمَ لِأَصْلِهِ وطَعَنَ عَلَيْهِ فِي خِلْقَتِهِ فَقَالَ أَنَا نَارِيٌّ وأَنْتَ طِينِيٌّ وأَمَّا اَلْأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتْرَفَةِ اَلْأُمَمِ فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ مَوَاقِعِ اَلنِّعَمِ ﴿فَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وأَوْلاَداً ومَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾**[1] **فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنَ اَلْعَصَبِيَّةِ فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ اَلْخِصَالِ وَمَحَامِدِ اَلْأَفْعَالِ وَمَحَاسِنِ اَلْأُمُورِ اَلَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا اَلْمُجَدَاءُ وَاَلنُّجَدَاءُ مِنْ بُيُوتَاتِ اَلْعَرَبِ وَيَعَاسِيبِ اَلْقَبَائِلِ بِالْأَخْلَاقِ اَلرَّغِيبَةِ وَاَلْأَحْلَامِ اَلْعَظِيمَةِ وَاَلْأَخْطَارِ اَلْجَلِيلَةِ وَاَلْآثَارِ اَلْمَحْمُودَةِ فَتَعَصَّبُوا لِخِلَالِ اَلْحَمْدِ مِنَ اَلْحِفْظِ لِلْجِوَارِ وَالْوَفَاءِ بِالذِّمَامِ وَاَلطَّاعَةِ لِلْبِرِّ وَلِمُعْصِيَةِ لِلْكِبْرِ وَاَلْأَخْذِ بِالْفَضْلِ وَاَلْكَفِّ عَنِ اَلْبَغْيِ وَاَلْإِعْظَامِ لِلْقَتْلِ وَاَلْإِنْصَافِ لِلْخَلْقِ وَاَلْكَظْمِ لِلْغَيْظِ وَاِجْتِنَابِ اَلْفَسَادِ فِي اَلْأَرْضِ**))[2]، ذكر ابن ابي الحديد ان ما جاد به (عليه السلام) مما تقدم من كلامه هو ((أن أهل الكوفة كانوا قد فسدوا في آخر خلافة أمير المؤمنين وكانوا قبائل في الكوفة فكان الرجل يخرج من منازل قبيلته فيمر بمنازل قبيلة أخرى فينادي باسم قبيلته يا للنخع مثلا أو يا لكندة نداء عاليا يقصد به الفتنة وإثارة الشر، فيتألب عليه فتيان القبيلة التي مر بها فينادون يالتميم ويالربيعة ويقبلون إلى ذلك الصائح فيضربونه فيمضي إلى قبيلته فيستصرخها فتسل السيوف وتثور الفتن ولا يكون لها أصل في الحقيقة إلا تعرض الفتيان بعضهم ببعض))[3]، إذ إن التعصب من اجل العرق والأصل يؤدي إلى التناحر والمشاكل وهو خلاف بناء الإنسان، وان الاستدلال القرآني الذي طرز به الإمام الخطبة وهو قول أهل التعصب، في ما ((استدلوا على كونهم مصيبين

(١) سبأ / ٣٥.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٣ / ١٦٦.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٣ / ١٦٧، ١٦٨.

في ذلك بكثرة الأموال والأولاد فقالوا: ﴿**نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وأَوْلاَداً**﴾ أي بسبب لزومنا لديننا، وقوله: ﴿**وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ**﴾أي في الآخرة كأنهم قالوا حالنا عاجلاً خير من حالكم، وأما آجلاً فلا نعذب إما إنكاراً منهم للعذاب رأساً أو اعتقاداً لحسن حالهم في الآخرة أيضاً قياساً))[١]، إلا انهم سقطوا في فتنة الاموال والاولاد، فكان وجودها عندهم اصابهم بعصبية الترف، وبنوا على ترفهم انهم اصحاب حق، اي رتبوا حالهم المادي بحسن اعتقاداتهم الدينية وغيرها، فاستغل الشيطان هذا الأمر، فالمترفون من شأنهم التقلب في نعم الدنيا وما يؤدي إلى تقلب قلب الإنسان، ووجه التعصب أن يستعظموا نعم الله تعالى عليهم فيرون السعادة فيها سواء وافق الحق أم خالفه فلا يذكر إلا ظاهر الحياة وينسى ما وراءه، وهو نتيجة التعصب لنفوسهم الضيقة[٢]، وان ما يريده الإمام من اصحابه هو يقول الإمام لأصحابه ما رأيت أحدا يتعصب لشيء إلا ويبرره بسبب حقا كان أم باطلا، وان المبطل قد يتغلب بالتمويه على عقل سفيه أو جاهل، أو يعرّض أفكاره للبلبلة والاهتزاز على الأقل إلا أنتم تتعصبون له ان كانت اموركم صحيحة ولا فاسدة كالعلة التي تذرّع بها إبليس حين تعصب على آدم وقال ﴿**أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ**﴾[٣]. وأما الأغنياء من مترفة الأمم. كان تعصبهم ترف الرجل اذا تنعم، وأترفه المال أبطره وأفسده، ولا شيء أدل على فسادهم وإفسادهم من انهم لا يكفرون إلا من خلال المال، وأنكر مترفو قريش نبوة محمد (صلى الله عليه وآله) لا لشيء إلا لأنه لا يملك كنزا ولا جنة يأكل منها[٤]، فكان موقف

(١) مفاتيح الغيب، الرازي: ١٢ / ٤٢٥.

(٢) الميزان، الطباطبائي: ١٦/ ٢٠٣.

(٣) الاعراف / ١٢.

(٤) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٣ / ١٣٥.

الإمام من العصبية بنسبها في ابليس يكفي في ذمها، فضلا عن أهل الأموال والأولاد والجاه والسلطات، وهذه هي ما جاءت به التنمية البشرية، فقد تبلور مفهوم التنمية مع تطور الفكر التنموي، وتمثلت بالمدة بعد الحرب العالمية الثانية وحتى مطلع التسعينات، فقد كان مفهوم التنمية في هذه المرحلة مقتصرا على ما يحصل عليه الفرد مع سلع وخدمات، فكلما استطاع الحصول على المزيد من تلك السلع والخدمات ارتفع مستواه، ومن ثم زادت رفاهيته، تلحظ الإنسان مادياً، وفي عقد التسعينات تبنى برنامج الأمم المتحدة ووكالاتها الدولية المتخصصة مفهوما جديدا للتنمية أعاد للإنسان مكانته الطبيعية في الجهد التنموي، واصبح الإنسان هو صانع التنمية وهدفها، وان قدرات أي امة تكمن بما تملكه من طاقات بشرية مؤهلة ومدربة وقادرة على التكيف والتعامل مع أي جديد بكفاءة وفاعلية؛ لأَنَّ البشر هم الثروة الحقيقية للأمة[1]، وهو ما جاء في تقرير الأمم المتحدة الخاص بالتنمية البشرية عام ١٩٩٣، فقد عرفت التنمية البشرية بكونها (تنمية الناس من أجل الناس بواسطة الناس، وتنمية الناس معناها الاستثمار في قدرات البشر، سواء في التعليم، أو الصحة، أو المهارات، حتى يمكنهم العمل على نحو منتج وخلاق، والتنمية من اجل الناس معناها كفالة توزيع ثمار النمو الاقتصادي الذي يحققونه توزيعا واسع النطاق، وعادلا، والتنمية بواسطة الناس أي إعطاء كل امرئ فرصة المشاركة فيها)[2]، فالعصبية لأي سبب هي مدعاة لما هو عكس البناء في القيم الإنسانية، بل ان التعصب انكسار للقيم والأخلاق الإنسانية، ومهما كان نوعه وسببه فمرجعه التعصب للنفس، والتي دعانا الإمام علي (عليه السلام) لاجتنابها

(١) ظ: مستقبل التنمية البشرية في ضوء مستجدات البيئة الاقتصادية في العراق، رحيم الاسدي:١٢

(٢) تقرير التنمية البشرية،هيئة الامم المتحدة لعام ٢٠١٤ م: ٨٤.

والابتعاد عن أسبابها[١]، إن الإمام عليًا (عليه السلام) فيما يبدو للبحث يؤكد على المساواة والإنصاف بين الناس ونبذ التعصب، وهو ما تدعو اليه التنمية البشرية، التي تتصف بالإنصاف بين الجيل الواحد والأجيال المتعاقبة، إذ إن فكرة الإنصاف في مجال التنمية البشرية تعني الإنصاف في القدرات والواجبات والحقوق الأساسية للجميع[٢]، فالتنمية لاتعني التوجه للنظرة الضيقة في الامور المادية والتي كانت احد اسباب التعصب التي نهى عنها القرآن الكريم وما جاء في نهج البلاغة، وهنا ان دل على شيء يدل على أن القيمة المعنوية للقرآن الكريم ونهج البلاغة تزداد عظمة في كل وقت مع تطور الزمان، إذ أن مفاهيم التنمية تغيرت من الماديات إلى المعنويات في مطلع التسعينات، بينما نجد معالمها راسخة في نهج البلاغة، وهو ما يعطي مؤشرات بإمكانية اعتماد نهج البلاغة، كدستور للتنمية البشرية.

(١) ظ: الأثر القرآني في نهج البلاغة، د.عباس الفحّام: ٤٥٠، ٤٥١.

(٢) الإصلاح الاقتصادي والتنمية البشرية، د. مصطفى العبد الله: ٩٤.

المبحث الثاني
بناء المجتمع في نهج البلاغة

توطئة

إن من طبيعة الإنسان الذي يفكر في خلق الله تعالى والتدبر بآياته أن تكون عملية البناء الاجتماعي نصب عينه، لاسيما أنه خليفة الله الشرعي في الأرض، مجسدا دور الأنبياء والأوصياء في الأرض، آخذاً بأعباء الرسالة والأمانة التي تلقاها برحابة الصدر لأنها تحمل رضا الله تعالى في كل مبانيها، وقد كثر في نهج البلاغة الكلام عن البناء الاجتماعي، باعتبار ان الإمام (عليه السلام) عنصر من المجتمع الذي يريد اصلاحه، بل تقع عليه المسؤولية الالهية في اصلاحه وانقاذه قدر ما أمكن، ولما كان وجود الإنسان يتطور مع حركة التاريخ والعالم، وكان سر الوجود يحتمل في اعماقه اسراراً اخرى تظهر تباعا مع تطور التاريخ الإنساني[1]، كان من البديهي ان يكون حضور الإمام (عليه السلام) في عملية البناء والاصلاح الاجتماعي بشكل مميز يرقى بما يمتلك من مواهب قد جعلت منه أنموذجاً في الارض، ويبدو للبحث ان للبناء الاجتماعي ثلاثة ركائز انتهجها الإمام علي (عليه السلام)في عملية تنمية المجتمع في نهج البلاغة، امتازت بالسمو عن الحدود التي قصرت بالطبيعة الإنسانية في عصر من العصور، أو في مجتمع من المجتمعات وشاءت حكمة الله أن تحفظ هذه النعم وهي تشرع له نهجه في الحياة،بوجود الإمام علي (عليه السلام)[2]، فأكد (عليه السلام) على ضرورة هيكلة أمر الجماعة على نحو

(١) ظ: الفلسفة والإنسان جدلية العلاقة بين الفكر والوجود، د. علي الشامي: ١٣.

(٢) ظ: علي في التزام الحق، ضياء الدين زين الدين:٣٦٧.

من قيم وضوابط تمنع من اختراق قانون الشريعة،[١] وقد تمثلت هذه الضوابط أو الركائز بميدان الاطمئنان الاجتماعي وقانون الجذب الاجتماعي ومبادئ السلوك الاجتماعي، تم عرضها على شكل مطالب ثلاثة، في هذا المبحث.

المطلب الاول: ميدان الاطمئنان الاجتماعي

الاطمئنان لغة من ((اطمأن وتطمأن. واطمأن إليه: سكن إليه ووثق به))[٢]، أي إذا ((اطمأنّ قَلْبُهُ، واطمأَنَّتْ نَفْسُه إذا سَكَنَ واستأنس))،[٣] أما اصطلاحاً فهو السكينة والاستقرار في السلوك الاجتماعي للإنسان والذي يعرف بـ ((التطبيق العملي للمعتقدات والأعراف والقواعد السلوكية التي يعتنقها وتمسك بها أفراد المجتمع، ويظهر هذا السلوك على شكل أفعال أو ردود أفعال وأقوال أو ردود أقوال بين أفراد المجتمع))[٤]، أو هي عدم الخوف والقلق واليأس عند حدوث البلاء والحروب والكوارث مهما كانت فهو السكينة النفسية[٥]، التي ذكرت في قوله: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلله جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ الله، عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾[٦]، أي انه تعالى انزل ((في قلوبهم السكون، والطمأنينة بسبب الصلح والأمن))[٧]، فالطمأنينة يمكن اعتبارها

(١) ظ: فلسفة الحياة، جعفر حسن عتريسي: ١٧٠.

(٢) أساس البلاغة، الزمخشري: ١/ ٦١٤.

(٣) العين، الفراهيدي:٧/ ٤٤٢. صحاح اللغة، الجوهري: ١ / ٥٣. لسان العرب،ابن منظور: ١٣/ ٢٦٨. تاج العروس، الزبيدي:١٨ / ٣٥٩.

(٤) معجم علم الاجتماع، د. عدنان ابو مصلح: ٢٩١.

(٥) ظ: استمتع بحياتك ولا تحزن، حسين نجيب محمد: ٢٩٧.

(٦) الفتح / ٤.

(٧) الكشاف، الزمخشري: ٣ / ٥٤١.

(حالة قلبية توجب سكون النفس وثبات القلب)[١]، ان سكون النفس وثبات القلب يولد معنى وهو الرحمة وهو ما قاله الشيخ الطوسي(٤٦٠هـ) بأن الطمأنينة هي ((الرحمة التي تسكن اليها النفس ويزول معها الخوف))[٢] وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لله وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ الله يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾[٣]، والمقصود بالحياة في الآية المباركة هو ((إن الدين هو الذي يمنحكم الحياة، أي أن الدين هو الذي يحيي، وأن من يتلقى الحياة هو هذا الإنسان))[٤]، فالدين في اللغة بمعنى ((الطاعة والجزاء وأما في الاصطلاح فمعناه: الإيمان بخالق الكون والإنسان))[٥]، فالإيمان يعني الطمأنينة والسكينة وانتفاء الشكوك وهو تحقق اليقين في وجود الله ﷻ وانه خالق الإنسان والحياة وأنه واحد لا شريك له [٦]، وهو الله، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): ((**أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُه وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ اَلتَّصْدِيقُ بِهِ وَكَمَالُ اَلتَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ**))[٧]، يبدو أن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) أراد من قوله هذا المعرفة هي المقصود بالوجوب وأمير المؤمنين (عليه السلام) أراد أول واجب مقصود بذاته من الدين معرفة البارئ سبحانه. وأما قوله وكمال معرفته التصديق به فلأن معرفته قد تكون ناقصة وقد تكون غير ناقصة، فالمعرفة الناقصة هي المعرفة بأن للعالم صانعا غير

(١) الميزان، الطباطبائي: ٩ / ٢٢٧.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٥: ١٩٣.

(٣) الانفال / ٢٤.

(٤) رؤى جديدة في الفكر الإسلامي، مرتضى مطهري: ٣٨٣.

(٥) دروس في العقيدة الإسلامية، معهد الامام الخميني: ٩.

(٦) ظ: نافذة على قضايا الإسلام،ابراهيم الاميني: ١١٥.

(٧) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٣/ ٧٢.

العالم وذلك باعتبار أن الممكن لا بد له من مؤثر، فمن علم هذا فقط علم الله تعالى ولكن علما ناقصا، وأما المعرفة التي ليست ناقصة فأن تعلم أن ذلك المؤثر خارج عن سلسلة الممكنات والخارج عن كل الممكنات ليس بممكن وما ليس بممكن فهو واجب الوجود فمن علم أن للعالم مؤثرا واجب الوجود فقد عرفه عرفانا أكمل من عرفان أن للعالم مؤثرا فقط، وهذا الأمر الزائد هو المكني عنه بالتصديق به لأن أخص ما يمتاز به البارئ عن مخلوقاته هو وجوب الوجود وأما قوله (عليه السلام) وكمال التصديق به توحيده فلأن من علم أنه تعالى واجب الوجود مصدق بالبارئ سبحانه لكن ذلك التصديق قد يكون ناقصا وقد يكون غير ناقص، فالتصديق الناقص أن يقتصر على أن يعلم أنه واجب الوجود فقط والتصديق الذي هو أكمل من ذلك وأتم هو العلم بتوحيده سبحانه باعتبار أن وجوب الوجود لا يمكن أن يكون لذاتين لأن فرض واجبي الوجود يفضي إلى عموم وجوب الوجود لهما وامتياز كل واحد منهما بأمر غير الوجوب المشترك وذلك يفضي إلى تركيبهما وإخراجهما عن كونهما واجبي الوجود، فمن علم البارئ سبحانه واحدا أي لا واجب الوجود إلا هو يكون أكمل تصديقا ممن لم يعلم ذلك وإنما اقتصر على أن صانع العالم واجب الوجود فقط [١]. فالتوحيد اساس الدين، والدين عبارة عن مجموعة أمور لها ارتباط وثيق بالإنسان ومتطلباته ولاسيما المعنوية منها والمنظم لعلاقات الإنسان وسلوكه[٢]، هدفها تنظيم حياة الإنسان، فهو الإيمان بخالق الكون والإنسان وبالتعاليم والوظائف العملية الملائمة لهذا الإيمان[٣]، فهو ظاهرة إنسانية كونية لها وجود في كل المجتمعات، ويعد ضرورة

(١) ظ: م - ن:٣/ ٧٤.

(٢) ظ: منهاج الحياة، علي الاشكوري :١١.

(٣) ظ: الدين المعاملة، حسين نجيب محمد: ٥.

من ضروريات المجتمع والعنصر الرئيس الذي ينبغي وضعه في الاعتبار لما له من دور مهم في الحياة بشقيها الفردي والاجتماعي[١]، فهو القانون والحدود والشرع والطريقة والنظام الفكري والعملي الذي يتقيد به الإنسان[٢]، وقد قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا الصدد: ((**إِنَّ شَرَائِعَ الدِّينِ وَاحِدَةٌ وَسُبُلَهُ قَاصِدَةٌ مَنْ أَخَذَ بِهَا لَحِقَ وَغَنِمَ وَمَنْ وَقَفَ عَنْهَا ضَلَّ وَنَدِمَ**))[٣]، والدين يدعو إلى قيام الإنسان بدوره الكوني الذي يربط الإنسان بخالق الكون، بمعنى انه يقوم على (ربط كافة أبعاد المجتمع والحياة بأصل التوحيد)[٤] فيتأسس المجتمع التوحيدي، إذ في هذا الاطار تنتظم الظواهر والعلاقات والأنشطة الاجتماعية.

طرق تنمية التوحيد في نهج البلاغة

يسعى الإمام علي (عليه السلام) لتنمية المجتمع عن طريق بنائه في كل المجالات الحياتية للإنسان بغية الوصول للمجتمع المتكامل، وكذلك تسعى التنمية البشرية إلى إيصال المجتمع إلى حد الكمال، بحيث يعيش افراد المجتمع بمعيشة رغيدة، عن طريق البناء الاقتصادي والسياسي والاجتماعي[٥]، إلا إن الفرق بينهما أن الإمام عليًا (عليه السلام) اكد على الغاية الكبرى وهي العبودية لله ﷻ، فلا تكاد تخلو خطبة من هذا المضمون[٦]، مدركا ان الإنسان لم يخلق عبثا بل خلق لدور عظيم وهو عبادة الله وعمارة الارض وخلافة الله في الارض[٧].

(١) ظ: الثقافة والتنمية البشرية، اشواق الساعدي: ٣٤-٣٥.

(٢) ظ: المصطلحات الأربعة في القرآن، أبو الأعلى المودودي: ١/ ٧٧.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد ١٢٠: ٧/ ٢٨٨.

(٤) ظ: التجديد الكلامي عند الشهيد الصدر، حبيب فياض: ٥٥.

(٥) ظ: الفكر الاقتصادي في نهج البلاغة، د. محسن باقر الموسوي:١٩٩.

(٦) ظ: المبادئ والاساليب التربوية في نهج البلاغة،اميرة برغل: ١٩٦ - ٢٦٦.

(٧) ظ: م.ن: ١٩٦ - ٢٦٦.

ولتنمية التوحيد طرق كانت حاضرة في نهج البلاغة، لأن علم معرفة الله هو من اعظم العلوم شرفا واكثر قيمة، بل إن التكامل الحقيقي للإنسان لا يتيسر من دون المعرفة الإلهية، لأن الكمال الحقيقي للإنسان يتحقق في ظل القرب لله تعالى، ومن البديهي إنه لا يمكن القرب إلى الله تعالى من دون معرفته[١]، إذ إن صحة العمل وفائدته ودوره في تكامل الإنسان منوط بصحة عقيدة العامل[٢]، فصحة الاعتقاد امر مهم في الاطمئنان في الحياة وهو قوله (عليه السلام) في الإسلام مبينا كيف انه مصدر الأمن والسلم والمعرفة والنور والنجاة والراحة ((**فَجَعَلَهُ أَمْناً لِمَنْ عَلِقَهُ وَسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ وَبُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ وَشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ عَنْهُ وَنُوراً لِمَنِ اسْتَضَاءَ بِهِ**))[٣]، اي من التزم بتعاليم الإسلام قولا وعملا أمن العواقب في دنياه وآخرته (وسلما لمن دخله) أي لو عمل به الناس لسلموا من عذاب الله في الآخرة، وعاشوا في الدنيا بأمن وسلام، لا حرب ولا صراع (وبرهانا لمن تكلم به) لأنه حق وصدق[٤]، واهم مبادئ شرائع الإسلام (ان يعتمد الإنسان في كل أحواله على الله تعالى وأن يتوكل عليه، ويستعين به في كل أعماله، وأن لا يستمد المدد إلا منه، وأن لا يكون له خوف أو رجاء إلا منه وبه)[٥]، (هو ما تستهدفه العقيدة من التأثير على الجوانب التربوية والاجتماعية والنفسية والأخلاقية للفرد والمجتمع على نحو شامل)[٦]، ولتنمية المعرفة طرق يمكن إيجازها بما يلي:

---

(١) -ظ: دروس في العقيدة الإسلامية، معهد الامام الخميني: ١٣.

(٢) ظ: بحوث في عقائد الإمامية، عبد الرضا البهادلي: ١٥.

(٣) نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٧ / ١٧١.

(٤) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٢ / ١٢٠.

(٥) دروس في العقيدة الإسلامية، محمد تقي مصباح اليزدي: ١٦٤.

(٦) http//:www.veecos.net/portal/index.php .

أ. طريق المعرفة الحضورية:

وتتلخص هذه الطريقة في التنمية بـ((ان يتعرف الإنسان على الله من طريق نوع من الشهود الباطني والقلبي من دون توسط المفاهيم الذهنية))[١]، ومنها انه تعالى اسمه ((نقيض للبشر وادراك القلوب الطاهرة ومخلوقاته دليل عليه))[٢]، فهو نقيض للبشر بقوله (عليه السلام): ((**لَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْلُوداً وَلَمْ يُولَدْ فَيَصِيرَ مَحْدُوداً، جَلَّ عَنِ اتِّخَاذِ الْأَبْنَاءِ وَطَهُرَ عَنْ مُلَامَسَةِ النِّسَاءِ، لَا تَنَالُهُ الْأَوْهَامُ فَتُقَدِّرَهُ وَلَا تَتَوَهَّمُهُ الْفِطَنُ فَتُصَوِّرَهُ وَلَا تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ فَتُحِسَّهُ وَلَا تَلْمِسُهُ الْأَيْدِي فَتَمَسَّهُ**))[٣]، لقد سعى الإمام (عليه السلام)بما قاله لتنمية المعرفة بوحدانية الله تعالى وقد قال ابن ابي الحديد في بيانه ((لم يلد فيكون مولودا لأن لقائل أن يقول كيف يلزم من فرض كونه والدا أن يكون مولودا في جوابه أنه ليس معنى الكلام أنه يلزم من فرض وقوع أحدهما وقوع الآخر وكيف وآدم والد وليس بمولود وإنما المراد أنه يلزم من فرض صحة كونه والدا صحة كونه مولودا والتالي محال والمقدم محال وإنما قلنا إنه يلزم من فرض صحة كونه والدا صحة كونه مولودا لأنه لو صح أن يكون والدا على التفسير المفهوم من الوالدية وهو أن يتصور من بعض أجزائه حي آخر من نوعه على سبيل الاستحالة لذلك الجزء كما نعقله في النطفة المنفصلة من الإنسان المستحيلة إلى صورة أخرى حتى يكون منها بشر آخر من نوع الأول لصح عليه أن يكون هو مولودا من والد آخر قبله وذلك لأن الأجسام متماثلة في الجسمية وقد ثبت ذلك بدليل عقلي واضح في مواضعه التي هي أملك به وكل مثلين فإن أحدهما يصح عليه ما يصح على الآخر، فلو صح كونه والدا يصح

(١) دروس في العقيدة الإسلامية، محمد تقي اليزدي: ٥٧.

(٢) ظ: علوم نهج البلاغة، محسن الموسوي: ٢٤-٢٥.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٣/ ٨٠.

كونه مولودا. وأما بيان أنه لا يصح كونه مولودا فلأن كل مولود متأخر عن والده بالزمان وكل متأخر عن غيره بالزمان محدث، فالمولود محدث والباري تعالى قد ثبت أنه قديم وأن الحدوث عليه محال فاستحال أن يكون مولودا))[١]، فالله تبارك وتعالى واحد أحد فرد صمد، ونلاحظ ان الإمام يؤكد على وحدانية الله تعالى، لأنه يعرف الآثار المترتبة في الاقرار والايمان والتعمق بالمعرفة بها، وان الإنسان كلما زاد ايمانه بمعرفة الله زاد عطاؤه في المجتمع ايجابيا، لأن الوحدانية لله تعالى تدعو إلى كل فضيلة ومن اهمها استصلاح النفوس والارض، لينعم لها الإنسان من فيض وجوده الأوحد.

ب. طريق المعرفة الحصولية:

وتعني هذه المعرفة او طرق تنمية التوحيد بهذه الطريقة هو ((ان يتوفر الإنسان على معرفة ذهنية ببعض المفاهيم الكلية امثال الخالق، الغني، العالم بكل شيء))[٢]، فقوله (عليه السلام): ((**هُوَ الَّذِي اشْتَدَّتْ نِقْمَتُهُ عَلَىَ أَعْدَائِهِ فِي سَعَةِ رَحْمَتِهِ وَاتَّسَعَتْ رَحْمَتُهُ لِأَوْلِيَائِهِ فِي شِدَّةِ نِقْمَتِهِ**))[٣]، يبدو أن الإمام (عليه السلام) اراد بتنمية التوحيد في نفوس الناس من خلال فيض الرحمة التي يعطيها لكل موجود ومنها اعداء الله تعالى من أهل الفجور والمعاصي ويكفينا قول ابن ابي الحديد في بيانه إذ يقول ((و معنى الكلام أنه مع كونه واسع الرحمة في نفس الأمر وأنه أرحم الراحمين فإنه شديد النقمة على أعدائه ومع كونه عظيم النقمة في نفس الأمر وكونه شديد العقاب فإنه واسع الرحمة لأوليائه))[٤]، وكل هذه المعاني

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٣/ ٨١.

(٢) دروس في العقيدة الإسلامية، محمد تقي اليزدي: ٥٨.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد:٦/ ٣٩٥.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد:٦/ ٣٩٦.

تساعد في تنمية العقل الباطن بأن الله تعالى لا تنفعه الأعمال الصالحة ولا تضره القبائح، وان هذه الاحوال لله تعالى تدل على أنه غير محتاج، وأنه حكيم لأنه يأمر بما يصلح الإنسان، ومجتمعه الذي يسكنه، من اجل تحقيق السعادة في الدنيا كمقدمة للسعادة في الآخرة.

ج. طريق المعرفة الفطرية:

وتعني هذه الطريقة في التنمية للتوحيد ((ان قلب الإنسان يعرف الله، وان في عمق روحه توجد إمكانيات وبذور المعرفة الشعورية بالله، تصلح للنمو والاشتداد، ولكن هذه الإمكانيات الفطرية في الأفراد العاديين، ليست بتلك القوة التي تغنيهم عن التفكير والتأمل والاستدلال العقلي))[1]، أي أنها ((عبارة عن ميل ونزوع ذاتي، أي ان الموجود الفطري هو ما خلق بحيث يكون له توجه ذاتي نحو شيء معين بدون تعليم وتجربة، مثل فهم الحسن والقبح))[2]، واستخدم الإمام طرقًا في عملية التنمية الفطرية والإحساس النفسي داخل الإنسان ان هناك قوة عظمى تحيطه وتمنحه السلامة وتدفع عنه الآلام، فذكر الإمام الكثير مما ينمي هذا الشعور ويجعله في عداد العقيدة العقلية، بل عمل على ترسيخها عن طريق التأمل في خلق الله العظيم، لأن التأمل في خلق الله يكفي ان يعطي صورة ذهنية على قوة الخالق وامكاناته التي لا يمكن أن يتصورها الإنسان المحدود، ويمكن استعراض بعض النماذج من هذه الطرق.

خلق الإنسان:

يعد خلق الإنسان من أولويات طرق التنمية بوحدانية الله تعالى، فقد حفل نهج

(١) دروس في العقيدة الإسلامية، محمد تقي اليزدي: ٦٠.

(٢) منهاج الحياة، علي الاشكوري: ١٣.

البلاغة بمعان غاية في الجدة على الثقافة العربية خاصة في مجال مراحل خلق الإنسان وأحوال إنشاء الكون من دحو الأرض ورفع السماء وإنشاء السحاب وتثبيت الجبال وغيرها، والتي تلقاها الإمام علي (عليه السلام)بأذن واعية وقلب حافظ وعقل متبصر، واستطاع أن يوظفها من خلال الدرس القرآني في التفكر في أحوال ما يحيط به من طبيعة ليقدمها أدلة واضحة على عظمة الباري جل وعلا وتوحيده تارة، ويحملها براهين دامغة يسند بها رأيه في النصح والتحذير تارة أخرى[١]

فمن خطبة له (عليه السلام): ((**أَمْ هَذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ وَشُغُفِ الْأَسْتَارِ، نُطْفَةً دِهَاقاً وَعَلَقَةً مِحَاقاً، وَجَنِيناً وَرَاضِعاً وَوَلِيداً وَيَافِعاً، ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْباً حَافِظاً وَلِسَاناً لَافِظاً وَبَصَراً لَاحِظاً، لِيَفْهَمَ مُعْتَبِراً وَيُقَصِّرَ مُزْدَجِراً، حَتَّى إِذَا قَامَ اعْتِدَالُهُ وَاسْتَوَى مِثَالُهُ، نَفَرَ مُسْتَكْبِراً وَخَبَطَ سَادِراً مَاتِحاً فِي غَرْبِ هَوَاهُ، كَادِحاً سَعْياً لِدُنْيَاهُ فِي لَذَّاتِ طَرَبِهِ وَبَدَوَاتِ أَرَبِهِ**))[٢]، عرض الإمام علي (عليه السلام) مشهدًا لم تعرفه العلوم الطبية وعلم الأحياء على الخصوص الا في عهد قريب، وقد تضمن هذا النص أطوارا متتابعة لخلق الإنسان بدءا من الحاضنة وهي (الأرحام) فطور (نطفة) التي امتزج فيها الماءان، ثم (علقة) اي قطعة من دم جامدة، وسميت العلقة محاقا هاهنا لأنها لم تحصل لها الصورة الإنسانية بعد فكانت ممحوة ممحوقة، ثم (مضغة) أي قطعة لحم قدر ما يمضغ، وفي كل طور وقت وزمان، فتبقى في قرار الرحم أربعين يوما نطفة، ثم تصير علقة أربعين يوما، ثم مضغة أربعين يوما، ثم يجعل الله بعدها عظاما ثم تكسى لحما، ثم يلبس الله فوقه جلدا، ثم ينبت عليه شعرا[٣]، ثم يكمل الإمام الوصف المتعلق بالخلقة،

(١) ظ: الأثر القرآني في نهج البلاغة، د.عباس الفحّام: ٣٩٠.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٦/ ٣٦٩.

(٣) ظ: تفسير الإمام العسكري، الإمام العسكري: ٣٣. الكشاف، الزمخشري: ٧/ ١٩٥. مفاتيح

لينتقل إلى (مَنَحَهُ قَلْباً حَافِظاً وَلِسَاناً لَافِظاً وَبَصَراً لَاحِظاً) أي انه قد أشار الى ثلاث من صفات الإنسان: الذاكرة وهي إحدى الوسائل التي نهتدي بها في حياتنا العملية، والنطق وهو من أعظم ما في الإنسان من روعة وإبداع وفيه تنعكس أفعال الإنسان ومشاعره ومقاصده، ومعنى هذا ان الإنسان هو الكلمة لأنها جزء من تفكيره الذي به قوامه وكيانه، ولا شي ء أدل على هذه الحقيقة من ان كل ما فعلته الإنسانية، أو فكرت فيه قد ذهب مع الأيام إلا ما حفر فوق الصخور، أو سطّر في صفحات الكتب، وكل ميت إلى النسيان والإهمال إلا من ترك كلمة تنير العقل، وتحرك الضمير، وتهدي إلى حياة أحسن، وثالثاً البصر وإن نعمة البصر تماما كنعمة البصيرة، لأن الإنسان بعقله وحواسه، ولولاها لكان أشبه بالجماد لا يميز بين الظلمة والنور وان الله سبحانه منح الإنسان نعمة البصر والبصيرة لينتفع بتجاربه الحسية، ويهتدي بها إلى المعرفة، وأهمها التوحيد عن طريق التفكر بخلقه سبحانه وتعالى.[1] فالعرض لأطوار الخلق بما تحمل من علوم، له اثار تقع في النفوس ومنها تبث روح التفكر بالخالق لهذا الخلق العظيم بهذا النظام الدقيق، فيبث التنمية بتوحيد الواحد سبحانه وتعالى.

ومن الأدلة على الوحدانية لله تعالى النظر في خلق الله تعالى، ومنه السماء والارض وما بهما من دلائل واضحة قد نظمها امير المؤمنين بنظم بديع ورتبها بنسق فريد، تناول الفلك وعلم الارض وبعض العلوم كعلم التحقيق الجنائي، والتي استثمرها بإبداع في دلائل خلقها من الواحد الأحد، وهو قوله (عليه السلام): ((**فَانْظُرْ إِلَى اَلشَّمْسِ وَاَلْقَمَرِ وَاَلنَّبَاتِ وَاَلشَّجَرِ وَاَلْمَاءِ وَاَلْحَجَرِ وَاِخْتِلاَفِ هَذَا اَللَّيْلِ وَاَلنَّهَارِ**

الغيب، الرازي: ٩/ ٣٤٩. الجامع الكبير،السيوطي: ١/ ١٣٥. شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٦/ ٢٧٠. الأثر القرآني في نهج البلاغة، د. عباس الفحّام: ٣٩١، ٣٩٢.

(١) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ١ / ٤٠٧ - ٤٠٩.

وتَفَجُّرِ هَـذِهِ اَلْبِحَـارِ وكَثْـرَةِ هَـذِهِ اَلْجِبَـالِ وطُـولِ هَـذِهِ اَلْقِـلاَلِ وتَفَـرُّقِ هَـذِهِ اَللُّغَـاتِ وَاَلْأَلْسُـنِ اَلْمُخْتَلِفَـاتِ، فَالْوَيْـلُ لِمَـنْ أَنْكَـرَ اَلْمُقَـدِّرَ وجَحَـدَ اَلْمُدَبِّـرَ، زَعَمُـوا أَنَّهُـمْ كَالنَّبَـاتِ مَـا لَهُـمْ زَارِعٌ وَلاَ لِاخْتِـلاَفِ صُوَرِهِـمْ صَانِـعٌ ولَمْ يَلْجَئُـوا إِلَى حُجَّـةٍ فِيـمَا اِدَّعَـوْا ولاَ تَحْقِيـقٍ لِمَـا دَعَـوْا أَوْعَـوْا وهَـلْ يَكُـونُ بِنَـاءٌ مِـنْ غَـيْرِ بَـانٍ أَوْ جِنَايَـةٌ مِـنْ غَـيْرِ جَـانٍ))[1].

إن الغاية الفريدة من هذا الجمال في تركيبات الكلمات التي تصف قدرة خالق الارض والسماوات ماهي إلا دلائل القدرة في الخلق والتي لم يدّعيها الا من فطر السماوات والارض، فالمتبصر لهذا الخلق يدرك ان دون أن يكون وراءه حي قيوم خلق فسوّى، وقدّر فهدى. ان المادة صماء عمياء لا روح فيها ولا شعور، ولا أغراض لها ولا غايات، ويستحيل أن تتحرك من غير محرك، فكيف ينسب اليها الخلق والإبداع والتنظيم والتدبير؟ (زعموا انهم كالنبات الخ) وانها هي خلقت الإنسان في أحسن تقويم، وجعلت له السمع والبصر والفؤاد، وكل الطاقات التي صعدت به إلى القمر، وفعل بها المعجزات، وقد استخدم الإمام (عليه السلام) الدليل القرآني لبيان العمق القرآني الذي تحدث به (عليه السلام)و هو قوله تعالى: ﴿**أَمْ خُلِقُـوا مِـنْ غَـيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُـمُ الْخَالِقُـونَ ٣٥ أَمْ خَلَقُـوا السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَـلْ لَا يُوقِنُـونَ**﴾[2]. وما من أحد ادّعى أنه خُلِق من غير شيء، أو قال: أنا خلقت نفسي والكون، ولكن لا فرق بين من زعم انه كالنبات، وبين من قال: انه خلق من غير إرادة قادرة ومدبرة، وانه هو خلق نفسه والكون بما فيه [3]، واستخدم الإمام الدليل الذي يبحث عنه المحققون في العمليات التي يريدون جمع ادلتها،

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٣ / ٥٦.

(٢) الطور / ٣٥-٣٦.

(٣) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٦١، ٦٢. الأثر القرآني في نهج البلاغة، د. عباس الفحّام: ٤٠٥.

انه لاتوجد جناية دون ان يكون لها جان، فكما انه لابد من وجود فاعل، فهذا الكون له محدث واحد، لم يدّعِ احد غيره بهذا الخلق، وهو كما قال الإمام علي لابنه الحسن (عليه السلام) ((**وَاِعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لَأَتَتْكَ رُسُلُهُ وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مِلْكِهِ وسُلْطَانِهِ ولَعَرَفْتَ أَفْعَالَهُ وصِفَاتَهُ ولَكِنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ لاَ يُضَادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ ولاَ يَزُولُ أَبَداً ولَمْ يَزَلْ أَوَّلٌ قَبْلَ اَلْأَشْيَاءِ بِلاَ أَوَّلِيَّةٍ وآخِرٌ بَعْدَ اَلْأَشْيَاءِ بِلاَ نِهَايَةٍ**))[1]، ان جميع الأنبياء والمرسلين دعوا إلى إله واحد لا ضد له ولا ند، والآثار كلها تدل على ان المؤثر واحد، وهي أو منها هذه القوانين الطبيعية الدقيقة التي تحكم أجزاء الطبيعة وظواهرها، وتجمعها في مجموعة واحدة شاملة تدل على وحدة التدبير والمدبر الواحد، فاذا بان ذلك من الله سبحانه فعلى الإنسان أن يطيعه بما يليق بجلاله وكماله، وأن يجعل طاعته أساسا لجميع أعماله، لأنه تعالى لا يأمر إلا بما يعود عليك وعلى غيرك بالخير والصلاح [2]، فالخلق العظيم يدل على عظمة الخالق، والخلق الذي يتسم بالاعتدال الدال على وحدة النظام الجامع لكل المخلوقات يدل على وحدانية الله تعالى، وإن دليل الامام لابنه الإمام الحسن (عليه السلام) دليل اخر على الوحدانية المطلقة للخالق سبحانه وتعالى.

التوحيد نواة الطمأنينة الاجتماعية

لقد حفل كلام الإمام علي (عليه السلام) بالكلام عن التوحيد، وهو متنوع الاتجاهات منها في الذات المقدسة لله تعالى، ومنها النظر في احوال الكون والمخلوقات[3]، والذي يبدو للبحث ان للتوحيد اثر كبير في زرع الاطمئنان في

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٦ / ٧٧.

(٢) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٣/ ٤٩٩.

(٣) ظ: الأثر القرآني في نهج البلاغة، د.عباس الفحّام: ٣٥١-٣٧٠.

المجتمع، وقد قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[١]، ويعني ان الاطمئنان للقلوب حالة السكينة لها، كما قال السيوطي باختصار انها تعني (تسكن القلوب)[٢] بذكر الله تعالى، ومعنى ((تسكن وترضى قلوبهم ﴿بِذِكْرِ اللهِ﴾ يعني: إذا ذكروا الله تعالى بوحدانيته، آمنوا به، غير شاكين))[٣]، ان الإسلام هو الدين الذي يحقق للإنسان ما يصبو اليه من الاستقامة مع مقتضيات حكمة الله فيه[٤]، خاصة إذا وقفنا على ((حقيقة اهداف الإسلام، وتحديدا بعدها الإنساني، فسنرى انها تتلخص في تنظيم حياة الإنسان من خلال شريعة وقانون، يحصل من خلالهما على السعادة الدنيا والآخرة))[٥]، فعقيدة التوحيد التي يبنى عليها المجتمع الإسلامي هي عقيدة تدعو الإنسان إلى السعي نحو الرقي والتكامل، وتلقي على عاتقه مسؤولية السعي في الارض وإعمارها وتطوير الحياة فيها، لأن الهدف من خلق الإنسان هو السير في طريق تكامله من خلال ممارسة الافعال الاختيارية من اجل التوصل إلى الكمال النهائي[٦] فالتوحيد يشكل في الأمة الإسلامية العمود الفقري لثقافتها[٧]، روي إن أعرابيا قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال: يا أمير المؤمنين ! أتقول: إن الله واحد؟ قال: فحمل الناس عليه قالوا: يا أعرابي أما ترى ما فيه أمير المؤمنين من تقسم القلب؟ ! فقال

(١) الرعد / ٢٨.

(٢) الدر المنثور، السيوطي: ٦:٦.

(٣) بحر العلوم، السمرقندي: ٢: ٤١٦.

(٤) ظ: علي في التزام الحق، ضياء الدين زين الدين: ٤٧٣.

(٥) الإسلام والتجديد رؤى في الفكر الإسلامي المعاصر، علي المؤمن: ١٢٩.

(٦) ظ: دروس في العقيدة الإسلامية، محمد تقي مصباح اليزدي:٢٠٩.

(٧) ظ: التنمية في فكر الامام الشهيد محمد باقر الصدر، عباس فاضل محمود العامري: ١١٤.

أمير المؤمنين (عليه السلام): ((دعوه، فإن الذي يريده الأعرابي هو الذي نريده من القوم!)[١]، فرغم انه في الحرب ومع امير المؤمنين (عليه السلام) إلا أن ظاهر سؤاله يؤدي انه طالب اطمئنان عن طريق الحوار الذي يكون -أحيانًا- أقوى من الأسلحة العسكرية كلها؛ لأنه يعتمد على القناعات الداخلية الذاتية؛ بل ربما أفلح الحوار فيما لا تفلح فيه الحروب الطاحنة))[٢]. إذ إن مسالة تجنب الخشونة في نشر الدعوة تعد من اهم الشروط المطلوبة. أي ان الدعوة نفسها ينبغي ألا تكون مقرونة بالفظاظة والخشونة، ولا بالإكراه والاجبار[٣]، ولهذا نجد من الرواية ان (تصدي الإمام (عليه السلام)لإجابة الاعرابي مبينا ان هدفه ليس التسلط والاستعلاء وانما هو العقيدة السليمة)[٤]، فإن المسلمين وإن شنّوا حروبًا ضد أعدائهم، لكن هذه الحروب لم تكن بهدف إكراه أحد على الدخول في الإسلام، فقد قال الله تعالى: ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾[٥]؛ بل كانت بهدف إزالة الطواغيت التي تحول بين الناس وبين الدخول في الدين، أو تضغط عليهم وتكرههم على ترك دينهم الحق، والدينونة بالكفر[٦]. ويعد التوحيد هو وحده الذي يمكن ان يؤدي وظيفة الدين الكبرى، ويوجه البشرية على مقياس عملي، وتنظيم اجتماعي، تحفظ فيه المصالح الاجتماعية[٧]. فهو ثقافة للتغيير وليست ترفيهًا، وهي ثقافة الأمة لا

(١) -ظ: موسوعة الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام)في الكتاب والسنة والتاريخ، محمد الريشهري: ١١: ٧٧.

(٢) -.ظ: قوة التحكم في الذات، د. إبراهيم الفقي: ٣٩.

(٣) ظ: الإنسان الكامل، مرتضى مطهري: ٢٥١.

(٤) فلسفة الدين، كمال الحيدري: ٧.

(٥) البقرة/ ٢٥٦.

(٦) http://www.saaid.net/mktarat/m/14.htm.(

(٧) ظ: التنمية في فكر الامام الشهيد محمد باقر الصدر، عباس فاضل محمود العامري: ١١٤.

النخبة فقط، وهي ايضا ثقافة للعمل والحركة من اجل تزكية النفس والمجتمع[١]، والتي توجه فكر الإنسان إلى النظرة العميقة والهادفة نحو الحياة من خلال اتباع الشرائع السماوية لأجل ايصال الإنسان إلى الغاية التي خلق من اجلها وهي سعادته في الدنيا والاخرة[٢]. وهذا الإطار هو الذي يجعل النظام الإسلامي قادراً على النجاح، وضمان تحقيق المصالح الاجتماعية العامة للإنسان،، من خلال تشريعات الله التي ترسم الطريق، لا لتزكية الروح فقط، وتطهير القلب ونظافة التصورات والافكار فقط، وإنما لتجعل من حركة الإنسان وسلوكه الذي يصب في الرافد الأكبر للإسلام، وهو مفهوم المجتمع البشري الواحد[٣]، هو الأصل الذي تنمو عليه شجرة السعادة الإنسانية، وتتفرّع منها الاخلاق الكريمة[٤]، وهذه الفروع هي التي تثمر ثمراتها الطيّبة في المجتمع الإسلامي تحت ظل التوحيد.

المطلب الثاني: قانون الجذب الاجتماعي

لابد من بيان بسيط لقانون الجذب الاجتماعي. فالجذب لغة: هو الشد مثل جذب المغناطيس الحديد أي شد بقوة او استمال او استهوى[٥]، وعند الصوفية ((جذب الله العبد إلى حضرته))[٦]، فالجذب ((الجَذبُ مَدَّك الشيَّء، ومنه التَّجاذُبُ، وانجذبوا في سيرهم، وانجذَبَ بهم سيرٌ))[٧]. أمَّا اصطلاحاً فهو ذلك

(١) -ظ: الإسلام والتجديد رؤى في الفكر الإسلامي المعاصر، علي المؤمن: ١٤٤.

(٢) فلسفة الدين، كمال الحيدري: ١٤.

(٣) ظ: بحوث ودراسات إسلامية، محمد جعفر شمس الدين: ١٢٢-١٢٣.

(٤) ظ: التقوى في القرآن، كمال الحيدري: ١٤.

(٥) المنطق، ابن سينا: ٤٠١.

(٦) http//:www.yasoob.com/ar./

(٧) العين، الفراهيدي:٦/ ٩٥.

الجذب الذي يقع بين الناس في الحياة الاجتماعية وقائما على التشابه والتماثل الذي هو علة الانضمام[١][٢]، وقانون الجذب الاجتماعي ولد مع بداية الزمان، أي انه موجود منذ البدء وسيبقى موجودا حتى النهاية وهو القانون الذي يحدد الانتظام التام في الكون[٣] هذا بالنسبة لمعنى الجذب.

أما لفظ اجتماعي فهو من (جمع): الجمعُ، اسم لجماعة الناس[٤] او (جَمَع الشْيءَ المتفرّق فاجتمع وبابه قطع وتَجَمَعَ القوم اجتمعوا من هُنا وهُنا. والجَمْع أيضاً اسم لجماعة الناس)[٥]، يهتم علم الاجتماع بالمجتمع، إذ إنه يقوم بدراسة المجتمع وما يسود فيه من ظواهر اجتماعية مختلفة وقانون الجذب الاجتماعي يعتمد على السلوك الاجتماعي الذي هو التطبيق العملي للمعتقدات والأعراف والقواعد السلوكية التي يعتقدها ويتمسك بها افراد المجتمع ويظهر هذا السلوك على شكل افعال او ردود افعال واقوال او ردود اقوال بين افراد المجتمع [٦].

عناصر المجتمع وقانون الجذب الاجتماعي في نهج البلاغة

لعناصر المجتمع وقانون الجذب وجود في نهج البلاغة، فالتنمية البشرية

(١) الانضمام هو الذي يرى ان اصل الجذب والدفع هو الحاجة ورفع الحاجة. الإنسان كائن محتاج فقد خلق محتاجا فيسعى بمحاولاته لكي يملأ فراغاته ويسد حاجاته، الا ان هذا غير ممكن ما لم ينضم إلى جماعة ويبتعد عن جماعة، فينتفع بهذا الانضمام من الجماعة ويدرأ عن نفسه ضرر جماعة اخرى (ظ: م - ن: ٢٠).

(٢) ظ: الإمام علي (عليه السلام)في قوتيه الجاذبة والدافعة، مرتضى مطهري:١٩.

(٣) السر، رواندا بايرن: ٢٠.

(٤) العين، الفراهيدي: ١/ ٢٣٩..

(٥) مختار الصحاح، الرازي: ٤/ ٦٥.

(٦) ظ: معجم علم الاجتماع، د. عدنان مصلح: ٢٩١.

ومواردها لها المصطلح فقط، اما جوهرها بكل التفاصيل فإن الإمام عليًا (عليه السلام)قد سبقهم في التنظير اليها،، فالمجتمع عبارة عن أناس وافكار ومشاعر وانظمة، هذه عناصر التكوين الأساسية التي تكون المجتمع[١] والتي ذكرها امير المؤمنين (عليه السلام) مبتدءاً بوصف خلق الإنسان بقوله ((**ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَمَثُلَتْ إِنْسَاناً ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا وفِكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا وجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا وأَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا ومَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ والْبَاطِلِ**)) [٢]. خلق الله سبحانه آدم من جسم وروح، ولكن بالتدريج لا دفعة واحدة، خلق أولا جسما بلا روح ونفخ فيه الروح، ومعنى هذا انه تعالى أنشأ الإنسان على أكمل وجه جسما وروحا بحيث لا شيء فوق كمال الإنسان من هذه الجهة إلا خالق الإنسان. فيكون أول عنصر من عناصر المجتمع، والعنصر الثاني هي الأرض وهي البيئة الطبيعية للإنسان، ومصدر حياته وحضارته وفيها يتعرف على خالقه ويعبده، ومنها يثب إلى السماء والكواكب، وإليها يعود[٣]، ويمكن ان نستفيد من تشخيص واضح لعناصر المجتمع هي الإنسان (الخليفة) والأرض أو الطبيعة والعلاقات التي تربط بين الإنسان وأخيه من جهة والعلاقة بينه وبين الطبيعة من جهة اخرى. ولا يوجد بين هذا التقسيم لأفراد المجتمع والذي سبقه اختلاف إلا في الظاهر، فالإنسان هو الإنسان والطبيعة هي الطبيعة خاصة إذا ما عرفنا ان الطبيعة تعني ((القوة السارية في الأجسام التي يصل بها الموجود إلى كماله الطبيعي أو هي ماهية الشيء، فطبيعة الشيء سر نموه وتغييره وحركته، أو هي مجموعة من الصفات التي يتميز بها النوع

(١) ظ: معجم علم الاجتماع، د. عدنان مصلح : ٣٥٨.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١/ ٩٦.

(٣) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ١/ ٤٥- ٤٩.

او هي العقل أي نور طبيعي يميز الحق من الباطل والصحيح من الفاسد))[١] أي ان المجتمع يعيش في طبيعة ذات قانون وافكار ومشاعر))[٢]، وهذا يجعل من ((الإنسان يمثل افضل موجود في عالم الخلقة واشرف مخلوقات الله سبحانه))[٣]، ويعد هذا التكريم لوحده مصدرا هاما في القوة الجاذبة، فتكريم الله تعالى الإنسان ((يعود في الواقع لموقع ارادة وعقل بني آدم(الإنسان) من بقية المخلوقات ليس إلا، تلك الإرادة وذلك العقل الذي يمكنه من الارتقاء إلى مستوى افضل من الملائكة))[٤]، بل لأن الإنسان بهذا الوصف يكون مصدرًا يجذب كل شيء اليه من الناس للعمل والظروف والصحة والثروة والدين والمجتمع الذي يعيش فيه ويجذبهم كالمغناطيس[٥]، إن الإمام (عليه السلام) يتكلم عن خلق الإنسان من تراب مركب من جميع المواد المختلفة على وجه الارض لتنطوي على مختلف الاستعدادات التي تشمل مختلف القوى العقلية والذهنية التي زود بها الإنسان ويوظف كلا منها في مجالات حياته وقوله(فكر يتصرف بها) اشارة إلى الافكار التي يتصرف الإنسان بواسطتها[٦]، فلقد خلق الله الإنسان ومكنه في الارض بعد أن زوده بما يجعله قادرا على إدامة حياته، متمكنا من ان يتقدم ويتطور نحو الأفضل وذلك بالمخ الإنساني[٧] وان ((معرفة الإنسان وادراكه للأشياء لا تقف عند ظواهرها بل تعبر إلى باطنها وتنفذ إلى ذاتها وماهيتها والى الروابط فيما بينها

(١) معجم المصطلحات، جميل صليبا:١٣، ١٤.

(٢) الاسراء / ٧٠.

(٣) نفحات الولاية،مكارم الشيرازي:١٢٢.

(٤) اتجاهات الدفاع الاجتماعي في الإسلام، جلال الدين الصغير: ٧٣.

(٥) ظ: السر، رواندا بايرن:٣٥.

(٦) ظ: نفحات الولاية، مكارم الشيرازي: ١١٠-١١٢.

(٧) ظ: الدماغ البشري، د. طارق ابراهيم حمدي: ١٦.

والضروريات التي تتحكم بها))[١] فالإنسان هو العنصر الاساسي في المجتمع وهو يمثل المصدر الوحيد لأهداف المجتمع ويحمل كل الصفات السلوكية للمجتمع وخبراته ويستمد منه المجتمع القوى اللازمة والمنظمه لحركتة والمتمثلة في القادة والعلماء واليد العاملة، أي ان من أبرز وأقوى قوى الجذب لدى الإنسان هي القوة الفكرية لديه مما تشكل قوة جاذبة له توجه نحو الاصلاح والبناء والنمو، فـ((قانون الجذب هو قانون مطيع جدا. فلدى تفكيرك بالاشياء التي ترغب بها، وصرفك كامل انتباهك عليها، سيقوم القانون بإعطائك ما تريد كلما فعلت ذلك، وعندما تركز تفكيرك على أي شيء فإنك تدعوه ليدخل حيز الواقع، إذ إن قانون الجذب هو قانون الخلق ذاته ويخبرنا فيزيائية الكم ان الكون بكامله قد انبثق عن افكار، وادراكك لهذا القانون يجعلك اكثر دراية بالقوة الهائلة التي تمتع بها، مما يجعلك قادرا على التفكير بالحياة التي تريدها))[٢]، ومما يعضد القوة الجاذبة الفكرية قوة المشاعر المتولدة من تلكم الأفكار وهي المسؤولة عن العناصر الأخرى للمجتمع (العلاقات والطبيعة) من حيث التفاعل معها وصولا لمجتمع متكامل من كل الجوانب. فالمشاعر ((هي أهم أداة تساعد لتشكيل الحياة وهي التي تعلم بما يفكر فيه الإنسان بالضبط وما يجب ان يفعله الإنسان ولذا لابد ان يضع الإنسان المشاعر الحسنة والأحاسيس الايجابية))[٣]، فكلها توفر قوى جاذبة في المجتمع وهي الرفاهية والسعاة، وتمثل عناصر عناصر الجذب في المجتمع بما يلي:

(١) الإنسان في فكر الشهيد مرتضى مطهري، احمد حسين عودة: ١٩.

(٢) السر،رواندا بايرن: ٢٩-٣٠-٣١.

(٣) السر،رواندا بايرن: ٤٤-٤٥.

١. الاستثمار:

معنى الاستثمار، يأتي من معناه اللغوي ((استثمر الرجل: وجد ثمرا، واستثمر الشيء: جعله مثمرًا))[١]، فيكون معناه هنا، استثمار الفرص المختلفة الايجابية لخدمة الإنسانية، إذ إن أكثر الناس كمالا هم أولئك الذين يستثمرون اكثر ويستفيدون من نعم الدنيا وفي كل الظروف، مستلزمين معها عدم الانصراف عن العمل الإنساني، لأن الغاية الكمال بالحد الأعلى وهو ليس متيسرا في الدنيا، وإن حده الأعلى متوفر وميسر في الآخرة[٢]،قال امير المؤمنين (عليه السلام) فيما يصب في هذا المعنى ((**فَاللهَ اللهَ مَعْشَرَ الْعِبَادِ! وَأَنْتُمْ سَالِمُونَ فِي الصِّحَّةِ قَبْلَ السُّقْمِ، وَفِي الْفُسْحَةِ قَبْلَ الضِّيقِ، فَاسْعَوْا فِي فَكَاكِ رِقَابِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُغْلَقَ رَهَائِنُهَا، أَسْهِرُوا عُيُونَكُمْ، وَأَضْمِرُوا بُطُونَكُمْ، وَاسْتَعْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ، وَأَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ، وَخُذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ تَجُودُوا بِهَا عَلَى أَنْفُسَكُمْ، وَلاَ تَبْخَلُوا بِهَا عَنْهَا**))[٣]، وهنا دعوة للاستثمار بكلماته التي جعلها دستورا كماليا يمكن للإنسان الاستفادة منه إن احسن الاستماع فـ ((قوله في الصحة قبل السقم متعلقة بالمحذوف الناصب لله وهو اتقوا أي اتقوه سبحانه في زمان صحتكم قبل أن ينزل بكم السقم وفي فسحة أعماركم قبل أن تبدل بالضيق. وفكاك الرقاب بفتح الفاء عتقها قبل أن تغلق رهائنها يقال غلق الرهن بالكسر إذا استحقه المرتهن بألا يفكه الراهن في الوقت المشروط وكان ذلك من شرع الجاهلية فنهى عنه النبي (صلى الله عليه وآله) وقال لا يغلق الرهن. وخذوا من أجسادكم أي أتعبوها بالعبادة حتى تنحل))[٤] بمعنى ان الإنسان طاقة

(١) كيف تستثمر اوقاتك، خليل الموسوي: ١٦٣.

(٢) ظ: التكامل الاجتماعي للإنسان، مرتضى مطهري:٦٦،٦٧.

(٣) شرح نهج البلاغة، ان ابي الحديد: ١٠/ ١٢٢، ١٢٣.

(٤) م-ن: ١٠/ ١٢٣، ١٢٤.

يمكن ان يستثمر الطبيعة ومحيطه الخارجي إلى اقصى حد ممكن[١]، ولهذا حث (عليه السلام) على ان يجد الإنسان ويتعب نفسه في عملية الاستثمار، وبناء على ذلك يكون الإنسان هو المحرك الاساسي لكل شيء في هذا الوجود، لأنه وببساطه مبني على أساسه، وبصفاته المختلفة يمتلك زمام الامور في كل طريق وكل اتجاه وتوجه، فكري او توجه اجتماعي في الاقتصاد او السياسة او غيرها[٢]، والاستثمار يرسم له الإمام (عليه السلام)استثمارا ذا بعد معنوي كبير وأثر مادي بالغ الأثر بقوله ((وَ اغْتَنِمْ مَنِ اسْتَقْرَضَكَ فِي حَالِ غِنَاكَ لِيَجْعَلَ قَضَاءَهُ لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ))[٣]، يبدو أن الإمام قد جعل الاستثمار للمستقبل امر بالغ الأهمية وخاصة في الاموال التي استخلفها الله لعباده، عن طريق الصدقات او القرض وحذر من اكتنازه مع وجود محتاجين اليه بقوله ((فإياك أن تحمل من المال ما يثقلك ويكون وبالا عليك وإذا وجدت من الفقراء والمساكين من يحمل ذلك الثقل عنك فيوافيك به غدا وقت الحاجة فحمله إياه فلعلك تطلب مالك فلا تجده))[٤]، وهنا استخدم التنمية للعقل في عملية توضيح كيف يكون الاستثمار أفضل وأنجع، وليس الاستثمار هو صبغة ذات طابع مادي، بل ان الاستثمار في كل شيء ((ان الزاد الذي يقيك عذاب الحريق يوم القيامة ليس من نوع العلم والبلاغة، ولا من التسبيح والتهليل، أو من نوع المال والجمال، والجاه والأنساب، كلا، انه شيء آخر لا يحمله المسافر إلى الله بنفسه، بل يحمّله لغيره، فيتمتع به حامله في الحياة الدنيا، ويفتدي به صاحبه غدا من غضب الله وعقابه))[٥]. إذ إن تنمية العقل والفكر في كل المجالات مهمة

(١) التكامل الاجتماعي للإنسان، مرتضى مطهري: ٦٥.

(٢) الثقافة والتنمية البشرية، اشواق الساعدي: ٧٠.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٦/ ٨٥.

(٤) م - ن: ١٦ / ٨٦.

(٥) في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٣ / ٥٠٣.

في الاستثمار، فهي تحتل ((موقع الاساس في العملية المعرفية الإبداعية فهي الحاكم في الابداع والتي لها قدرة في توليد البدائل فهي اساس الإبداع القابل للتنمية))[١]، وهي ما تؤكد عليه العملية التنموية للمجتمع، فجعل الإمام (عليه السلام)ادخال السرور على الناس او قضاء حوائجهم، أكثر انواع الاستثمار التي تنفع في الدنيا كالقرض والآخرة كالصدقات وغيرها.

٢. العمران:

العمران من ((العِمَارةُ ما يُعْمَر به المكان))[٢]، وقولهم قد ((استعمر الله تعالى عباده في الأرض أي طلب منهم العمارة فيها))[٣] يعني انه وجود إنسان قادر على التعمير - مهما بلغ سعيه، ولا تتم قدرته بمجرد قوته البنيوية دون ارتباطه الفكري وانتمائه الإيماني، حتى يدوم سعيه ولا ينكفئ، وهذا عنصر أساسي في إنجاح العملية التنموية[٤]، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) ((**وَلْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْخَرَاجِ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُدْرَكُ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ وَمَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ الْبِلَادَ وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ**))[٥]، إن ما يريده الإمام (عليه السلام) من استعمار الارض ((ان المورد الرئيسي للثروة وزيادة الدخل هو الأرض، بخاصة في ذلك العهد، حيث كان الاعتماد قبل كل شيء على الزراعة، وثروة الأرض الموجودة فيها بالقوة، ولا تظهر هذه الثروة إلى عالم الوجود إلا بالعمل وتوفير الآلة. وأيضا

(١) ظ: علم النفس والعولمة- دكتور مصطفى حجازي:١٧٤،١٧٥

(٢) لسان العرب،ابن منظور: ٤ / ٦٠١. تاج العروس، الزبيدي: ٣٢٣٩.

(٣) أساس البلاغة، الزمخشري: ١ / ٣٢٢.

(٤) ظ: الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) والتنمية البشرية - التراحم أنموذجا، محمد صادق الخرسان: ٤٢.

(٥) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٧ / ٧٠.

من البداهة ان زيادة الانتاج وحدها لا تزيد في دخل الفرد، ولا تسد حاجة كل محتاج إلا مع النظام العادل الذي يحقق المساواة بين الجميع، وعليه تكون وصية الإمام لعامله بعمارة الأرض مع استقامة الأمر والحياة هي وصية بمراعاة العدل والعمل لزيادة الإنتاج وتحسينه وتنظيم أسواقه، وما إلى ذلك مما يعود على الجميع بالخير والصلاح))[١]، اذا لا تقتصر عمارة الارض على الماديات فقط، بل تحتاج إلى عدالة، وافضل العمران في الأرض هو عمرانها بالحب وبالخير وبالإبداع وبالعمل الصالح وبالتعاون وبالسلام وبالانتماء إلى الله، خدمة للإنسان وتلبية لسد حاجاته المعقولة والممكنة، تجسيدا لمبدا اعمار الأرض ومن فيها، وهو عين وظيفة الإنسان ووظيفة التنمية البشرية في الوقت نفسه، وبتعبير أدق توظيف كل القدرات البشرية[٢]،واستثمارها لتحقيق متطلبات الإنسان وطموحاته الأساسية المشروعة.

٣. التمكين:

من مكّن، والتمكين من الشيء هو ((هو مقام الرسوخ والاستقرار على الاستقامة، وما دام العبد في الطريق فهو صاحب تمكين، لأنه يرتقي من حال إلى حال، وينتقل من وصف إلى وصف، فإذا وصل واتصل فقد حصل التمكين))[٣]، قال امير المؤمنين (عليه السلام): ((**الِاسْتِقَامَةَ الِاسْتِقَامَةَ ثُمَّ الصَّبْرَ الصَّبْرَ وَالْوَرَعَ الْوَرَعَ إِنَّ لَكُمْ نِهَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى نِهَايَتِكُمْ وإِنَّ لَكُمْ عَلَماً فَاهْتَدُوا بِعَلَمِكُمْ**))[٤]، ويقصد الإمام إلزموا العمل وكرر الاسم لينوب أحد اللفظين عن الفعل المقدر وهو في رتبة أمرهم بلزوم العمل، ثم أمرهم بمراعاة العاقبة والخاتمة وعبر عنها بالنهاية،

(١) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٤/ ٨٦.

(٢) ظ: التنمية البشرية في القرآن الكريم، طلال الكمالي:٦٥،٦٦.

(٣) -التعريفات، الجرجاني: ١ / ٢١.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٠ / ٢٤.

ثم أمرهم بالاستقامة وأن يلزموها وهي أداء الفرائض، ثم أمرهم بالصبر عليها وملازمته وبملازمة الورع، ثم شرع بعد هذا الكلام المجمل في تفصيله فقال إن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم[١]، أي انه استخدم الالفاظ بمعاني متصلة ليحصل عندهم ما يريد أن يوقعه في عقولهم وهو ضرورة العمل الصالح والاستمرار عليه إلى نهاية الحياة.

٤. الإصلاح:

يعني الإصلاح ((التنظيم والترتيب وهي الكلمة المقابلة لـ (الإفساد) التي تعني اللاتنظيم واللاترتيب))[٢]، وقد جمع الإمام علي (عليه السلام) الإصلاح والنظم في وصيه إذ يقول (عليه السلام): ((**أُوصِيكُمَا وجَمِيعَ وَلَدِي وَأَهْلِي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي بِتَقْوَى الله وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ وَصَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ**))[٣]. وأراد الإمام من الصلاح هو صلاح ذات البين، أن تصلح بين قوم تفاسدوا وتباعدوا، وتجعل قلوبهم واحدة، وكلمتهم متحدة. وهذا العمل أفضل عند الله من جميع الصلاة والصيام وكل ما كان ويكون من ركوع وسجود، وتهليل وتكبير، لأن العبادة أمر خاص بين الإنسان وخالقه، أما النزاع والخصام فأثره عام حيث يؤدي حتما إلى المظالم والمفاسد، وضعف المجتمع وانحطاطه، وفشله وتخلفه، وتغلّب الغزاة والطامعين على البلاد وتحكّمهم بأرواح العباد ومقدراتهم[٤]، ((وهنا إذا أراد المؤمنون ان ينجحوا في أعمالهم ويصلوا إلى أهدافهم لابد لهم من مراعاة مجموعة من العوامل

(١) ظ: م - ن: ١٠ / ٢٥.

(٢) الحركات الإسلامية في القرن الرابع عشر الهجري، مرتضى مطهري: ٤٠.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٠/ ٥.

(٤) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٤ / ٢٨.

والشروط التي تعد أساسية للنجاح في أعمالهم الإدارية والاجتماعية))[١]، ومن أهمها وأفضلها ((إزاحة الشوائب، والعمل على فلترة المجتمع من مظاهر الفساد بأنواعه، فيكون الحراك عاما، والتغيير شاملا))[٢]، وذلك ((بإعمال آلة العقل، وطبقا لهذا الأسلوب يتوجب إزالة المفاسد))[٣]، ومنها قوله (عليه السلام) ((واستصلح كل نعمة انعمها الله عليك))[٤] ومعنى استصلحها استدمها، لأنه اذا استدامها فقد اصلحها، فإن بقاءها صلاح لها [٥]، ما بين المسلمين وبذلك يكون الإصلاح هو من انفع ما جاء به الإمام علي (عليه السلام)في عملية البناء للمجتمع الإنساني.

المطلب الثالث: مبادئ السلوك الاجتماعي في نهج البلاغة

اولاً: السلوك العبادي:

هي مجموعة العبادات السلوكية واخلاقيات سلوكية بين العبد والخالق تبارك وتعالى، فالعبادات، كالصلاة والزكاة والصيام والحج وغيرها من العبادات التي أمر الله تعالى عباده بها، والاخلاقيات السلوكية كالاستغفار، تقويم لسلوك العباد وتهذيب لهم وتنظيم للخلق في رسم معالم السعادة الإنسانية، المنوطة بالطاعة لله تعالى.

التعاريف التنموية لمفردات العبادات الإسلامية:

العبادات السلوكية لها أثر كبير في احداث عمليات التغيير للأفضل، لأن معرفة احكام الدين من الأمور التي من شأنها النجاة يوم القيامة، فهي الوسيلة

(١) تزكية النفس، معهد الامام الخميني للدراسات الإسلامية: ١١٧.

(٢) الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) والتنمية البشرية - التراحم أنموذجا، محمد صادق الخرسان: ٥٥.

(٣) الإنسان في فكر الشهيد مرتضى مطهري،احمد حسين عودة: ٧٠.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٠ / ٤١.

(٥) ظ: م - ن:١٨ / ٤٧.

الوحيدة التي حث عليها الانبياء والائمة والعلماء والصلحاء، سلكوها كي تكون خير امة اخرجت إلى الناس لتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، قال امير المؤمنين (عليه السلام): ((**وَ تَفَقَّهْ فِي الدِّينِ**))[١]، فلا يخفى على ذوي النُّهي وأولي الالباب أن من اهم العلوم الإسلامية، بل الإنسانية هو (علم الفقه) فإنه يتكفّل بتعليم روح الإنسان وتربيتها وتصحيح افعاله وأقواله على ضوء الشريعة المقدَّسة التي هي ((منجاة يوم القيامة فهي الوسيلة الوحيدة التي حث عليها الانبياء والائمة والعلماء والصلحاء))[٢]، فهي ((من العلوم التي ترتبط بواقع الحياة وصميمها لأنه تعالج فيه الوقائع والحوادث الداخلية والخارجية، حيث انه العلم بالأحكام الإلهية لأفعال المكلفين فكان ولابد أن تصقل مسائله العقول وتنقح مطالبه الأفكار وينالـه التطور الذي ينال كل علم من العلوم التي يكون لها هذا الشأن. كيف لا وموضوعه هو أفعال المكلفين وهي تتغير بتغير الزمن وتتطور بتطور الحياة))[٣]. و((التي يحاول أبناؤها أن يصلوا إلى الكمالات الإلهية، من خلال الطاعة والامتثال والالتزام بالحدود، والأحكام الشرعية، والورع، والتقوى، واقتران الإيمان بالعمل، والقول، والفعل. وان الكمال الإلهي لا يصل إليه العبد بنظرهم إلا من خلال الايمان، والايمان له مراتب، يمكن للإنسان أن يتكامل فيها. والتكامل لا يحصل إلا من خلال العمل والتطبيق، والعمل لا يكون إلا من خلال الحكم الشرعي، والحدود الإلهية والعلاقة الأخلاقية))[٤]، لا نبالغ إذا قلنا إنّ الفقه الإسلامي من أغنى المصادر الحقوقية في العالم لأنّه من جهة يسترفد من منابع مترعة كالقرآن

(١) نهج البلاغة،ابن ابي الحديد: ١٦ / ٦٤.

(٢) المنهجية التربوية عند امير المؤمنين (عليه السلام)، احمد نوري الحكيم:٥٠-٥١.

(٣) تطور علم الفقه،علي كاشف الغطاء: ١

(٤) دليل الناسك، محسن الحكيم: ٢٣-٣٣.

الكريم، والأحاديث الكثيرة، والإجماع والعقل، ومن جهة أُخرى إنّ الدين الإسلامي تصدّر الحكومة منذ عصر النّبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)[١]

إن العبادات التشريعية في الإسلام ((برنامج للسعادة المادية والمعنوية للإنسان، إذ تعرض عليه طريق السمو والتكامل))[٢]، قال امير المؤمنين (عليه السلام): **((إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى الله الْإِيمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ الإسلام وَكَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ وإِقَامُ الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا الْمِلَّةُ وإِيتَاءُ الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ الْعِقَابِ وَحَجُّ الْبَيْتِ وَاعْتِمَارُهُ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَيَرْحَضَانِ الذَّنْبَ وَصِلَةُ الرَّحِمِ فَإِنَّهَا مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ وَمَنْسَأَةٌ فِي الْأَجَلِ وَصَدَقَةُ السِّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ وَصَدَقَةُ الْعَلَانِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ وَصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ فَإِنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ الْهَوَانِ، أَفِيضُوا فِي ذِكْرِ الله فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الذِّكْرِ، وارْغَبُوا فِيمَا وَعَدَ الْمُتَّقِينَ فَإِنَّ وَعْدَهُ أَصْدَقُ الْوَعْدِ، واقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الْهَدْيِ، وَاسْتَنُّوا بِسُنَّتِهِ فَإِنَّهَا أَهْدَى السُّنَنِ))**[٣]، ذكر (عليه السلام) ثمانية أشياء، كل منها واجب، اولها الايمان بالله وبرسوله وعمل الواجبات وترك القبائح وثانيها الجهاد في سبيل الله، وقدم الايمان على الجهاد لأنه اصله، لأنه ما لم يعلم الإنسان على ماذا يجاهد، لا يجاهد، وجعله ذروة الإسلام، أي اعلاه، لأنه مالم تتحصن دار الإسلام بالجهاد لا يمكن للمسلمين من القيام بوظائف الإسلام، وبعدها اي الثالث منها وهو كلمة التوحيد أي شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدًا رسول الله، وهي التي فطر الله الناس عليها، ورابعها الصلاة التي هي حسب تعبير الإمام (عليه السلام)الملة، وخامسها ايتاء الزكاة، باعتبار انها فريضة واجبة

(١) بحوث فقهية مهمّة، ناصر مكارم الشيرازي:٥.

(٢) الافكار والرغبات بين الشيوخ والشباب، محمد تقي فلسفي: ١٣٤.

(٣) في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية:.٢: ١٠٤.

وهي ما يقتطع من المال، وسادسها صوم شهر رمضان وهو اضعاف الوجوب من الزكاة، وجنة من العقاب، أي ستر، وسابعها الحج والعمرة، فهما ينفيان الفقر ويغسلان الذنب، وثامنها صلة الرحم فهي طريق الثراء للأموال وتأخير الاجل[١]، فعن الإمام الباقر (عليه السلام): ((صلة الأرحام تزكي الأعمال وتنمي الأموال وتدفع البلوى وتيسر الحساب))[٢] ولا تقف العبادات عند هذا المستوى فقط بل انها وسيلة إلى السعادة في الدنيا وفي الآخرة وحسب، وجمال العبادة ولذتها بالاخلاص لله تعالى والقربة له تبارك وتعالى.

ثانياً: الاخلاقيات السلوكية

الخُلْق: جمع خلق بضم الخاء وسكون اللامالسيرة والسجايا، وفي الاصطلاح علم يبحث فيه الصفات الكامنة[٣] وعرف الخلق بأنه ((عبارة عن هيئة للنفس راسخة، تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فكر وروية))[٤]، أي ان يملك الإنسان نفسه وأن يكون سلوكه ثابتا ومتماسكا[٥]، فالأخلاق تعني ((الصورة الباطنية للإنسان والتي يمكن ان تظهر للآخرين بأشكال مختلفة على جوارحه الظاهرة للناس وهو السجية والدين والطبع وعلم الأخلاق هو علم يعرف به صلاح القلب وسائر الحواس))[٦]، وان اساس الدين هو الأخلاق

(١) ظ: شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد:٧ / ٢٢١ -٢٢٢.

(٢) الكافي، الكليني: ٢/ ١٥٠. اثار الأفعال والأقوال، عبد الرسول ال عنوز: ٦١.

(٣) ظ: دراسات في الأخلاق، حسين المظهري:٢٩. المبادئ والاساليب التربوية في نهج البلاغة - اميرة برغل: ٤٠.

(٤) التعريفات: الجرجاني:١ / ٣٣.

(٥) المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا: ٥٤٠.

(٦) الأخلاق والأداب الإسلامية، عبد الله الهاشمي: ١: ٩. أخلاق الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام)، خضر القزويني: ١٦.

الحسنة في التعامل مع الناس والذي اصبح من الضروريات الملحة التي تستوجب مقتضيات التطور الإنساني الراهن[١]، و((تعتبر مكارم الأخلاق والسجايا الإنسانية احدى الاركان الاساسية لسعادة ونجاح الإنسان في الحياة الاجتماعية))[٢]، فالمجتمع الإنساني يمكنه في ظل الاخلاق ان يعقد قوانين الصداقة بينه وبين الآخرين، وأن يهدي المنحرفين وينتشل الغافلين[٣]، و((الأخلاق عند الإمام فكرة وسلوك في آن واحد، سلوك في القول، وسلوك في العمل))[٤]. وبعبارة اخرى ان موضوعه ((وهو العمران البشري والاجتماع الإنساني))[٥] ويعتمد على السلوك الاجتماعي الذي هو التطبيق العملي للمعتقدات والاعراف والقواعد السلوكية التي يعتقدها ويتمسك بها افراد المجتمع ويظهر هذا السلوك على شكل افعال او ردود أفعال وأقوال أو ردود أقوال بين أفراد المجتمع[٦]، بحيث يتلاحمون ويترابطون في ضمن حياة اجتماعية واحدة[٧]. تؤثر في تنشئتهم وفي منظومة العلاقات التجارية والاقتصادية والسياسية[٨] وتنمية الاستقرار البشري عن طريق تنمية الاخلاقيات والقيم الإنسانية وهذا ما أكده تقرير اليونسكو للتربية لعام ١٩٩٢م بتأكيده على الأخلاقيات والقيم التي تشكل القضية التي ستدور حولها معركة المستقبل، فضلا عن كونها أحد الحلول الأساسية لمشكلات البشرية من خلال غرس أخلاقيات

(١) المبادئ والأساليب التربوية في نهج البلاغة - اميرة برغل: ٤١.

(٢) الافكار والرغبات بين الشيوخ والشباب، محمد تقي فلسفي: ١٤٧.

(٣) ظ: اخلاق الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)،خضر القزويني: ٢٦.

(٤) م - ن:٩٤.

(٥) تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون: ١/ ٣٨

(٦) ظ: معجم علم الاجتماع، د. عدنان مصلح: ٢٩١.

(٧) ظ: المجتمع والتاريخ، مرتضى مطهري:١١:١.

(٨) الموسوعة العربية مختارات فلسفة- اجتماع - عقائد- بلا مؤلف:٨١

التنمية البشرية[١]، فهدف التنمية البشرية هو الارتقاء بالإنسان وتطوره في جميع النشاطات البشرية المختلفة،[٢] والسعي لتحقيق سعادته الدنيوية والأخروية.

يبدو للبحث ان الأخلاقيات السلوكية تمثل ركيزة مهمة في العملية السلوكية في المجتمع تنبع من الإيمان الباطن بتزاوج الفكر مع السلوك ان كان مبدؤه يبتني على الاعتقاد بالسلوك وقد عرف بأنه ((الاعتقاد القوي الممتزج مع الشعور فيصبح حقيقة سواء الشعور إيجابياً ام سلبياً))[٣]. ذلك بسبب أن التجديد والتطوير يجب ان يتحلى بها المجتمع الذي يهدف التغيير للأفضل، وقد قَالَ الإمام علي (عليه السلام): ((**وَمَنْ أَيْقَنَ بِالْخَلَفِ جَادَ بِالْعَطِيَّةِ**))[٤]، من أهم الأمور التي تدخل التراحم في المجتمع هي العطاء بمختلف اشكاله المعنوية والمادية، ويعني الإمام (عليه السلام)انه من لم يوقن بالخلف ويتخوف الفقر يضن بالعطية ويحسب أنه إذا أعطى ثم أعطى استنفد ماله واحتاج إلى الناس لانقطاع مادته وأما من يوقن بالخلف فإنه يعلم أن الجود شرف لصاحبه وأن الجواد ممدوح عند الناس، فقد وجد الداعي إلى السماح ولا صارف له عنه لأنه يعلم أن مادته دائمة غير منقطعة، فالصارف الذي يخافه من قدمناه ذكره مفقود في حقه فلا جرم أنه يجود بالعطية[٥]، فالإعتقاد هو الأساس الذي نبني عليه كل أفعالنا، وهو أهم خطوة على طريق النجاح وفي هذه حكمة تقول: لكي ننجح فلابد أولاً أن نؤمن بأننا نستطيع النجاح، وقد قال الكاتب الأمريكي نابليون هيل: ما يدركه ويؤمن به

(١) تقرير اليونسكو للتربية للقرن الحادي والعشرين ١٩٩٢م: ٢٣.

(٢) ظ: التنمية البشرية في القرآن الكريم، طلال الكمالي:١٠١.

(٣) علم نفس النجاح، برايان تريسي: ١٨.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨ / ٣٣٦.

(٥) ظ: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨ / ٣٣٦.

عقل الإنسان يمكنه أن يحققه[١] وهو اقرار بما قاله الإمام علي (عليه السلام).

إن الإمام عليًا (عليه السلام) جعل من مسائل الاعتقاد بالسلوك أثرًا مهمًا في نفسية وسلوكية المجتمع ومنها قضية الاستغفار، التي أعطاها الامام قدسية كبيرة في نهج البلاغة ((**الِاسْتِغْفَارُ دَرَجَةُ الْعِلِّيِّينَ**))[٢]، ودرجة العليين، عبر عنها الرازي بعدة تعبيرات اعتماداً على الروايات وهو قوله ((وأما المفسرون فروي عن ابن عباس أنها السماء الرابعة، وفي رواية أخرى إنها السماء السابعة، وقال قتادة ومقاتل: هي قائمة العرش اليمنى فوق السماء السابعة، وقال الضحاك: هي سدرة المنتهى، وقال الفراء: يعني ارتفاعاً بعد ارتفاع لا غاية له، وقال الزجاج: أعلى الأمكنة، وقال آخرون: هي مراتب عالية محفوظة بالجلالة قد عظمها الله وأعلى شأنها))[٣]، والمهم ان الاستغفار له قيمة عليا، وهذه القيمة من حيث الأثر، ومنها انها مورد مهم بهطول البركات والخيرات على المجتمع، وقد قال الله تعالى ﴿**وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾[٤]، إذ إن ظاهر الآية يعطي صك الأمان للمجتمع الإسلامي، تمثلًا برحمة وجود النبي المختار (صلى الله عليه وآله) والاستغفار، وموضع الشاهد ان امة النبي الأكرم ((لو استغفروا لم يعذبوا، فكان المطلوب من ذكر هذا الكلام استدعاء الاستغفار منهم، أي لو اشتغلوا بالاستغفار لما عذبهم الله))[٥]، وقد سطر هذا المعنى الإمام علي (عليه السلام) بأجمل صورة، تحكي عن زمان ماض قد كان النبي (صلى الله عليه وآله)

(١) ظ: قوة التحكم في الذات، د. ابراهيم الفقي: ٣٦.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٨ / ٤٢٥.

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي: ٣١/ ٩٧. شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٨ / ٤٢٦.

(٤) الانفال / ٣٣.

(٥) مفاتيح الغيب، الرازي: ١٥/ ١٥٨.

حاضرًا بين ظهراني الأمة بجسده وروحه المقدسة، ومتصلًا بحاضر ومستقبل تمثل بنعمة الاستغفار، وهو قوله (عليه السلام): ((**كَانَ فِي اَلْأَرْضِ أَمَانَانِ مِنْ عَذَابِ الله وَقَدْ رُفِعَ أَحَدُهُمَا فَدُونَكُمُ اَلْآخَرَ فَتَمَسَّكُوا بِهِ أَمَّا اَلْأَمَانُ اَلَّذِي رُفِعَ فَهُوَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وآله) وَأَمَّا اَلْأَمَانُ اَلْبَاقِي فَالِاسْتِغْفَارُ قَالَ اللهُ تَعَالَى وَما كانَ الله لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَما كانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**))[1]، وهو استدلال عقلي قد استخدمه الإمام علي هنا لبيان سبب الأمان ووجوب وجود الأمان في مكة، ووجود النبي (صلى الله عليه وآله) وورد الاستغفار[2]، الذي يصلح في كل مكان وزمان، وقد وردت الروايات الكثيرة في هذا المعنى الذي يعبرعن هذا الاعتقاد[3] والذي هو هبة الله تعالى للبشرية.

وكذلك يعدّ الاستغفار محط رحمة الله من حيث التطور الاقتصادي، وهي رحمة سعة الرزق التي لها دور كبير في تحقيق الاستقرار الاجتماعي، قال (عليه السلام) ((وَقَدْ جَعَلَ الله سُبْحَانَهُ الِاسْتِغْفَارَ سَبَباً لِدُرُورِ الرِّزْقِ وَرَحْمَةِ الْخَلْقِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ ﴿**اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهاراً**﴾[4]))[5]، ان كلام الإمام علي (عليه السلام) يعتمد فيه على الاعتقاد بإن التحسن الاقتصادي مرتبط بالاستغفار[6]، وقد ورد في تفسير الآية التي استشهد بها الإمام (عليه السلام) إشارة إلى تكثير

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٨/ ٢٤٠.

(٢) ظ: الأثر القرآني في نهج البلاغة، د. عباس الفحّام: ٤٨٩ - ٤٩٠.

(٣) الميزان، الطباطبائي: ٢٠ / ١٨.

(٤) هود/ ٥٢.

(٥) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٩ / ٧٦.

(٦) ظ:م - ن: ٩/ ٧٨.

النعم لأن مادة حصول النعم هي الأمطار، إشارة إلى كمال حال القوى التي بها يمكن الانتفاع بتلك النعمة، ولا شك أن هذه الكلمة جامعة في البشارة بتحصيل السعادات.

إن من اهم ما يساعد على بناء المجتمع وتماسكه، الاخلاق، إذ (إن التنمية الأخلاقية لشخصية الإنسان مرتبطة بشكل وثيق بالدين يربي الإنسان على التعاون الاجتماعي ونبذ العدوان، ويربيه على سلوك طريق الخير ونبذ طريق الشر ويربيه على التفكير دائما في الخالق والاعتبار بما خلق وصور)[١]، إذ إن الدين يصمم للإنسان حياة تعبدية واجتماعية اخلاقية نظيفة[٢]، ومن هذه الاخلاق التي تساهم في بناء المجتمع والتي وردت في نهج البلاغة:

١.النصيحة:

للنصيحة تعريف تنموي هو ((الإخلاص في التعامل مع المسلمين والنصح لهم في اداء الاعمال))[٣]، هو الإخلاص والاجتهاد في اداء العمل الذي يؤديه المؤمن لأخيه المؤمن او هو ان يرشد المؤمن اخاه المؤمن لما فيه الخير والصلاح لنفسه[٤]، ((أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ وَتَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ عَلَيْكُمْ وَعْلِيمُكُمْ كَيْلَا تَجْهَلُوا وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْمَا تَعْلَمُوا وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ وَالنَّصِيحَةُ فِي الْمَشْهَدِ وَالْمَغِيبِ))[٥]، وهنا بيان بأن الحقوق متبادلة بين الراعي والرعية، وهذا التبادل طبيعي يرتبط بشخصية الاثنين تماما كما

(١) الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام)، زهير الاعرجي: ١٩٠.

(٢) ظ: م - ن: ٨٨.

(٣) دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة، محمد باقر الحكيم: ٢٢.

(٤) دروس في الأخوة الايمانية، محمد باقر الحكيم: ٤٣.

(٥) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٢ / ١٨٩ - ١٩٠.

انه شرعي، لأن واضع الشريعة هو خالق الطبيعة. وأشار الإمام إلى حق الرعية عليه بقوله: (فأما حقكم عليّ فالنصيحة لكم). الاخلاص والصدق في القول والعمل، والعدل والإنصاف في الحكم والتوزيع (وتوفير فيئكم عليكم). الحرص على بيت المال وتنميته، وسد حاجة ذوي الحاجات (وتعليمكم كيلا تجهلوا). وإرشادكم السبيل التي أرشد اليها كتاب الله وسنّة نبيه، لأن جهلكم بدين الحق يبتعد بكم عن مكارم الدنيا وحسناتها، ويغريكم بأقذارها وسيئاتها (وتأديبكم كيما تعملوا) والمراد بالتأديب هنا العقوبة بإقامة حدود الله سبحانه، ثم أشار إلى حق الراعي على الرعية بقوله: (وأما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة)، وهي عقد توثيق بين الحاكم والمحكوم على أن يدبر الحاكم أمور المحكوم على أساس المصلحة، ويحفظ الأمن والنظام، ويقيم الحدود وينفذ الأحكام. وعلى كل من الطرفين أن يفي بهذا العقد، ولا يجوز فسخه بحال، ان هذا الخلق وهو النصيحة لهو من أهم ما يعطي الأمن والأمان للحاكم والمحكوم على حد سواء[1]، وهو خلق عظيم يسهم في بناء المجتمع وتماسكه.

٢ـ التعاون:

ان الانجازات العالية إنما تتحقق من خلال التعاون الجماعي في الأعمال ولعل من معاني الحديث الشريف (يد الله - مع الجماعة) هو ان البركة لا تنزل إلا على الأعمال الجماعية[2]، ((**وَالتَّعَاوُنُ عَلَىَ إِقَامَةِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ وَلَيْسَ امْرُؤٌ وَإِنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مَنْزِلَتُهُ وَتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ عَلَى مَا حَمَّلَهُ الله مِنْ حَقِّهِ وَلَا امْرُؤٌ وَإِنْ صَغَّرَتْهُ النُّفُوسُ وَاقْتَحَمَتْهُ الْعُيُونُ بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَى ذَلِكَ أَوْ يُعَانَ**

(١) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ١/ ١٢٩.

(٢) ظ: واجه عوامل السقوط - هادي المدرسي: ١٣٠.

عَلَيْهِ))[١]، يقول علماء التعاون في العالم الإنساني التعاون المنسجم مع الآخرين إلى تطوير روح المثابرة، ويساعد وينمي مواهبه الكامنة ويستخرجها إلى الواقع ويصل بالنتيجة إلى الكمال الإنساني[٢]، أشار الإمام أولا إلى أن أمور المجتمع لا تستقيم، ولا تصلح فيه الأوضاع إلا إذا أدى كل من الراعي والرعية ما عليه، فإن قصّر أحدهما أو كلاهما ظهر الجور، وسادت البدع، وتعطلت الأحكام، ثم أشار الإمام إلى الطريق السليم لعلاج الأوضاع الفاسدة، وهو التناصح والتعاون بين العقلاء وأولي الشأن، وذلك بأن يبحثوا عن السبب والمصدر، فإن كان التقصير من الحاكم نصحوه وقوموه، فإن استقام وإلا عزلوه، وإن كان من بعض الرعية وفئاتها تعاونوا مع الحاكم على إصلاحها، فإن فاءت وإلا قاتلوها حتى تفي ء إلى أمر الله[٣]، والهدف من القتال لا القتل بل الاصلاح عن طريق العمل الصالح.

٣ـ التواصل:

إن التنمية تحتاج إلى المعلومات في سياق رسم السياسات وصياغة الخطط والبرامج التي تسهم في عملية تنمية الأفراد والجماعات في المجتمع والتي تمنحهم فرصة في البناء الحضاري، قال الإمام علي (عليه السلام)((**وَعَلَيْكُمْ بِالتَّوَاصُلِ وَالتَّبَاذُلِ وَإِيَّاكُمْ وَالتَّدَابُرَ وَالتَّقَاطُعَ**))[٤]، إذ إن الإمام (عليه السلام) يقصد أن العبادة أمر خاص بين الإنسان وخالقه، أما النزاع والخصام فأثره عام حيث يؤدي حتما إلى المظالم والمفاسد[٥] ينظر الدين الإسلامي إلى مجتمع المسلمين من

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٢/ ٩٢..

(٢) ظ: الافكار والرغبات بين الشيوخ والشباب - محمد تقي فلسفي: ١٤٢.

(٣) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٣ / ٢٧٢.

(٤) نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٤٧: ١٧: ٥.

(٥) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٤ / ٢٨.

حيث العلاقات المعنوية وإفشاء المحبة واحترام الشخصية فيما بين افراده على انهم عائلة واحدة [١]، وقد يكون مراد الإمام (عليه السلام) الزيادة في المال والعمر من حيث الكم، وقد تكون من حيث الكيف، أي ان صلة الرحم تجعل الدرهم الواحد أكثر نفعا وبركة من مئة درهم، واليوم الواحد من العمر يعمل فيه المرء عملا صالحا خير من الف يوم يذهب سدى[٢]، قال الإمام (عليه السلام): (وصلة الأرحام فإنها مثراة في المال ومنسأة في الأجل)[٣]، أي ان ((الأمر بالتراحم والتعاطف والتزاور والألفة، فإن المضمون العاطفي والروحي للعلاقات من اهم عناصر تقويتها وارسائها على اساس محكم))[٤]، على كل الأصعدة في الحياة ابتغاء السعادة والأمان.

٤ـ قضاء الحوائج:

ان قضاء الحوائج من أهم الأمور التي تنشر الحب والسعادة في المجتمع بين افراده وجماعاته، أي ان القاضي لحوائج الاخوان هو خيرهم، وقد أعطاها الإمام شرطًا لبقاء النعم او زوالها في هذا المورد إذ يقول (عليه السلام): ((**مَنْ كَثُرَتْ نِعَمُ اللهِ عَلَيْهِ كَثُرَتْ حَوَائِجُ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَمَنْ قَامَ للهِ فِيهَا بِمَا يَجِبُ فِيهَا عَرَّضَهَا لِلدَّوَامِ وَالْبَقَاءِ وَمَنْ لَمْ يَقُمْ فِيهَا بِمَا يَجِبُ عَرَّضَهَا لِلزَّوَالِ وَالْفَنَاءِ**))[٥]، ان ما يريده الإمام بقوله هذا ان مسؤولية الإنسان تقاس بطاقته ومقدرته، فمسؤولية القادة غير مسؤولية الأتباع، وواجب الأغنياء غير واجب الفقراء، ووظيفة العلماء غير

(١) ظ: الافكار والرغبات بين الشيوخ والشباب، محمد تقي فلسفي: ٦٠.

(٢) في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٢:١٠٩: ١٠٦.

(٣) صفوة شروح نهج البلاغة، اركان التميمي: ١١٠: ٢٧٨..

(٤) دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة، محمد باقر الحكيم: ٢٣.

(٥) شرح نهج البلاغة ابن ابي الحديد:١٩/ ٣٠٣.

وظيفة الجهلاء. فعلى القادة أن يعملوا جاهدين على تحقيق ما يتطلبه المستضعفون من حياة عادلة، وعيشة راضية، وعلى الأغنياء أن يبذلوا لخدمة الحياة وتقدمها، وعلى العلماء أن ينكروا المنكر من أولاء وأولئك، وخير مورد بقاء قضاء الحوائج، وهو بقائها في الحكومات التي تحكم الأمة، فتكون احد مصادر بقاء الحكومة العادلة[١]، وبهذا فإن الإمام عليًا (عليه السلام) ينمي عملية بقاء الحكومات العادلة بحجم ما تقدمه من عون لأبناء المجتمع.

٥ـ التواضع:

من أهم الأخلاق التي أكد عليها الإمام (عليه السلام)، لكونه احد اسباب السعادة الاجتماعية، والذي يعني((احترام الناس حسب اقدارهم، وعدم الترفع عليهم، وهو خلق كريم، وخلة جذابة، تستهوي القلوب، وتستثير الاعجاب والتقدير))[٢]، فالتواضع على حد وصف امير المؤمنين (عليه السلام): ((**ثمرة القناعة الراحة وثمرة التواضع المحبة**))[٣]، فالتواضع من المزايا الكريمة التي تعني التربية الإسلامية بغرسها في افاق النفس، وهو أحد الأسباب المزيلة للتكبر والمبيدة لدائه وهو يرفع الإنسان في الدنيا ويقربه من الله)[٤]، لأن من الآثار السلبية للتكبر،

(١) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٤ / ٤٣٤.

(٢) أخلاق أهل البيت، محمد مهدي الصدر: ٣٦.

(٣) -.شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٢٠ / ٢٩٦.

(٤) -النظام التربوي في الإسلام، باقر شريف القريشي: ٢٦٨.

*: اشارة إلى العز والكبرياء، وهي خطبة تتضمن ذم ابليس على استكباره، وتركه للسجود لآدم (عليه السلام)، وتسمى هذه الخطبة القاصعة، لأنها تقصع ابليس وأتباعه، من قولهم قصعت القملة إذا هشمتها وقتلتها او هو ان المستمع لها تقصعه وتذهب بكبره، فيكون من قولهم قصع الماء عطشه، أي اذهبه وسكنه. صفوة شروح نهج البلاغة، اركان التميمي:٤٦٨.

كما قال (عليه السلام) ((لا تهضمن محاسنك بالفخر والتكبر))[١]، واستخدم امير المؤمنين(عليه السلام) التكبر للدلالة على التواضع، شريطة ان يكون على المتكبرين بقوله (عليه السلام): ((التكبر على المتكبر هو التواضع بعينه))[٢]، وشرط للتواضع شرطًا أن لا يقوده تواضعه إلى ذلةٍ لنفسه بقوله (عليه السلام): ((اياك ان تتذلل للناس))[٣]، أي ان التواضع الممدوح هو المتسم بالقصد والاعتدال، لا افراط فيه ولا تفريط[٤]، فالتواضع من أهم الأخلاق التي تبني المجتمع، لأن التواضع قائم بين الافراد ووجوده يعني انتشار التعاون والمحبة في المجتمع وهو ما تسعى اليه التنمية البشرية.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٢٠: ٢٥٨.

(٢) م - ن: ٢٠ / ٢٩٨. / روائع نهج البلاغة، جورج جرداق: ٢٢١.

(٣) روائع نهج البلاغة، جورج جرداق: ٦٣.

(٤) ظ: الأخلاق الحسينية،جعفر البياتي: ٢٩٧.

الفصل الثالث

آليات التنمية البشرية في نهج البلاغة

إن للتنمية البشرية في نهج البلاغة آليات كانت حاضرة وبتميز في منهج الإمام علي (عليه السلام) في إصلاح الأمة، وإن هذه الآليات كانت مفعلة في كل اقواله كما هو اسلوبه في السلوك الذي عجزت عن بلوغ مدحته الأفكار، لتجاوزه حدود الأوهام والخيال في المثالية الإنسانية التي إن مر ذكر اخلاقه انحنت له مكارم الأخلاق لتستقي منه ما يرفعها في سماء الإرادة الإلهية التي جعلت منه دستورًا لها، يميل معه كل خلق كريم، ويدور معه الرضا الرباني حيثما يدور، ومن بين تلك الآليات استخدام الشاهد القرآني والحوار والمحاججة والشواهد المنطقية، والتي اتخذ منها آليات متميزة لرفع الأمة والنهوض بها وبأحلامها وإرادتها في كل عصر وكل زمان.

المبحث الاول

الشواهد القرآنية في نهج البلاغة

القرآن الكريم هو الكتاب السماوي المعجز الذي تميز بمحتواه الخالد وعطائه للإنسانية بكل مجالات الحياة، والذي امتزج مع روح الإمام علي (عليه السلام) بكل تفاصيله، المتميزة بالتجدد والاستمرارية في توسع الفهم لمضامينه، و((لعل واحدا من أسرار لذة القراءة في نهج البلاغة وانفعال المتلقي معه هو التماس مشارب الأخذ المختلفة من القرآن الكريم لأن ذلك أدعى إلى تجدد روح الإصغاء وتنشيط لذة الاستماع، وما من شك في أن تعدد استقاءات الإمام (عليه السلام) من القرآن الكريم أمر فرضه عليه الموقف الفني وحتّمه في كلامه العلاقات الجديدة التي يبنيها ما بين مفردات عباراته، ولكن لحضور النص القرآني في ذهنه والقدرة على استجلابه ساعة يشاء شأن آخر يدل على تذوق الإمام (عليه السلام) للقرآن وشدة حفظه الواعي لمضامينه بحيث لا تنفلت أفكاره من الإطار القرآني ولا يجد هو بعد عنتا في استدعاء ما يشاء من ألفاظه ومعانيه وفي أي موضوع يعرضه، ومن هنا نجد الاستشهاد بآيات القرآن الكريم يأخذ سمة أسلوبية في كلامه تميزه عن غيره))[1]، بكثرة الاستشهاد في جميع الخطب بشكل واضح بالآيات الكثيرة او مضامين الأفكار القرآنية، والاستشهاد يجيء في النص العلوي على اساس ان القاعدة قد سبقته إلى الذهن والمراد منه ما ورد من كلام الله المجيد في القرآن الكريم والسنة المحمدية[2]، وقد كانت مكانة القرآن الكريم واضحة في نفسه (عليه السلام) من خلال بيان اهميته عنده وعند العالم بأسره بقوله ((وَكِتَابُ الله

(١) الاثر القرآني في نهج البلاغة، د. عباس الفحّام: ٤٣١، ٤٣٢.

(٢) ظ: اسلوب علي بن ابي طالب في الخطب الحربية، د. علي عمران: ٣٤٣.

بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ نَاطِقٌ لَا يَعْيَا لِسَانُهُ وَبَيْتٌ لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ وَعِزٌّ لَا تُهْزَمُ أَعْوَانُهُ))[1]، ان ما يريد ان يوضحه (عليه السلام) للناس هو ان القرآن الكريم نازل بين أظهرهم أي نازل بينهم لإرادة تحقيق المعنى بذلك الإشعار بشدة المحاماة عنه والمراماة من دونه لأن النزيل إذا حامى القوم عنه، استقبلوا شبا الأسنة وأطراف السيوف عنه بصدورهم وكان هو محروسا مصونا عن مباشرة ذلك وراء ظهورهم. ولا يعيا لسانه لا يكل في منطقه[2]، ويبدو ان في كلامه دعوة للقرآن الكريم، بطريقة تناغم النفوس العربية بوصفه الجميل بهذا الاسلوب القريب من الذهنية العربية لأنه جعل من القرآن ظهرهم والمحامي عنهم ولسانهم الذي يعلمهم ويوجههم ويهديهم لمصالحهم والبيت الذي يمتاز بالخلود والعشيرة القوية، وهو ما تطمح إليه نفوس العرب في الدرجة الاولى في ذلك الوقت، ولهذا دعا اليه في كثير من المناسبات والذي كان ينمي العقول والنفوس بأهميته ومنه قوله: ((**وَاعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لاَ يَغُشُّ وَالْهَادِي الَّذِي لاَ يُضِلُّ وَالْمُحَدِّثُ الَّذِي لاَ يَكْذِبُ وَمَا جَالَسَ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلاَّ قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ زِيَادَةٍ فِي هُدًى أَوْ نُقْصَانٍ مِنْ عَمًى وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ وَلاَ لِأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنًى فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَائِكُمْ وَاسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لأْوَائِكُمْ فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ وَهُوَ الْكُفْرُ وَالنِّفَاقُ وَالْغَيُّ والضَّلاَلُ فَاسْأَلُوا الله بِهِ وَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ وَلاَ تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ الْعِبَادُ إِلَى الله تَعَالَى بِمِثْلِهِ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ وقَائِلٌ مُصَدَّقٌ وَأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُفِّعَ فِيهِ وَمَنْ مَحَلَ بِهِ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُدِّقَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلاَ إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلًى فِي حَرْثِهِ وَعَاقِبَةِ عَمَلِهِ غَيْرَ حَرَثَةِ الْقُرْآنِ فَكُونُوا مِنْ حَرَثَتِهِ وَأَتْبَاعِهِ وَاسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ**

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٤ / ٢٧٣.

(٢) ظ: م.ن: ٤ / ٢٧٤.

وَاسْتَنْصِحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَاتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ وَاسْتَغِشُّوا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ))[١]، ان الله قد أضاء بالقرآن الطريق للحياة الأصلح والأنفع، فكانوا به خير أمة، ومن خالفه منهم فهم أساس العيب لا هو، فالقرآن هو الناصح الأمين وطريق الله الذي لا ضلالة فيه، فتلاوته وتدبر آياته تنفع الإنسان بزيادة العلم ونقص الجهل، وهذا هو الغنى الحقيقي، فيكون شفاء من داء الجهل والخرافة والتقليد الأعمى، وحلًا لجميع المشكلات ومنها الاجتماعية وكذلك اصلاح أوضاع الفاسدة، لأن القرآن كتاب دين وهداية، وتوجيه للسلوك وتنزيه للعقول ومن خاف الله تعالى فعليه بالأخذ بتعاليمه تعالى فيه، فهو شافع كريم للإنسان العامل بأوامر الله تعالى التي ترد فيه، وسيأتي يوم القيامة يوم تكون احوال أهل القرآن بأفضلها بين يدي الله تعالى في المحشر، ونصح بأن يستنطقوا القرآن بالافكار والآراء لأنه كله هدى[٢]، منذ صدوره إلى الوقت الحاضر وإلى الأبد، وخير شاهد ما ذكره التاريخ، من اتباع القرآن الأسلوب الخاص طوال أيام الدعوة وما بعدها، بشكل معجز في هداية الناس واخراجهم من الظلمات إلى النور[٣]، وان هذا القرآن الكريم لاينطق بلسان إنساني كما يقول الإمام علي (عليه السلام): ((**الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْطُورٌ بَيْنَ اَلدَّفَّتَيْنِ لاَ يَنْطِقُ بِلِسَانٍ ولاَ بُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ**))[٤]، اي لابد للقرآن من إنسان عاقل ولسان يقوم بدور الترجمان يطبق المعنى الواقع له وخير مصداق له أهل البيت (عليهم السلام) لاسيما الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام)[٥]، وقد

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٠ / ١٩، ٢٠.

(٢) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٢/ ٣٤٥، ٣٤٦.

(٣) ظ: شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٠/ ٢٠، ٢١. منهاج الحياة، علي الاشكوري: ١٥٩.

(٤) م - ن: ٨ / ١٠٣.

(٥) ظ: الإمام علي بن ابي طالب مفسرا للقرآن، د. احمد النفيس: ١٤٧.

قال الامام في تحديد المصداق الذي يفهم القرآن بقوله: ((**بِهِمْ عُلِمَ الْكِتَابُ وبِهِ عَلِمُوا وبِهِمْ قَامَ الْكِتَابُ وبِهِ قَامُوا لَا يَرَوْنَ مَرْجُوّاً فَوْقَ مَا يَرْجُونَ ولَا مَخُوفاً فَوْقَ مَا يَخَافُونَ**))[١]، وهم أهل البيت المعصومون عليهم السلام[٢]، ولهذا كان حضور القرآن الكريم واضحا جدا، باجمل تطريز واجمل صياغة واسمى هدف في كل كلامه (عليه السلام)، لأن الكلمة مرآة الروح الإنسانية، ولذلك فان كل كلمة تتعلق بنفس العالم الذي يرتبط به روح صاحبها، فالكلمات التي تتعلق بعوالم عديدة تكون علامة على تلك الروح، وحيث ان روحه (عليه السلام) لا تتحدد بعالم خاص بل هو ذلك الإنسان الكامل الجامع لجميع مراتب الإنسانية والروحية والمعنوية[٣]، وسيُحاول البحث ان يعرض بعضًا من كلامه (عليه السلام) في مجال التنمية البشرية:

لقد كان الإمام علي (عليه السلام)قدوة العابدين وانموذج المحبين لله تعالى ولذلك سعى لتنمية عبودية الإنسان لله تعالى في العديد من المناسبات، وبمنهجية اتسمت بأسلوب اخذ اشكال متنوعة في عملية التنمية بالعقيدة الأساس في الإسلام وهي الإيمان بالله تعالى وغيرها من مستلزمات الإيمان به من طاعات وعبادات، وهي كما يلي:

١. طريقة ذكر الشاهد القرآني:

وهي عملية ذكر الآيات القرآنية بشكل صريح في خطب الإمام علي (عليه السلام)، مصرحا بنسبة الشاهد، او غير مصرح به، او مذيلا الخطب بآيات قرآنية،

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٢٠/ ٤٤١.

(٢) ظ: م - ن: ٢٠/ ٤٤١. علوم نهج البلاغة، د. محسن الموسوي: ١١٧.

(٣) ظ: في رحاب نهج البلاغة، مرتضى مطهري: ٢٨.

[١] وكلها تهدف إلى توطيد المعنى ورسوخه، في القلوب بشكل يتجه نحو التغيير للأفضل عبر تنمية العقلية والنفسية للإنسان ومجتمعه الذي يعيش فيه:

أ. التصريح بنسب الشاهد:

تعتمد على التصريح باسم الخالق في عرض الشاهد القرآني، ففي كثير من كلامه (عليه السلام) يصرح قبل قراءة النص القرآني بنسبته إلى الله تعالى بلفظ القول[٢]، مثل قوله يذكر مبايعته:

قال الإمام علي (عليه السلام) ((**فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ، ومَرَقَتْ أُخْرَى وقَسَطَ آخَرُونَ، كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا كَلَامَ الله حَيْثُ يَقُولُ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلا فَساداً وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾**[٣]، **بَلَى وَالله لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا، وَلَكِنَّهُمْ حَلِيَتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ وَرَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا**))[٤].

والمراد بالعلو في الارض التكبر بالفساد بالاموال وهو يشمل التكبر النفسي في القلب، والفساد فعل الأعضاء من خلال السلوك [٥]، وقد ذكر الرازي ان تفسير ال|آية بشكلها العام ((تعظيم لها وتفخيم لشأنها يعني تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها ولم يعلق الوعد بترك العلو والفساد، ولكن بترك إرادتهما وميل القلب إليهما، وأما السيد الطباطبائي فقد اختص معنى بالمعاصي لله، اي ان الجنة

(١) ظ: الأثر القرآني في نهج البلاغة، د. عباس الفحّام: ٤٣١.

(٢) م.ن: ٤٣٢.

(٣) القصص/ ٨٣.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١/ ٢٠٠.

(٥) ظ. تنوير المقباس، ابن عباس: ٤١٣ / جامع البيان، الطبري: ١٩/ ٦٣٩. الجواهر الحسان، الثعلبي: ٧/ ٢٦٦

لمن لايريد العلو هو الاستعلاء والاستكبار على عباد الله وإرادة الفساد فيها ابتغاء معاصي الله تعالى، فإن الله بنى شرائعه التي هي تكاليف للإنسان على مقتضيات فطرته وخلقته ولا تقتضي فطرته إلا ما يوافق النظام الأحسن الجاري في الحياة الإنسانية[١]، وأي فساد اعظم من الشرك بالله تعالى، وأي ذنب اعظم من تعالي الممكن الضعيف الذي لاقوة له إلا من جود وكرم الواجب ولذلك قيل المراد بالعلو التكبر بغير الحق لأن أصل التكبر الشرك[٢]، وهي دعوة إلى توحيد العبادة بالنهي عن عبادة غير الله من الآلهة المتخذة شركاء لله، وقصر العبادة له تعالى[٣]. والإمام علي (عليه السلام) يعرض شكواه من كيد المتآمرين عليه وجاء تعمده في التصريح بنسبة الآية إلى الله تعالى نكاية بهم وتوبيخا لهم خاصة بعد أن مهد لها بتشبيههم بحال من لم يسمع الآية التي قرأها وهي تنطوي على ضمانة من الله تعالى بحسن عاقبة المتقين.فاستشهاده بهذه الآية الكريمة تأكيد لزهده بالدنيا[٤] وتذكير ((بأن العاقبة الجميلة من الثواب للذين يتقون معاصي الله ويفعلون طاعاته))[٥]، يبدو أن توظيب التنمية بالله تعالى صاغها الإمام (عليه السلام) بطريقة تكلم بها بكل تواضع، اذ استخدم لفظ النهوض بنسبها لنفسه كناية عن الخلافة التي كانت واقعة بيد غير المستحقين وشدة تأثيره السلبي في نشر التوحيد ويبين ان نهوضه بالخلافة أمر ليس مهمًا لديه، ولهذا اطلق عليها كلمة (الامر)، استخفافاً بها في نفسه من حيث هي خلافة ومنصب، فقد حقرها بوصفه المتقدم، لأنها لاتساوي

(١) الميزان، الطباطبائي: ١٦/ ٤١.

(٢) الاثر القرآني في نهج البلاغة، د. عباس الفحّام: ٤٣٣.

(٣) ظ: الميزان، الطباطبائي: ١٠/ ٧٣.

(٤) الأثر القرآني في نهج البلاغة، د. عباس الفحّام: ٤٣٣، ٤٣٤.

(٥) التبيان، الطوسي: ٨/ ١٧٣.

شيئًا أمام إحقاق الحق الذي أتى من أجله وهو قائل ((**وَاللهِ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِمْرَتِكُمْ إِلَّا أَنْ أُقِيمَ حَقّاً أَوْ أَدْفَعَ بَاطِلًا**))[١]، يبدو انه اشار إلى أن نهوضه للإصلاح ضد من خالفوا الحق واتبعوا الباطل، وأراد أن ينمي الأمة بأن هؤلاء الذين قاموا على الإسلام عبارة عن مجموعة من مخالفي شرع الله تعالى وبمخالفتهم اياه يريدون هدَّ ما يريده وأوله التوحيد وعبادة الله تعالى.

إن الايمان بالله تعالى له أثر في الدنيا والآخرة، وقد استشهد الإمام (عليه السلام) بآية من القرآن لبيان اثره العظيم في الدنيا والآخرة، وهو قوله (عليه السلام):

((**أَنَا شَاهِدٌ لَكُمْ وحَجِيجٌ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ عَنْكُمْ، أَلاَ وإِنَّ اَلْقَدَرَ اَلسَّابِقَ قَدْ وَقَعَ واَلْقَضَاءَ اَلْمَاضِيَ قَدْ تَوَرَّدَ وإِنِّي مُتَكَلِّمٌ بِعِدَةِ اللهِ وحُجَّتِهِ، قَالَ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اَلَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اِسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ اَلْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ اَلَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾**[٢] **وَقَدْ قُلْتُمْ رَبُّنَا اللهُ فَاسْتَقِيمُوا عَلَى كِتَابِهِ وَعَلَى مِنْهَاجِ أَمْرِهِ وَعَلَى اَلطَّرِيقَةِ اَلصَّالِحَةِ مِنْ عِبَادَتِهِ ثُمَّ لاَ تَمْرُقُوا مِنْهَا ولاَ تَبْتَدِعُوا فِيهَا**))[٣].

يقول ابن ابي الحديد في بيان معنى قول الإمام (عليه السلام): إنه شاهد لهم ومحاجٌّ يوم القيامة عنهم وهذا إشارة إلى قوله تعالى ﴿**يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ**﴾[٤]، التي قال عن تفسيرها الإمام علي (عليه السلام) ((**لا يدخل الجنة**

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٢٠ / ١٨٥.
(٢) فصلت / ٣٠
(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٠/ ٢٥،٢٦.
(٤) الاسراء / ٧١.

يومئذ إلا من كان في الدنيا عارفا بإمامه ومن يعرفه إمامه في الآخرة فإن الأئمة تعرف أتباعها يوم القيامة وإن لم يكونوا رأوهم في الدنيا))[1]، اما قوله (عليه السلام) ألا وإن القدر السابق قد وقع يشير به إلى خلافته، وهذه الخطبة من أوائل الخطب التي خطب بها أيام بويع بعد قتل عثمان، وفي هذا إشارة إلى أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد أخبره أن الأمر سيفضي إليه منتهى عمره وعند انقضاء أجله. ثم أخبرهم أنه سيتكلم بوعد الله تعالى ومحجته على عباده في قوله ﴿**إِنَّ اَلَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اِسْتَقامُوا...** ﴾ ومعنى الآية أن الله تعالى وعد الذين أقروا بالربوبية ولم يقتصروا على الإقرار بل عقبوا ذلك بالاستقامة أن ينزل عليهم الملائكة عند موتهم بالبشرى، والاستقامة هاهنا هي الاستقامة الفعلية شافعة للاستقامة القولية. وقد فسر أمير المؤمنين (عليه السلام)الاستقامة المشترطة في الآية فقال قد أقررتم بأن الله ربكم فاستقيموا على كتابه وعلى منهاج أمره وعلى الطريقة الصالحة من عبادته. لا تمرقوا منها مرق السهم إذا خرج من الرمية مروقا. ولا تحدثوا ما لم يأت به الكتاب والسنة، ولا تخالفوها. قال فإن أهل المروق منقطع بهم[2]، والغرض من استشهاده بالآية الكريمة حضهم على العمل في ربط القول بالفعل فلا يكفي الإقرار بالربوبية على اللسان، بل ينبغي أن يتبع ذلك الإقرار الاستقامة في السلوك والعمل وعندها يكون الباعث على العمل نابعا من الإقرار في القلب. وبهذا الإقرار يذكّرهم الإمام (عليه السلام) فيوصيهم باتباع السلوك القويم. ونلاحظ أن الإمام عليا (عليه السلام)يصرح بنسبة الآية إذا كان كلامه في معرض المواعظ والنصائح بغية التأثير في نفس السامع لما لذلك من وقع في نفس السامع، ولأن ذلك أدعى إلى إصاخة أسماعه إليه وتقبله لأنه

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد:٩ / ١٥٤.

(٢) ظ: شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٢٧، ٢٨.

حجة أخرى يضيفها الإمام(عليه السلام)إلى كلامه ودعم رأيه، فهناك أكثر من اثني عشر موضعا في نهج البلاغة استشهد فيها الإمام(عليه السلام)بآيات صرح بنسبتها إلى الله تعالى وأغلبها جاء في الوعظ والنصح [1]، وهو ما يراه البحث تعليلًا تنموياً يجلو بعض الاستدلالات منها؛ ان ذكر الله تعالى بالشكل الصريح استخدمه أمام مجتمع يعرف الله تعالى لكنه قابل للانحراف، فذكر لفظ الجلالة قبل الآيات تيمناً وتبركاً به من جهة ومن جهة اخرى ان وقع اسمه تعالى يؤثر في النفوس ويأمل في التغيير للأفضل وايضاً ان ذكره يؤشر للسامع ان صاحب الكلام قد جعل احكام الله نصب عينيه وكلامه دستورًا لما يراه من الآراء والأفعال، ومن جهة اخرى يكون حجة على السامع، والنتيجة ان استخدام الايات يفتح الباب أمام العقول والأذهان لبيان حقيقة يريدها الإمام وهي كما مر بالمثالين استخدمها لتنمية الايمان بالله تعالى بالعمل الصالح والطاعة والاستقامة.

ب. عدم التصريح بنسبة الشاهد القرآني:

أي عدم التصريح بلفظ الجلالة في عرض الشاهد القرآني، وهو الأكثر ورودا في كلام الإمام (عليه السلام)، إذ اقتبس من الكتاب العزيز آيات كثيرة ناسبت الغرض الذي أورده الإمام(عليه السلام) لغرض تنمية الأمة وإحداث تغيرات مرغوب بها عن طريق الدلالة الواضحة لحضور النص القرآني في ذهن الإمام(عليه السلام) وطرق استخدامه التي امتازت بالذكاء والبعد في النظر للأهداف المرجوة من الخطاب، وفي هذا النوع من الاستشهاد بالقرآن نتلمس قدرا عاليا من الإبداع في بناء الجمل يتناسب مع عدم التصريح بنسبة الآية إلى الله تعالى لأن على الإمام (عليه السلام) إيجاد مناخ تركيبي للعبارة مناسب لما اقتبس من عظمة الآية وفنية

(١) ظ: الأثر القرآني في نهج البلاغة، د. عباس الفحّام: ٤٣٧، ٤٣٨.

صياغتها وعمق معناها. وهذه القدرة العالية على البناء التركيبي الجملي ستجعل كثيرا من الآيات المستشهد بها تبدو وكأنها من عبارات الإمام (عليه السلام) لقوة ارتباطها بالعلاقات الجملية في كلامه وقد شمل هذا النوع من الاستشهاد بآيات الكتاب العزيز كل المضامين التي تحدث عنها الإمام (عليه السلام)من خلق الإنسان والكون وتوحيد الله تعالى وحديثه عن حقه المضيع في الخلافة وشكواه من استبطاء أصحابه لاستجابة أمره[١]، ومن الأمثلة على ذلك.

قال الإمام علي (عليه السلام): ((**فَاعْلَمُوا وأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ بِأَنَّكُمْ تَارِكُوهَا وظَاعِنُونَ عَنْهَا وَاتَّعِظُوا فِيهَا بِالَّذِينَ ﴿قَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾**[٢] **حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلاَ يُدْعَوْنَ رُكْبَاناً وأُنْزِلُوا اَلْأَجْدَاثَ فَلاَ يُدْعَوْنَ ضِيفَاناً وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ اَلصَّفِيحِ أَجْنَانٌ ومِنَ اَلتُّرَابِ أَكْفَانٌ ومِنَ اَلرُّفَاتِ جِيرَانٌ فَهُمْ جِيرَةٌ لاَ يُجِيبُونَ دَاعِياً وَلاَ يَمْنَعُونَ ضَيْماً**))[٣]، يذكرهم الإمام علي (عليه السلام) بقوة الله تعالى فهو خالقهم والقادر عليهم[٤]، وهنا استخدم الامام التخويف كعنصر مهم في عملية تنمية الإنسان، فهو يخوفهم من الطغيان، بسبب الصحة وسلامة الأجساد او بسبب نعم الله عليهم، التي تنسي الإنسان احيانا نفسه فيكون متكبرا،[٥] وطرق تنمية الخوف التي استخدمها الإمام (عليه السلام)في كلامه هي الآية المباركة التي نزلت في قوم عاد وتكبرهم[٦]، ويبدو أن الإمام (عليه السلام) استخدم

(١) ظ: الأثر القرآني في نهج البلاغة، د. عباس الفحّام: ٤٣٨، ٤٣٩.

(٢) فصلت / ١٥.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٧/ ٢٢٧،٢٢٨.

(٤) مفاتيح الغيب، الرازي: ٢٧/ ٥٥٣.

(٥) ظ: الأثر القرآني في نهج البلاغة، د. عباس الفحّام: ٤٦٣.

(٦) ظ: مفاتيح الغيب، الرازي: ٢٧/ ٥٥٣.

الآية بعرض تراث من التاريخ الموجود في كتاب الله تعالى لغرض إيصال الصورة المثلى في عملية بناء الإنسان، فذكر الأقوام وما جرى عليهم يعطي للإنسان قوة وشحنه موجبة تدفعهم لعمل ما يقيهم ما وقع فيه غيرهم، ومن جهة اخرى قد دعم كلامه اضافة للآية بعدة تعبيرات ذات دلالات ومنها قوله (اعلموا) أي تنمية للعملية الفكرية للإنسان، استخدمها لإحضار صورة موجودة في الذهن، ولهذا يقول بعدها (وانتم تعلمون)، ثم يعرض الإمام (عليه السلام) ما يدعم تنمية الإنسان وإحساسه بالخوف، بأن الإنسان تارك الحياة، ولابد للتارك ان يستعد للسفر، لاسيما ان سفر الآخرة يحتاج زادًا، وخير الزاد التقوى، ويذكرهم بأن الموتى يحملون بعد أن كانوا يمشون، وانزلوا إلى باطن الارض بعد ان كانوا عليها، فهم يجاورون الموتى ولايستطيعون أن يدعوا ضيفا ولا يستطيعون أن يمنعوا شرًا ربما سيصلهم وكلها صور تخوف الإنسان وتذكره بربه تعالى، وكان حضور الشاهد القرآني له الأثر في ترسيخ ما يريد بيانه (عليه السلام)، وكل هذه الامور تجعل من الإنسان يحذر المعاصي ويتوجه للطاعة، وقد امر الشرع بكل جميل في عملية البناء والتقدم ونهى عن كل فساد وتأخر، وهي ما أتت التنمية البشرية لتقرره في مضامين خطابها الذي يستهدف الإنسان ورقيه المستمر.

ج. التذييل:

وهو اختتام الكلام بآية من الكتاب العزيز، وتلك من سمات أسلوب الإمام (عليه السلام) في الاستشهاد بالقرآن الكريم، فكثيرا ما يذيل كلامه بآية مناسبة لما عرض من أفكار بحيث يجعلها مختزلة في الآية التي ختم بها كلامه. وهذا الأسلوب يكثر في كلامه كثرة بينة خاصة في خطبه إمعانا في التأثير. ولاشك في أن لسحر القرآن وقعه في النفس خاصة وأن الإمام(عليه السلام) يتعمد اختتام كلامه

بآية مناسبة لغرضه وكأنها توقيع منه لخطبته. ولو أننا نملك الآليات التي تبين طريقته في إلقاء خطبه لأمكن الجزم بأن الآية التي يختتم بها الإمام (عليه السلام) كلامه لاشك يميزها بعلو نبره أو مد صوته فيها التماسا للتأثير القرآني في نفوس السامعين ورغبة منه لتمييز الآية الكريمة عن كلامه لأنه في الغالب يوردها الإمام (عليه السلام) بطريقة عدم التصريح بنسبتها إلى الله تعالى، وهي تنطوي على الوعظ والنصح والدعوة إلى القتال والتنفير من الدنيا والتذكير بالآخرة والدعاء والترغيب والترهيب، ويقل في خطب التوحيد والموضوعات التي تخف فيها حدة العاطفة كموضوعات خلق الإنسان والسموات والأرض وخلق الحيوان [1].

قال الإمام علي (عليه السلام): ((**مُنِيتُ بِمَنْ لاَ يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ ولاَ يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ لاَ أَبَا لَكُمْ مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبَّكُمْ أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ ولاَ حَمِيَّةَ تُحْمِشُكُمْ أَقُومُ فِيكُمْ مُسْتَصْرِخاً وأُنَادِيكُمْ مُتَغَوِّثاً فَلاَ تَسْمَعُونَ لِي قَوْلاً ولاَ تُطِيعُونَ لِي أَمْراً حَتَّى تَكْشِفَ اَلْأُمُورُ عَنْ عَوَاقِبِ اَلْمَسَاءَةِ فَمَا يُدْرَكُ بِكُمْ ثَأْرٌ ولاَ يُبْلَغُ بِكُمْ مَرَامٌ دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ فَجَرْجَرْتُمْ جَرْجَرَةَ اَلْجَمَلِ اَلْأَسَرِّ وتَثَاقَلْتُمْ تَثَاقُلَ اَلنِّضْوِ اَلْأَدْبَرِ ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ ضَعِيفٌ ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى اَلْمَوْتِ وهُمْ يَنْظُرُونَ﴾**[2]))[3]

كان الصحابة من المهاجرين والأنصار مع الإمام (عليه السلام) ضد خصومه من أصحاب الجمل والنهروان إلا شذاذا، منهم النعمان بن بشير الأنصاري، وكان انتهازيا مرتزقا، يبيع دينه وضميره لأي شيطان يدفع الثمن، ولما ورد خبر غارة النعمان إلى

(١) ظ: الأثر القرآني في نهج البلاغة، د. عباس الفحّام: ٤٤٠، ٤٤١.

(٢) الانفال / ٦.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٢ / ٣٠٠.

الإمام استنهض الناس فتثاقلوا وتجاهلوا[١] لقد ذم الإمام علي (عليه السلام) هذا التقاعس والتقاعد عن القتال، ويرى المطلع على النص لوعة الامام في كلامه وتألمه، ويصفهم بالمضطربين من قولهم تذاءبت الريح أي اضطرب هبوبها وقوله الجرجرة صوت يردده البعير في حنجرته وأكثر ما يكون ذلك عند الإعياء والتعب [٢]، إلا انه (عليه السلام) استثمر النص القرآني بإحداث تنمية فكرية ذات ابعاد سلوكية يستخدمها في جهاد اعداء الله، وقد استخدم الشاهد القرآني بشكل مباشر دون الإشارة إلى الله تعالى، فيه دلالات وهي انه حاول تقوية حججه إلى جانب الصورة المرتسمة في الاذهان وهي صورة الجمال المريضة التي لا حول لها ولا قوة والمتعبة والمتثاقلة التي عجزت عن اداء فعل او تخاذلت، وهنا شحنة دينية عبر استشهاده (عليه السلام) بالآية المباركة، وهي تحمل خطابًا وقالبًا صوريًا متميزًا ومعناه ان الإمام (عليه السلام) عمد إلى الآية وما فيها من صورة قوية الحجة فأخرجها من سياقها الذي نزلت فيه وجعلها تتحول من سياق الموت إلى سياق الحرب من اجل الحياة، عبر الاستنهاض لقتال الأعداء من جهة، ومن جهة اخرى توجيه للأعداء بأن من يجعلونه عدوًا هو كيان إسلامي قد هضم الدين فكان مجسدا له في الأفعال كما هي الأقوال، مستثمرًا الثقافة الدينية الموجودة عند الأعداء[٣]، فيكون خطابه ذا حدين الاول لاستنهاض اصحابه والثاني لتوجيه العدو بأنهم من أهل الشريعة الإسلامية التي امتزجت معالم الرسالة في منظومتها التي تحكم به الرعية.

٢. حضور الفهم القرآني:

وهو حضور فكرة قرآنية في خطاب الإمام علي (عليه السلام)، قد صاغها

(١) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ١/ ٢٤٧.

(٢) ظ: شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٢ / ٣٠١.

(٣) ظ: ا سلوب علي بن ابي طالب في خطبه الحربية، د. علي عمران: ٣٤٦.

باسلوب ينفع السامع، ويعطيه حالة ذهنية تساعده على فتح باب الاستيعاب من الدلائل للولوج في المفاهيم القرآنية، التي استخدمها في عملية تنمية الإنسان بغية تحويل اخلاقي وسلوكي وفكري عن طريق هذا الاسلوب، ويحاول البحث عرض اساليبه التنموية الريادية في استخدام هذه الأداة، على سبيل الإيجاز المفيد والنافع والمثال لا الحصر:

أ. التنمية الفكرية بعلم الأحياء:

حفل نهج البلاغة بمعان غاية في الجدة على الثقافة العربية خاصة في مجال مراحل خلق الإنسان وهذه المعاني لها صدى في القرآن العظيم، تلقاها الإمام علي (عليه السلام) بأذن واعية وقلب حافظ وعقل متبصر، واستطاع أن يوظفها من خلال الدرس القرآني في التفكر في أحوال ما يحيط به من طبيعة ليقدمها أدلة واضحة على عظمة الباري وتوحيده جل وعلا تارة، ويحملها براهين دامغة يسند بها رأيه في النصح والتحذير تارة أخرى [1].

قال (عليه السلام)في خلق الإنسان: ((**بُدِئْتَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ ووُضِعْتَ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ وأَجَلٍ مَقْسُومٍ، تَمُورُ فِي بَطْنِ أُمِّكَ جَنِيناً لاَ تُحِيرُ دُعَاءً وَلاَ تَسْمَعُ نِدَاءً، ثُمَّ أُخْرِجْتَ مِنْ مَقَرِّكَ إِلَى دَارٍ لَمْ تَشْهَدْهَا ولَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ مَنَافِعِهَا فَمَنْ هَدَاكَ لِاجْتِرَارِ اَلْغِذَاءِ مِنْ ثَدْيِ أُمِّكَ وَعَرَّفَكَ عِنْدَ اَلْحَاجَةِ مَوَاضِعَ طَلَبِكَ وإِرَادَتِكَ هَيْهَاتَ إِنَّ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَاتِ ذِي اَلْهَيْئَةِ واَلْأَدَوَاتِ فَهُوَ عَنْ صِفَاتِ خَالِقِهِ أَعْجَزُ ومِنْ تَنَاوُلِهِ بِحُدُودِ اَلْمَخْلُوقِينَ أَبْعَدُ**))[2].

وصف الإمام علي (عليه السلام) ما لم تستطع ان تحيط به علوم الاحياء او

(١) ظ: الأثر القرآني في نهج البلاغة، د. عباس الفحّام: ٣٩٠.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٩ / ٢٥٧.

الطب والتشريح، فقد وصف خلق الإنسان، فقد ((خُلق وأوجد والمرعي المحوط المحفوظ. وظلمات الأرحام ومضاعفات الأستار مستقر النطف والرحم موضوعة فيما بين المثانة والمعى المستقيم وهي مربوطة برباطات على هيئة السلسلة وجسمها عصبي ليمكن امتدادها واتساعها وقت الحاجة إلى ذلك عند الولادة))[١]، وهذه المعاني لها أصل قرآني وهو قول الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ**﴾[٢].

ان في فتح هذه النافذة في علم الأحياء دلالة على ((أن الإمام (عليه السلام) سيّر هذه المعاني الشريفة في الاستدلال على عجز الإنسان عن إدراك صفة الله تعالى بعد عجزه عن إدراك صفة مخلوق مثله، بينا في الآيات الكريمة إثبات قدرة الله تعالى على إعادة الخلق بعد موتهم))[٣]، وهي دلالة تنمي لدى الإنسان الفكر بأنه مخلوق لخالق عظيم وحكيم، فهوالذي يستحق العبودية، وتنمي معلوماته في هذا العلم وهو على اتجاهين الاول استخدام المعاني في الخلق لتنمية عمق الرسالة في بيان مفاهيم تكاد تكون شبه معدومة في ثقافة الجزيرة وقت نزول القرآن، والاتجاه الثاني ان ما نزل به القرآن عبر القرون قد اثبتته المختبرات والدراسات الطبية فيؤدي دور ان الرسالة من خالق هذا الكلام وهو الله تعالى، ويقول الزمخشري في تفسير

(١) م - ن: ٩ / ٢٥٨.

(٢) المؤمنون / ١٢ - ١٦

(٣) الأثر القرآني في نهج البلاغة، د. عباس الفحّام: ٣٩٤.

الآية المباركة ان الله تبارك وتعالى خلق جوهر الإنسان أوّلاً طيناً، ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة، والقرار: المستقرّ، والمراد الرحم. وصفت بالمكانة التي هي صفة المستقرّ فيها؛ لأنّ الإنسان ذو عظام كثيرة ﴿خَلْقاً ءاخَرَ﴾ أي خلقاً مبايناً للخلق الأوّل مباينة ما أبعدها، حيث جعله حيواناً وكان جماداً، وناطقاً وكان أبكمًا، وسميعاً وكان أصمًّا، وبصيراً وكان أكمهًا، وأودع باطنه وظاهره بل كل عضو من أعضائه وكل جزء من أجزائه عجائب فطرة وغرائب حكمة لا تدرك بوصف الواصف[1]، والنتيجة ان الإمام عليًا (عليه السلام) قد استخدم مادة قرآنية وصاغها بشكل يبعث في النفوس الطامحة لزيادة العلم والمعرفة وتنمية لعلم الطب والاحياء خاصة علم الأجنة، ودلالة على عمق الاتصال الروحي بين الامام والقرآن الكريم، ورغم الوحدة في الفكرة إلا إن كلام الله تعالى له نكهة خاصة اقتربت منها طريقة الإمام علي (عليه السلام) لكن لم ترقَ لكلام الخالق فهي دونه، فتبارك الله الذي ليس كمثله شيء، خلق علياً مميزاً وقربه إليه، وإن مايريده الله تعالى من تنزيل القرآن هو ما يريده الإمام علي(عليه السلام) من الخطب والكلام وكلها تنمي الإنسان في استخلافه في الارض وصيانة الأمانة التي حملها.

ب. التنمية بعلم الجيولوجيا:

الجيولوجيا تعني علم الارض، جيو(الارض)، لوجي (علم)، ويدرس هذا العلم طبقات الارض وتشكيل الجبال والينابيع والأنهار وعلومًا اخرى كالغلاف الجوي والرياح والغيوم ونزول المطر[2]، وقد تكلم الإمام علي (عليه السلام) بعلم الارض، مستمداً من القرآن الكريم قوام خطبته وهي قوله (عليه السلام):

(١) الكشاف، الزمخشري: ٤/ ٣٢٨.

(٢) ظ: الإمام علي والأسرار العلمية، ابراهيم العاملي: ٧٢.

((كَبَسَ اَلْأَرْضَ عَلَى مَوْرِ أَمْوَاجٍ مُسْتَفْحِلَةٍ ولُجَجٍ بِحَارٍ زَاخِرَةٍ تَلْتَطِمُ أَوَاذِيُّ أَمْوَاجِهَا وَتَصْطَفِقُ مُتَقَاذِفَاتُ أَثْبَاجِهَا وتَرْغُو زَبَدًا كَالْفُحُولِ عِنْدَ هِيَاجِهَا فَخَضَعَ جِمَاحُ اَلْمَاءِ اَلْمُتَلاَطِمِ لِثِقَلِ حَمْلِهَا وسَكَنَ هَيْجُ اِرْتِمَائِهِ إِذْ وَطِئَتْهُ بِكَلْكَلِهَا وذَلَّ مُسْتَخْذِياً إِذْ تَمَعَّكَتْ عَلَيْهِ بِكَوَاهِلِهَا، فَأَصْبَحَ بَعْدَ اِصْطِخَابِ أَمْوَاجِهِ سَاجِياً مَقْهُوراً وفِي حَكَمَةِ اَلذُّلِّ مُنْقَاداً أَسِيراً وَسَكَنَتِ اَلْأَرْضُ مَدْحُوَّةً فِي لُجَّةِ تَيَّارِهِ))[1].

ويبدو من كلام الإمام (عليه السلام) أن الماء سابق على الأرض، فقوله (كبس) بمعنى أغاص الله تعالى الأرض في الماء بقوة، ويقال لضرب من التمر الكبيس لأنه يكبس حتى يتراص، والأواذي ما عظم من موج البحر، والمدحوة المبسوطة أو المقذوفة المرمية، وهذه من معاني القرآن الكريم وألفاظه[2]، وهو قول الله عز وجل: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾[3]، يقول الرازي في تفسير الآية ((وفي حديث علي (عليه السلام) ((اللهم داحي المدحيات)) أي باسط الأرضين السبع وهو المدحوات أيضاً، وقيل: أصل الدحو الإزالة للشيء من مكان إلى مكان، ومنه يقال: إن الصبي يدحو بالكرة أي يقذفها على وجه الأرض))[4]، فهي ليست كرة تماما، بل هي بيضوية الشكل[5]، وفي الكتب الحديثة تعني انها كالبيضة[6]، وان ما يريده الإمام (عليه السلام) ان الله سبحانه بعد أن خلق الأرض غمسها في بحار هائجة مائجة أي ان الأرض كانت موجودة قبل الكبس، في البحار تم

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد:٦ / ٤٣٧.

(٢) ظ: الأثر القرآني في نهج البلاغة، د. عباس الفحّام: ٣٩٥.

(٣) النازعات / ٣٠.

(٤) مفاتيح الغيب، الرازي: ١٦/ ٣٤٢.

(٥) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٢ / ٣٣.

(٦) ظ: الإمام علي والأسرار العلمية، ابراهيم العاملي: ١٢١.

بيسر وسهولة، وان ثورة البحار هدأت وهمدت بعد هذا الغمس[١]، ليخرج منها الماء على شكل عيون وينابيع وآبار، وكذلك يخرج النبات والحشائش[٢]، يبدو ان هذا العقل الكبير الذي شع منه كل علم لاتصاله بعلوم السماء، كان مادة تنمي الإنسان وفكره لاسيما بوصف هذا المشهد الجيولوجي في تكون الارض، وهذا يساعد في تنمية الفكر الإنساني، عن طريق الاتصال المعلوماتي بين القرآن وخطب الإمام علي في علم الارض، فهو صورة ثانية للآيات القرآنية التي تتكلم عن خلق الارض، وهي تنمية فكرية، تمتاز بسمات منها اعطاء معلومات ذات بعد قرآني بحلة جديدة، فنؤكد ونذكر بما قاله الله تعالى بكلامه المعجز الذي ارسله هداية للعالم ليخرجهم من ظلام الجهالة إلى نور العلم والايمان، لتعم آثاره في الارض بالإعمار والاستصلاح لها، لأن الإنسان هو من انيطت به مهمة إحياء الارض واعمارها، وهي عينها اهداف التنمية البشرية في استصلاح البيئة لخدمة الإنسان.

ج. التنمية بعلم الفلك

لم تكن معرفة الإمام (عليه السلام) منوطة بالحكمة فقط او في مجال العلوم الاجتماعية، او الفقهية، او كأديب وخطيب فقط، بل إنما أطلق بنظره إلى الكون فاستنطقه على اسلوب الفلكيين المحدثين، فلم يلجأ فيما يقول إلى التورية او الاحتمالات بل يرسله كمسلمات قد بت فيها وهي حقاً كذلك [٣]، ومن تجليات التأثير القرآني في معاني خلق الكون والطبيعة استمداد الإمام(عليه السلام)من التبصر في أحوال الكون للوصول من خلالها إلى وجود الصانع الخالق، وهو

(١) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٢ / ٣٣.

(٢) ظ: الإمام علي والأسرار العلمية، ابراهيم العاملي: ١٢١.

(٣) ظ: ملامح من عبقرية الامام، د.مهدي محبوبه: ٤٠.

أثر لطالما دعا إليه القرآن في آياته الشريفة[١]، ومنها قوله (عليه السلام): ((**انْظُرْ إِلَى اَلشَّمْسِ واَلْقَمَرِ واَلنَّبَاتِ واَلشَّجَرِ واَلْمَاءِ وَاَلْحَجَرِ واِخْتِلاَفِ هَذَا اَللَّيْلِ واَلنَّهَارِ وتَفَجُّرِ هَذِهِ اَلْبِحَارِ وكَثْرَةِ هَذِهِ اَلْجِبَالِ وطُولِ هَذِهِ اَلْقِلاَلِ وتَفَرُّقِ هَذِهِ اَللُّغَاتِ واَلْأَلْسُنِ اَلْمُخْتَلِفَاتِ فَالْوَيْلُ لِمَنْ أَنْكَرَ اَلْمُقَدِّرَ وجَحَدَ اَلْمُدَبِّرَ زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ ولاَ لِاخْتِلاَفِ صُوَرِهِمْ صَانِعٌ ولَمْ يَلْجَئُوا إِلَى حُجَّةٍ فِيمَا اِدَّعَوْا ولاَ تَحْقِيقٍ لِمَا دَعَوْا أَوْعَوْا وهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَانٍ أَوْ جِنَايَةٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ**))[٢]، ان هذه الدعوة والحث على النظر إلى الشمس والقمر والمخلوقات الأخرى، من رجل علم كالإمام علي (عليه السلام)، الذي تلقى العلم من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ما هو إلا توجيه للمنهج العلمي الحقيقي للتعرف على السماء وما فيها، وهي نظرة تختلف عن دعوة الناس تماما في ذلك العصر، حين كانوا ينظرون إلى السماء ويربطون دون منهج ما يجري في السماء وما يحدث في الارض، والذي يعرف بعلم التنجيم، ومنهج الإمام علي (عليه السلام) هو النظر للأشياء مع التفكر والتدبر والتامل[٣]، وإن ما يعرضه (عليه السلام) من بديع الخلق للخالق العظيم، كان واضحًا في كتاب الله تعالى اذ يقول ﴿**خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ**﴾[٤]، يقول الرازي في تفسير هذه الآية المباركة ((وذلك لأن النور والظلمة عسكران مهيبان عظيمان، وفي كل يوم يغلب هذا ذاك تارة، وذلك هذا أخرى وذلك يدل على أن كل واحد منهما مغلوب مقهور، ولا

(١) ظ: الأثر القرآني في نهج البلاغة، د. عباس الفحّام: ٤٠٥.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٣ / ٥٦.

(٣) ظ: الإمام علي والأسرار العلمية، ابراهيم سرور العاملي: ٢١٠.

(٤) الزمر/ ٥

بد من غالب قاهر لهما يكونان تحت تدبيره وقهره وهو الله سبحانه وتعالى، والمراد من هذا التكوير أنه يزيد في كل واحد منهما بقدر ما ينقص عن الآخر))[١]، يبدو أن الإمام (عليه السلام) استخدم ما أصله قرآني بعملية التنمية، للنظر العقلي والحسي لآيات الله تعالى، بما تمتاز به من عظمة تحتاج لمدبر عظيم وهو الله تعالى، فاستخدم علم الفلك في مضامينه القرآنية في عملية تنمية الإنسان فكريا وعقدياً، وكذلك الذوق الرفيع في عرض الآيات الإلهية التي هي إعجاز آخر ينمي الفكر، بأن الذي له علم الكتاب فهو أحق بتولي الأمور في قيادة الأمة تحت شرع الله تعالى، وإن جار الزمان معه وكان خلافه، اي تنمية الحقائق عن طريق تنمية الذوق والفكر، عبر تدبر ماقاله الإمام (عليه السلام).

وقد ذكر الإمام علي (عليه السلام) نصوصاً اخرى في علم الفلك ومنها: ((**ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ اَلْكَوَاكِبِ وضِيَاءِ اَلثَّوَاقِبِ وأَجْرَى فِيهَا سِرَاجاً مُسْتَطِيراً وقَمَراً مُنِيراً فِي فَلَكٍ دَائِرٍ وسَقْفٍ سَائِرٍ وَرَقِيمٍ مَائِرٍ**))[٢]، ان الله سبحانه جعل السموات زينة وجمالا بما فيها من الكواكب، والمعنى ان النجوم والشمس والقمر كلها تسبح في الفضاء الرحب، وإن ما يراه الإنسان فوقه في السماء كان تحته قبل ساعات، وما يراه في المساء على يمينه كان على يساره في الصباح، وهذه الأجرام الفلكية المضيئة المتحركة هي زينة للناظرين. بالاضافة إلى سائر المنافع التي لا يبلغها الإحصاء. وتجدر الاشارة إلى أن الأرض تدور حول الشمس والقمر يدور حول الأرض [٣]. وان ماذكره الامام هو ما جاء في القرآن الكريم وهو قوله تعالى ﴿**رَبُّ السَّمَاوَاتِ**

(١) مفاتيح الغيب، الرازي: ١٣ / ٢٢٧.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد:١٣ / ٨٣.

(٣) في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ١ / ٣٨.

﴿وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ * إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾[١]، فالسماء متزينة بالنجوم البيضاء، وهي ما أراده الإمام بالنجوم الثواقب، والذي يدل على النجوم المضيئة من ذاتها، ذات الوهج العالي[٢]، وهو قوله تعالى ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾[٣]، يقول الزمخشري ان تفسير النجم الثاقب في الاية هو ((لنَّجْمُ الثَّاقِبُ المضيء، كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه))[٤]، اي يصدر النور بقوة كبيرة، ووصف القمر بأنه منير لأنه يعكس الضوء[٥]، وهو ما ورد في قوله تعالى ﴿تَبَارَكَ الِذَّي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾[٦]، وفي المحصلة ان هذا الخلق هو لِمَنْ أَرادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أي يتفكر فيستدل بذلك على عظم قدرته أَوْ أَرادَ شُكُوراً أي يشكر على النعمة فيهما، من السكون بالليل والتصرف بالنهار. ويكون فيهما بما يقتضيه ما خلقا له [٧]، وهو المطلب من الذكر لخلق الله تعالى في الفلك، تنمية الفكر بالخالقية للواحد الاحد، لما للتوحيد من اهمية في زرع الاطمئنان في المجتمع والسكينة النفسية للروح الإنسانية التي تبحث عن الاستقرار في كل مجالات الحياة.

د. حضور الفهم القرآني في التنمية الروحية:

كفل الإسلام بعقيدته وشريعته مطالب التنمية للطبيعة وللإنسان وتنمية

(١) الصافات / ٥-٦.

(٢) ظ: الأثر القرآني في نهج البلاغة، د. عباس الفحّام: ٤٠٦.

(٣) الطارق / ١-٣.

(٤) الكشاف، الزمخشري: ٤/ ٧٣٤.

(٥) ظ: الأثر القرآني في نهج البلاغة، د. عباس الفحّام: ٤٠٧.

(٦) الفرقان / ٦١.

(٧) محاسن التأويل، محمد القاسمي: ٧ / ٤٣٦.

الإنسان النفسية والروحية معا دون تفرقة أو شتات[١]، جاعلًا ركيزة ما ينطلق منه هذا المشروع التنموي، هو رسوخ مفهوم المحبة والأخلاق وسواهما من الموارد المتوفرة من اجل الإنسان، وتقوية مختلف مجالات المجتمع، لتكون نواة الاستثمار الامثل للطاقات والامكانات[٢]، البشرية لاسيما العمل الصالح، قال امير المؤمنين (عليه السلام) ((**وَإِنَّ الْمَالَ وَالْبَنِينَ حَرْثُ الدُّنْيَا وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ حَرْثُ الْآخِرَةِ**))[٣]، يقول ابن ابي الحديد انه (عليه السلام) أراد بهذا ما قاله الله تعالى ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ**﴾[٤]، من كان يريد بعمله الآخرة، ﴿**نزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ**﴾ بالتضعيف بالواحد عشرة إلى ما شاء الله من الزيادة، ﴿**وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا**﴾ يريد بعمله الدنيا، ﴿**نُؤْتِهِ مِنْهَا**﴾أنه يعطيه بعض ما يطلبه ولا يؤتاه كله[٥]، والإمام يقصد بالبنين والاموال انها من حرث الدنيا، لأن الإنسان يتمتع بهما أياما، ثم لا شيء تماما كالتمتع برؤية الكواكب والحدائق، والأشجار والأنهار ويقصد (عليه السلام) بـ((والعمل الصالح حرث الآخرة)) وحصاده ملك دائم، ونعيم قائم[٦]، وقد علل الإمام لهذا الحرث منمياً روحية الإنسان بقصد تهذيبهم بقوله: ((**وَإِنَّ اللِّسَانَ الصَّالِحَ يَجْعَلُهُ اللهُ تَعَالَى لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَالِ**

(١) ظ: التعددية والحرية في الإسلام المذاهب، محمد مهدي شمس الدين: ١٥.

(٢) الرسول الاعظم والتنمية البشرية، محمد صادق الخرسان:٢٢-٢٣.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١/ ٣١٢.

(٤) الشورى/ ٢٠.

(٥) ظ: جامع البيان، الطبري: ٢١/ ٥٢١.

(٦) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ١/ ١٦٩.

يُورِثُهُ مَنْ لَا يَحْمَدُهُ))[١]، اي ان المراد باللسان الصالح الذكر الجميل، والمعنى خير للمرء أن يترك الثناء الطيب عليه بعد موته من أن يترك الثراء لورّاثه[٢]، يبدو للمتدبر بقوله (عليه السلام) مؤكدا أمرًا مهمًا وهو تمسك الروح بالدنيا عن طريق حب الأموال والأولاد، وهما على حد تعبير القرآن فتنة، بقوله تعالى ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾[٣]، أمر الله تعالى المكلفين ان يعلموا ويتحققوا ان اموالهم واولادهم فتنة. وإنما يمكنهم معرفة ذلك بالنظر والفكر في الأدلة المؤدية إليه، وهو ما يدعو إليه الهوى في الاموال والأولاد، وما يصرف عنه فمن تفقد ذلك وتحرز منه نجاه من مضرته، والمراد بالفتنة ههنا المحنة التي يظهر بها ما في النفس من اتباع الهوى او تجنبه فيخلص حاله للجزاء بالثواب او العقاب بحسب الاستحقاق[٤]. ومن ثم فإن كلا الأموال والبنين فتنة ولابد من الانتباه إلى الصيغة التي ذكر بها الأعمال بقوله والعمل الصالح، أي ان ما يقابل الفتنة هو العمل الصالح الذي يقع تحت ظله كل عمل بر وخير وصلاح، وافضلها ما كان في خدمة البشرية على نحو عبادي اي تقربا إلى الله تعالى لانه امر بالصالح من الأعمال.

وكذلك استخدم الإمام (عليه السلام)الدعاء الممتزج بالروحانية والأصول القرآنية في التنمية الروحية، والدعاء هو توجه قوي وتأكيدي للعقل يؤدي إلى اليقين، فهو تواصل واع للداعي مع الخالق[٥]، فهو يمثل الصلة بين العبد وخالقه

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد:٧/ ٢٨٨.

(٢) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٢/ ٢١٤.

(٣) الانفال / ٢٨.

(٤) الميزان، الطباطبائي: ٥/ ١٠١.

(٥) معجزة آليات عمل العقل، د. جوزيف ميرفي: ٦٢.

المعطي له، وقد امتزج روح الدعاء عنده (عليه السلام)بالمفاهيم القرآنية،ومنها قوله (عليه السلام) ((**نَدْعُوكَ حِينَ قَنَطَ الْأَنَام**))[١]،هذه الخطبة أو المناجاة قد ابتهل بها الإمام إلى الله في ذات سنة منعت فيها السماء بركاتها عن الأرض وأهلها حتى ضاقت عليهم بما رحبت، واذا اشتد الفزع فإلى الله المفزع، وأفضل أنواع الدعاء ترك الذنوب، أو التوبة منها إليه تعالى[٢] ((وقنوط الأنام يعني به الإمام (عليه السلام) قنوطهم من رحمة الله في إنزال الغيث بدليل قوله (عليه السلام)في الخطبة))[٣] نفسها: ((**فَإِنَّكَ تُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا، وتَنْشُرُ رَحْمَتَك وأَنْتَ الْوَلِيُّ الْحَمِيد**))[٤]، وقد ضمن الإمام علي (عليه السلام) قول الله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ**﴾[٥] ويتكرر المعنى نفسه في خطبة أخرى في الاستسقاء[٦] فيقول (عليه السلام): ((**اللَّهُمَّ فَاسْقِنَا غَيْثَكَ ولاَ تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِين**))[٧]، فهذا معنى قوله تعالى: ﴿**لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ**﴾[٨]، ان المتأمل في نصوص نهج البلاغة والقرآن الكريم في استخدام المفردات الخاصة بالدعاء لتنمية الروح انه لامجال للقنوط من رحمة الله تعالى، فالله تعالى امرنا بذلك كما مر في الاية المباركة، بل ان الامام قد استعاذ من القانطين من رحمة الله، لأن القنوط هو قنوط

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٧ / ٢٦٢

(٢) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية:٢/ ١٦٩.

(٣) الاثر القرآني في نهج البلاغة، د. عباس الفحّام: ٥٢.

(٤) في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية:٢ / ١٩٧.

(٥) الشورى / ٢٨.

(٦) ظ: الأثر القرآني في نهج البلاغة، د. عباس الفحّام: ٥٣.

(٧) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٩ / ٧٧.

(٨) الزمر / ٥٣.

من الرحمة والخير، ولهذا قدم ما يأمل من الله تعالى بالخير وهو هطول الامطار[١]، الذي به منافع وهو الحياة لهم والسقي الارض التي فيها يزرعون، وهنا تنمية روحية بضرورة الامل بما عند الله، وضرورة الصبر والاجتهاد بالطاعات التي تجلب البركات، وعدم القنوط من رحمة الله تعالى، فإن الأمل موجود والدعاء المفتاح الذي يفتح ابواب الاجابة، وبما ان ما يدعو به الإنسان لخيره في الدنيا والآخرة، فيكون أثر الدعاء مهمًا جدا في الحياة بسعادة وأمان لأنه وسيلة من وسائل التضامن الاجتماعي والتكاتف الأخوي فيولّد في المرء روحا جديدة وقد يؤدي بالغرض ما لا يؤديه أي شيء آخر، فهو حوار بين المخلوق وخالقه وهو أرضية لإعلان التوبة والعفو والغفران عن اقتراف الذنوب والآثام، فالدعاء يخلق من أبنائنا جيلا ملتزما مؤديًا لحقوق الله، مترفعا عن الوقوع في الزلات والقبائح، اضافة إلى ذلك فإنه دواء لكل داء،[٢] وهو ما تطمح اليه التنمية البشرية في نشر السعادة بين الناس بشكل مستمر ودائم.

هـ. حضور الفهم القرآني في تنمية العبادة:

وهي مفاهيم قرآنية جاءت ((على لسان أمير المؤمنين (عليه السلام) من ذكر أو أمر أو تبيان أو إيصاء بالعبادات التي أمر الله تعالى بها عباده أن يؤدوها كالحج والصلاة والجهاد وأداء الأمانة وطلب الاستغفار، وكان فيها الإمام (عليه السلام) يستند في تأكيدها في كل ذلك إلى آيات الكتاب العزيز يعزز بها كلامه ويتوخى من ذكرها التأثير))[٣] الإيجابي في الإنسان نفسه ومجتمعه المحيط به، أي ان التنمية

(١) ظ: الأثر القرآني في نهج البلاغة، د. عباس الفحّام: ٥٤.

(٢) ظ: كيف تبني عائلة ناجحة برواية أهل البيت (عليهم السلام)، حبيب الكاظمي: ٩٤. / ظ: آفاق بلا حدود، د. محمد التكريتي: ٢٢٢.

(٣) الأثر القرآني في نهج البلاغة، د. عباس الفحّام: ٤٦٥.

البشرية هدفها الإنسان وكل ما يسهم بتنميته، لاسيما تنمية الجانب العبادي في حياته لان الإنسان وفق المنظور الإسلامي ((عبد الله وسيد الكون، وهو خليفة الله في الأرض، فهو مستخلف من الله فيها للعبادة، ومقتضى العبادة أن يسهم الإنسان -بإيجابية وفاعلية- في عمارة الأرض وترقيتها وفق منهج الله، ولكي يقوم الإنسان بواجبات الخلافة على نحو رباني وإيجابي وواقعي))[١]، وهذا ما سعى اليه الإمام علي (عليه السلام) في عملية تنمية الإنسان عبادياً، ومنها قوله (عليه السلام) ((**تَعَاهَدُوا أَمْرَ اَلصَّلاَةِ وحَافِظُوا عَلَيْهَا واِسْتَكْثِرُوا مِنْهَا وتَقَرَّبُوا بِهَا فَإِنَّهَا ﴿كَانَتْ عَلَى اَلْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً﴾**[٢]، **أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَى جَوَابِ أَهْلِ اَلنَّارِ حِينَ سُئِلُوا ﴿ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قالُوا لَمْ نَكُ مِنَ اَلْمُصَلِّينَ﴾**[٣]، **وإِنَّهَا لَتَحُتُّ اَلذُّنُوبَ حَتَّ اَلْوَرَقِ وتُطْلِقُهَا إِطْلاَقَ اَلرِّبَقِ وشَبَّهَهَا رَسُولُ الله (صلى الله عليه وآله) بِالْحُمَّةِ تَكُونُ عَلَى بَابِ اَلرَّجُلِ فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي اَلْيَوْمِ واَللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ اَلدَّرَنِ وقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ اَلْمُؤْمِنِينَ اَلَّذِينَ لاَ تَشْغَلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ ولاَ قُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ ولاَ مَالٍ يَقُولُ اَللهُ ﴿سُبْحَانَهُ رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ ولا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ الله وإِقامِ اَلصَّلاةِ وإِيتاءِ اَلزَّكاةِ﴾**[٤] **وكَانَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وآله) نَصِباً بِالصَّلاَةِ بَعْدَ اَلتَّبْشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّةِ لِقَوْلِ الله سُبْحَانَهُ ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ واِصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾**[٥] **فَكَانَ يَأْمُرُ بِهَا أَهْلَهُ ويُصْبِرُ يَصْبِرُ عَلَيْهَا نَفْسَهُ**))[٦]، فهي الصلة

(١) مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها على أحمد مدكور: ٢٩.

(٢) النساء/ ١٠٣.

(٣) المدثر / ٧٤، ٧٥.

(٤) النور / ٣٧.

(٥) طه / ١٣٢.

(٦) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٣ / ٢٠٢.

بين العبد وخالقه، وهي اعتراف عملي بالإيمان لله عز وجل وصفاته ونعمه [١]، فكلمة تعاهدوا يريد الإمام (عليه السلام) منها الالتزام بتجديد العهد بالصلاة ويراد من الكتاب ما ذكره الله تعالى بقوله تعالى ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[٢]، جاء في التفسير جامع البيان ان معنى كتب عليكم هو ((فرض عليكم))[٣]، اي انها كناية عن الفرض ويقصد بـ(موقوتًا) هو جعل الصلاة لها فرض واجب في اوقاتها ونجومها، وان ذكرها من قبل الإمام علي (عليه السلام)هو لأهميتها وتأكيد وجوب ادائها [٤]، ولقد قال (عليه السلام)ما يؤكد على اهتمامه باوقات الصلاة بقوله ((**أَمَّا بَعْدُ فَصَلُّوا بِالنَّاسِ الظُّهْرَ حَتَّى تَفِيءَ الشَّمْسُ مِنْ مَرْبِضِ الْعَنْزِ وصَلُّوا بِهِمُ الْعَصْرَ والشَّمْسُ بَيْضَاءُ حَيَّةٌ فِي عُضْوٍ مِنَ النَّهَارِ حِينَ يُسَارُ فِيهَا فَرْسَخَانِ وصَلُّوا بِهِمُ الْمَغْرِبَ حِينَ يُفْطِرُ الصَّائِمُ ويَدْفَعُ الْحَاجُّ إِلَى مِنًى وصَلُّوا بِهِمُ الْعِشَاءَ حِينَ يَتَوَارَى الشَّفَقُ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ وصَلُّوا بِهِمُ الْغَدَاةَ والرَّجُلُ يَعْرِفُ وَجْهَ صَاحِبِهِ وصَلُّوا بِهِمْ صَلَاةَ أَضْعَفِهِمْ ولَا تَكُونُوا فَتَّانِينَ**))[٥]، لقد اهتم الإمام بتحديد اوقات الصلاة المفروضة، لأن الله امر بقيامها بأوقاتها وهو القائل ﴿**أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا**﴾[٦]، فحدد (عليه السلام)

(١) الأخلاق والآداب الإسلامية،عبد الله الهاشمي: ٢: ٤١.

(٢) البقرة/ ١٨٣.

(٣) ظ: جامع البيان، الطبري:٣/ ٤٠٩.

(٤) ظ: الأثر القرآني في نهج البلاغة، د. عباس الفحّام: ٤٦٧.

(٥) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٣/ ٢٢.

(٦) الاسراء/ ٧٨.

أوقات الصلاة اليومية[١]، لأهميتها في النهي عن الفحشاء والمنكر، ومن يكون بعيدا عن الفحشاء والمنكر فانه في طريق التكامل، أي ان الصلاة تدفع الإنسان نحو الكمال إذ كلما تعمق وعي الإنسان، بعبوديته تقدم في خطواته نحو الكمال بطاعته لله في اقامة الصلاة[٢]، اضافة إلى كون الصلاة من اهم ما ينمي الراحة النفسية والاطمئنان لدى الإنسان فقد جاء (عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ، قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ أَبِي عَلَى صِهْرٍ لَنَا مِنْ الْأَنْصَارِ فَحَضَرَتْ الصَّلَاةُ فَقَالَ: يَا جَارِيَةُ، ائْتِينِي بِوَضُوءٍ لَعَلِّي أُصَلِّي فَأَسْتَرِيحَ، فَرَآنَا أَنْكَرْنَا ذَاكَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وآله) يَقُولُ: ((**قُمْ يَا بِلَالُ فَأَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ**))[٣]، ان الصلاة هي احب الاشياء إلى رسوب الله (صلى الله عليه وآله) وقد صلى حتى تورمت قدماه[٤]، لشدة تعلقه بها ص، وهذا ما اظهره الحديث الذي يطلب به من بلال الأذان للصلاة، وإن لهذا الحديث معنى أخلاقيًا يؤكد القيمة المعنوية والروحية التي تخلقها الصلاة في النفس الإنسانية، ولهذ سعى الإمام علي (عليه السلام) إلى تنمية الروح عن طريقها.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٣ / ٢٣.

(٢) التجديد الكلامي عند الشهيد الصدر،حبيب فياض: ١٤٨.

(٣) ظ: مسند أحمد، أحمد بن حنبل: ٣٨ / ٢٢٥. سنن أبي داود، السجستاني:٤ / ٤٥٣. كنز العمال، علاء الدين علي بن حسام الدين: ٧/ ٦٩٢. منتخب ميزان الحكمة، محمد الريشهري: ٣٧.

(٤) ظ: الأثر القرآني في نهج البلاغة، د. عباس الفحّام: ٤٧٠.

المبحث الثاني
الحوار والاحتجاج في نهج البلاغة

توطئة

أهتم الإمام علي (عليه السلام)بشكل كبير في تنمية المجتمع، ودفع عجلة تقدمه إلى الإمام، وبطبيعة الحال أخذ بنظر الحسبان في عملية بناء المجتمع العنصر الأهم وهو الإنسان، ذلك إن المجتمع مركب من أناس كثيرين تربطهم مواثيق وقوانين وآداب[١]، والتنمية الاجتماعية التي انتهجها الإمام علي (عليه السلام) تهدف لبناء المجتمع الإنساني ورفعه إلى المستوى الذي يريده الله تعالى، واستمراره في التطور والتقدم في السلوكيات المطلوب تحقيقها لأغراض التنمية، وعليه فإن التنمية الحقيقية تعني النمو مضافا إليه التغيير والتطوير في آن واحد[٢]، فالتنمية الاجتماعية ((عملية تعبئة وتنظيم جهود أفراد المجتمع وتوجيهها للعمل المشترك مع الهيئات الحكومية بأساليب حرة لحل مشكلات المجتمع ورفع مستوى أبنائه اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا وصحياً، بحسب الإمكانات المادية والموارد البشرية المتاحة))[٣]، فهي ثمرة التفاعل المستمر والداعم بين المادة والفكر والذي بدوره يفضي إلى التطور، فهي سلسلة ارتقائية من التغييرات التي تطرأ على بنية الكائنات الحية وسلوكها[٤]، أي انها تنمية الإنسان في علاقاته المتبادلة، او هي الجهود التي

(١) ظ: معجم علم الإجتماع، د.عدنان ابو مصلح ٣٥٩-٢٦-٢٥.

(٢) ظ: الثقافة والتنمية البشرية، أشواق عبدا الحسن الساعدي:٢٧.

(٣) أثر المعلومات في التنمية، سلمان وفيق سليمان:٣٦.

(٤) معجم علم الإجتماع، د.عدنان ابو مصلح:١٣٤. التنمية البشرية المستدامة - كآلية لمحاربة البطالة في الجزائر، ابن وضاح الهاشمي: ٢٧.

تبذل لإحداث سلسلة من التغيرات الوظيفية والهيكلية اللازمة لنمو المجتمع،[١] وهذا ما انتهجه الإمام علي(عليه السلام) في عملية بناء المجتمع بطريقة الحوار والاحتجاج، التي كثر الكلام فيهما في خطبه (عليه السلام)، معتمداً في الكثير منها على استجلاب النصوص القرآنية، لقوة تأثيره في عملية الاحتجاج في نفوس الخصم[٢]، وقبل الخوض بهما لابد من بيان بسيط بمفهوم الحوار والاحتجاج ليتسنى للبحث التكلم بأثرهما في تنمية الأمة في احاديث الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة.

الحوار: في اللغة من الحَوْر هو الرجوع عن الشيء إلى الشيء، والمحاورة: المجاوبة، والتحاور التجاوب، والمحاورة: مراجعة المنطق، والكلام في المخاطبة[٣]، اما الجدال في اللغة: من جَدَلَ الحبل إذا فَتَلَه، وهو مستعمل في الأصل لمن خاصم بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب، ثم استعمل في مُقابَلَة الأدلة لظهور أرجحها [٤].

وقد اصطلح لهما اصطلاح واحد ويعني: مناقشة بين طرفين أو أطراف، يُقصد بها تصحيح كلامٍ، وإظهار حجَّةٍ، وإثبات حقٍ، ودفع شبهةٍ، وردُّ الفاسد من القول والرأي[٥]. اي ان الهدف منهما ازاحة اللبس، وعرض الحقائق، وانصاف الحق، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، كلها لأجل رضا الله تعالى، ورعاية للناس، بعرض الحجج والبراهين لهم، لتسهيل الطريق أمامهم في ركوب سفينة الحق.

(١) ظ: أثر المعلومات في التنمية الاجتماعية والاقتصادية في العراق، سلمان وفيق سليمان:٣٦-٣٧.

(٢) ظ: الأثر القرآني في نهج البلاغة، د. عباس الفحّام: ٤٧٤.

(٣) ظ: لسان العرب، ابن منظور: ٤ / ٢١٧.

(٤) ظ: اساس البلاغة، الزمخشري: ١/ ٥٥. لسان العرب، ابن منظور: ١١/ ١٠٥.

(٥) الحوار مع أتباع الأديان، د. منقذ محمود: ٢.

أولاً: آداب الحوار والاحتجاج في نهج البلاغة

ليست السيادة أن يحمل الإنسان العلم فحسب، بل انها وفق ما يراه الإمام علي (عليه السلام) أن يضاف العمل بالعلم ويلاصقه، وهي سنته في ارتياد المعرفة، وأسلوبه في نشرها[١]، خاصة انه يدرك ماهي الحياة وما هو الإنسان وكيف يمكن ان يرفد بما يحتاج ليتجاوز كل مرديات الهوى والنفس الأمارة بأساليبها المتعددة ومنها الحوار والاحتجاج، والتي وضع لها آدابًا يندر ان تجدها بالدقة التي خطها الإمام علي (عليه السلام) للبشرية، فهي قانون عامل شامل للمحاورات تصلح لكل زمان ولكل شخص في هذه الارض، ومن بين تلك الاداب التي يعرضها بعدة نصوص غاية الروعة، ومنتهى الدقة، ومنها ما قاله (عليه السلام): ((**قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾**[٢]**، وإِيَّاكَ وَالْعَجَلَةَ بِالْأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا أَوِ التَّسَاقُطَ اَلتَّسَقُّطَ فِيهَا عِنْدَ إِمْكَانِهَا أَوِ اَللَّجَاجَةَ فِيهَا إِذَا تَنَكَّرَتْ أَوِ اَلْوَهْنَ عَنْهَا إِذَا اِسْتَوْضَحَتْ فَضَعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ**))[٣].

أن انسراب التأثير القرآني إلى نهج البلاغة صفة مميزة لكلامه (عليه السلام)، ولعل واحدا من أسرار لذة القراءة في نهج البلاغة وانفعال المتلقي معه هو التماس مشارب الأخذ المختلفة من القرآن الكريم، لأن ذلك أدعى إلى تجدد روح الإصغاء وتنشيط لذة الاستماع، لحضور النص القرآني في ذهنه والقدرة على استجلابه ساعة يشاء شأن آخر يدل على تذوق الإمام (عليه السلام) للقرآن وشدة حفظه الواعي لمضامينه بحيث لا تنفلت أفكاره من الإطار القرآني ولا يجد هو بعد عنتا

(١) ظ: ملامح من عبقرية الامام، د. مهدي محبوبة: ١٥٠.

(٢) الصف / ٣.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٧ / ١١٣.

في استدعاء ما يشاء من ألفاظه ومعانيه وفي أي موضوع يعرضه[١]، ومنها آداب الحوار والمحاججة، فهو يوصي احد عماله بآداب استخدم القرآن الكريم فيها لبيان ضرورة الصدق في مطابقة القول للفعل من جهة، وتوجيهاً له بالالتزام بالصدق في كل الظروف وخاصة ماكان بينه وبين الناس، والدليل ان الإنسان بصير بنفسه، فهو لايحدث نفسه بأشياء لايفعلها، بل انما تكون مع غيره، وقال الرازي المقت وهُوَ البغض، ومن استوجب مقت الله لزمه العذاب وهو اشد البغض وأكثر الفحش، ومعناه كبر قولكم مالا تفعلون مقتا عند الله[٢]، ويقول ابن أبي الحديد في بيان كلام الإمام علي (عليه السلام) انه يحذّر من اقتراف الكذب بالادعاء خلاف الباطن من الفعل، إذ إنه يعتبر أمرًا مشينًا وخاصة لمن يتولى وعظ الناس وارشادهم ويعد تشجيعًا على الاثم، ويردفها الإمام علي (عليه السلام)بعدم العجلة[٣]، لأنها تضيع الكشف عن الحقائق من المتحاورين، او التقليل من قيمتها او خسران امر راجح بسببها، والابتعاد عن المجادلة الزائدة عند ضعف الحجة والرأي للمحاور، والاستسلام للمعلومة الصحيحة المقنعة الواضحة.

ويضيف الإمام علي (عليه السلام)لآداب الحوار والاحتجاج لزوم الركون للحجة المقبولة وهو قوله (عليه السلام)لابن عباس ((**لَا تُخَاصِمْهُمْ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّ الْقُرْآنَ حَمَّالٌ ذُو وُجُوهٍ تَقُولُ وَيَقُولُونَ... ولَكِنْ حَاجِجْهُمْ بِالسُّنَّةِ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَنْهَا مَحِيصاً**))[٤]، ان المحاوِر اذا استقر على قاعدة صلدة قوى رأيه، والقرآن الكريم هو كلام الله تعالى، إلا إن المشكلة في تقبلهم حقائق القرآن الكريم وتطرفهم

(١) ظ: الأثر القرآني في نهج البلاغة، د. عباس الفحّام: ٤٣١.

(٢) ظ: مفاتيح الغيب، الرازي: ٢٩ / ٥٢٧.

(٣) ظ: شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٧/ ١١٤، ١١٥.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٨ / ٧١.

في معاني كلماته، فحث الإمام ابن عباس على الالتزام بالحجة المعتمدة على السنة القوية في خطابه الاحتجاجي مع من خرجوا عن الإمام (عليه السلام)[١].

ومن آداب الحوار التي أكدها الإمام علي (عليه السلام)هي عدم التقول بدون علم والتسامح مع من ليس عليه حجة وهو قوله (عليه السلام) ((**لَا تَقُولُوا بِمَا لَا تَعْرِفُونَ فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ واعْذِرُوا مَنْ لَا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ**))[٢]، يقول ابن ابي الحديد ان ما يريده الإمام هو أن أكثر المعارضين للإمام كانوا مرجئة ومشبهة ومجبرة ومن يعتقد أفضلية غيره عليه ومن يعتقد أن معاوية صاحب حجة في حربه أو شبهة يمكن أن يتعلق بها متعلق ومن يعتقد أنه أخطأ في التحكيم، إلى غير ذلك من ضروب الخطأ التي كان أكثرهم عليها، فيوصي بعدم القول بعدم المعرفة[٣]، وهذا بيان خاص إلا إن الكلام فيه مسحة نورانية تمتاز بالعموم والشمول في النصيحة، وهي دعوة للأمانة العلمية وعدم التقول بدون معرفة، ويقول واعذروا بدل اقبلوا لأن انصاره هم على جادة الحق، لكن تضعف المعلومات والحجج الكاملة لديهم وهو سر التتابع بما قبلها من كلامه (عليه السلام).

ويعطي الإمام (عليه السلام)درساً في الترويض النفسي بقبول الحق والرضا به، وعدم التثاقل منه وقد عرض الإمام علي (عليه السلام) هذا الدرس بطريقة بيان العلة: ((**فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوِ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ، فَلَا تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ، فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِئَ ولَا آمَنُ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي إِلَّا أَنْ يَكْفِيَ اللهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ**

(١) ظ: م- ن: ١٨ / ٧٢.

(٢) م- ن: ٦ / ٣٧٣.

(٣) ظ: م- ن: ٦ / ٣٨٠.

أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبٍّ لَا رَبَّ غَيْرُهُ))[١]، يعد الشارحون لنهج البلاغة أن الإمام عليًا (عليه السلام)اوضح هذا الكلام بالأسلوب الواضح السلس، وهو عدم التثاقل من مقولة الحق لأنها تعني ان العمل بالحق لمن تثاقل من المقال به يكون صعبًا بل ربما يكون مستبعدًا من العمل للمتثاقل[٢].

ثم يعطي (عليه السلام) اخلاقية المبعوث من قبله والمحاور من طرفه مع من يرسله اليهم من الناس، وهو قوله (عليه السلام) **((انْطَلِقْ عَلَى تَقْوَى الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ولَا تُرَوِّعَنَّ مُسْلِماً ولَا تَجْتَازَنَّ عَلَيْهِ كَارِهاً ولَا تَأْخُذَنَّ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّ الله فِي مَالِهِ، فَإِذَا قَدِمْتَ عَلَى الْحَيِّ فَانْزِلْ بِمَائِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخَالِطَ أَبْيَاتَهُمْ، ثُمَّ امْضِ إِلَيْهِمْ بِالسَّكِينَةِ والْوَقَارِ حَتَّى تَقُومَ بَيْنَهُمْ فَتُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ ولَا تُخْدِجْ بِالتَّحِيَّةِ لَهُمْ ثُمَّ تَقُولَ عِبَادَ الله أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ وَلِيُّ الله وخَلِيفَتُهُ لِآخُذَ مِنْكُمْ حَقَّ الله فِي أَمْوَالِكُمْ، فَهَلْ لله فِي أَمْوَالِكُمْ مِنْ حَقٍّ فَتُؤَدُّوهُ إِلَى وَلِيِّهِ، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ لَا فَلَا تُرَاجِعْهُ وإِنْ أَنْعَمَ لَكَ مُنْعِمٌ فَانْطَلِقْ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخِيفَهُ أَوْ تُوعِدَهُ أَوْ تَعْسِفَهُ أَوْ تُرْهِقَهُ فَخُذْ مَا أَعْطَاكَ...))**[٣].

يعطي الإمام (عليه السلام)ضروريات المبعوث والمحاور من قبله، بعضها نفسية اي خاصة بالمبعوث والمتمثلة بالخوف من الله تعالى، وبعدها سلوكية الإنسان الذي يمثل صاحبه الذي بعثه للناس ومنها عدم التخويف والترويع اي لاتفزع مسلماً، قوله (عليه السلام)و لا تجتازن عليه كارها أي لا تمرَّنّ ببيوت أحد من المسلمين يكره مرورك، فانزل بمائهم وذلك لأن الغريب يحمد منه الانقباض ويستهجن في القادم أن يخالط بيوت الحي الذي قدم عليه، فقد يكون

(١) م- ن: ١١/ ٢١٠.

(٢) ظ: نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، المحمودي: ٢ / ١٨٦. في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٣/ ٢٧٧.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد:١٥ / ١٥١.

من النساء من لا تليق رؤيته ولا يحسن سماع صوته ومن الأطفال من يستهجن أن يرى الغريب انبساطه على أبويه وأهله، وقد يكره القوم أن يطلع الغريب على مأكلهم ومشربهم وملبسهم وبواطن أحوالهم وقد يكونون فقراء فيكرهون أن يعرف فقرهم فيحتقرهم أو أغنياء أرباب ثروة كثيرة فيكرهون أن يعلم الغريب ثروتهم فيحسدهم، ثم أمره أن يمضي إليهم غير متسرعٍ ولا عجلٍ ولا طائشٍ نزقٍ، ويسترسل الإمام في بيان كيفية التحاور فيسلم عليهم، ويحييهم تحية كاملة غير مخدجة أي غير ناقصة، ثم أمره أن يسألهم هل في أموالهم حق لله تعالى؟ يعني الزكاة، فإن قالوا لا فلينصرف عنهم لأن القول قول رب المال فلعله قد أخرج الزكاة قبل وصول المصدق إليه[1].

ثانياً: الحوار التوجيهي في نهج البلاغة

يبدو ان الحوار في مفهوم امير المؤمنين من خصائص الإنسان، والتي يستخدمها لأغراض مهمة للمتحدث مع الشخص المُحاوَر، ولهذا قد وصف من مضى عليه الزمان وأدركه الموت وسكن البرزخ إن من خصائصهم انهم لا يتحاورون ((**فَاحْذَرُوهَا حَذَرَ اَلشَّفِيقِ اَلنَّاصِحِ وَاَلْمُجِدِّ اَلْكَادِحِ وِاعْتَبِرُوا بِمَا قَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ مَصَارِعِ اَلْقُرُونِ قَبْلَكُمْ قَدْ تَزَايَلَتْ أَوْصَالُهُمْ وَزَالَتْ أَبْصَارُهُمْ وَأَسْمَاعُهُمْ وَذَهَبَ شَرَفُهُمْ وَعِزُّهُمْ وَانْقَطَعَ سُرُورُهُمْ وَنَعِيمُهُمْ فَبُدِّلُوا بِقُرْبِ اَلْأَوْلاَدِ فَقْدَهَا وَبِصُحْبَةِ اَلْأَزْوَاجِ مُفَارَقَتَهَا لاَ يَتَفَاخَرُونَ وَلاَ يَتَنَاسَلُونَ وَلاَ يَتَزَاوَرُونَ ولاَ يَتَحَاوَرُونَ فَاحْذَرُوا عِبَادَ الله**))[2]، يبدو من النص ان الحوار أمر مهم تحتاجه البشرية، وهو دليل حياتهم، ودلائل حب التقدم او تحقيق الأهداف للمتحاور، والمحاورة هنا

(١) ظ: شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد:١٥ / ١٥٣، ١٥٤.
(٢) م.ن: ٩ / ٢٣٩.

المخاطبة[١]، ويبدو للبحث ان المخاطبة وردت في نهج البلاغة بشكلها الصريح في هذا المورد فقط، وورد لها تطبيقات في نهج البلاغة أخرى، ومنها ما يسرده الإمام (عليه السلام)بمحاورته مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقوله لما سأله رجل عن الفتنة:

((إِنَّهُ لَمَّا أَنْزَلَ الله سُبْحَانَهُ قَوْلَهُ ﴿الم ١ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[٢]، عَلِمْتُ أَنَّ اَلْفِتْنَةَ لَا تَنْزِلُ بِنَا ورَسُولُ الله (صلى الله عليه وآله) بَيْنَ أَظْهُرِنَا، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله مَا هَذِهِ اَلْفِتْنَةُ اَلَّتِي أَخْبَرَكَ اللهُ بِهَا؟ فَقَالَ يَا عَلِيُّ إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ بَعْدِي، فَقُلْتُ يَا رَسُولُ الله، أَ ولَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ اُسْتُشْهِدَ مَنِ اُسْتُشْهِدَ مِنَ اَلْمُسْلِمِينَ وحِيزَتْ عَنِّي اَلشَّهَادَةُ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيَّ فَقُلْتَ لِي أَبْشِرْ فَإِنَّ اَلشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ؟ فَقَالَ لِي إِنَّ ذَلِكَ لَكَذَلِكَ فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذاً؟ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله لَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاطِنِ اَلصَّبْرِ ولَكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ اَلْبُشْرَى واَلشُّكْرِ، وقَالَ يَا عَلِيُّ إِنَّ اَلْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بِأَمْوَالِهِمْ ويَمُنُّونَ بِدِينِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَتَمَنَّوْنَ رَحْمَتَهُ ويَأْمَنُونَ سَطْوَتَهُ ويَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ اَلْكَاذِبَةِ واَلْأَهْوَاءِ اَلسَّاهِيَةِ فَيَسْتَحِلُّونَ اَلْخَمْرَ بِالنَّبِيذِ واَلسُّحْتَ بِالْهَدِيَّةِ واَلرِّبَا بِالْبَيْعِ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله فَبِأَيِّ اَلْمَنَازِلِ أُنْزِلُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ أَ بِمَنْزِلَةِ رِدَّةٍ أَمْ بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ فَقَالَ بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ))[٣].

يبدو أن الإمام علياً (عليه السلام)يستخدم المحاورة في جواب عن سؤال وهي الفتنة، فيجيب السائل بجواب تميز بأنه منبعث من التاريخ وهو سرد لتاريخ قد تميزت به الأمة من جهة، وجهة اخرى لتعميق ايمان السائل بأنه من اخبار

(١) ظ: م.ن: ٩ / ٢٤٠.

(٢) العنكبوت / ١- ٢.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد:٩ / ٢٠٥.

من لا ينطق عن الهوى، ومن جهة اخرى ان ذكر التاريخ له علاقة بالحاضر والمستقبل فهي عملية ربط منطقي لتاريخ قد وقع واخبار لمستقبل، خاصة ان ملامح ما بينه النبي في جوابه للامام قد وقعت في الأمة بعد النبي ص، وهي عملية تنمية للحقيقة التي ذكرها النبيص للناس اجمع وللسائل بشكل خاص والتي بانت ملامحها بشكل جلي وواضح بعده، بما جرى على الأمة، هذا بالنسبة لمن آن بالنبي اما السامع للخبر ممن التحق بالإسلام فهي عملية تنمية تأكيدية على ان علم الامام من رسول الله وعلم رسول الله من السماء، ويلاحظ ان الامام قد افتتح الجواب بذكر محاورة بينه وبين النبي، وهو السؤال عن الاية الاولى والثانية من سورة العنكبوت، ومعناها أن الذين قالوا آمنا بعدما خرجوا هرباً من أذى المشركين إياهم، لن يتركوا دون امتحان واختبار[1]، وقد بين ابن ابي الحديد شرح هذا الحوار بقوله: ((أن رسول الله ص قال له إن الله قد كتب عليك جهاد المفتونين كما كتب علي جهاد المشركين قال فقلت يا رسول الله ما هذه الفتنة التي كتب علي فيها الجهاد قال قوم يشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وهم مخالفون للسنة فقلت يا رسول الله فعلام أقاتلهم وهم يشهدون كما أشهد قال على الأحداث في الدين ومخالفة الأمر فقلت يا رسول الله إنك كنت وعدتني الشهادة فأسأل الله أن يعجلها لي بين يديك قال فمن يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين أما إني وعدتك الشهادة وستستشهد تضرب على هذه فتخضب هذه فكيف صبرك إذا قلت يا رسول الله ليس ذا بموطن صبر هذا موطن شكر قال أجل أصبت فأعد للخصومة فإنك مخاصم فقلت يا رسول الله لو بينت لي قليلا فقال إن أمتي ستفتن من بعدي فتتأول القرآن وتعمل بالرأي وتستحل الخمر بالنبيذ والسحت بالهدية

(١) جامع البيان، الطبري: ١٩ / ٧.

والربا بالبيع وتحرف الكتاب عن مواضعه وتغلب كلمة الضلال، فكن جليس بيتك حتى تقلدها فإذا قلدتها جاشت عليك الصدور وقلبت لك الأمور تقاتل حينئذ على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، فليست حالهم الثانية بدون حالهم الأولى، فقلت يا رسول الله فبأي المنازل أنزل هؤلاء المفتونين من بعدك؟ أ بمنزلة فتنة أم بمنزلة ردة؟ فقال بمنزلة فتنة يعمهون فيها إلى أن يدركهم العدل، فقلت يا رسول الله أ يدركهم العدل منا أم من غيرنا؟ قال بل منا، بنا فتح وبنا يختم وبنا ألف الله بين القلوب))[1]، ان هذا العرض ينمي في السامع ان الحق والحقيقة هي ما اخبرت به السماء النبي المصطفى (صلى الله عليه وآله)، وهي تنمية بالله تعالى وبالديانة الخاتمة وبعظيم قدر النبي ومكانة الإمام علي (عليه السلام)في الوقوف في جنب الحق والتزام ما اراد الله تعالى بتطبيق احكامه، وهو جواب كافٍ للسامع، فلا يحتاج أن يجادل او يخاصم فيما روى، لأن له أساسا قرآني، وأساسًا آخر من السنة، اضافة إلى أن ما بها من عرض علمي شافٍ يكفي الغرض وينور العقل الغافل عن الحقيقة للفتنة او يهدي الطالب السؤال بالابتعاد عنها.

ومن محاوراته (عليه السلام)، مع ابن عباس في ما ورد في نهج البلاغة ((**قَالَ عَبْدُ الله بْنُ اَلْعَبَّاسِ دَخَلْتُ عَلَى أَمِيرِ اَلْمُؤْمِنِينَ بِذِي قَارٍ وهُوَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ فَقَالَ لِي مَا قِيمَةُ هَذَا اَلنَّعْلِ؟ فَقُلْتُ لاَ قِيمَةَ لَهَا، فَقَالَ (عليه السلام): وَالله لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِمْرَتِكُمْ إِلاَّ أَنْ أُقِيمَ حَقّاً أَوْ أَدْفَعَ بَاطِلاً**))[2]، ومنطقة ذي قار موضع قريب من البصرة وهو المكان الذي كانت فيه الحرب بين العرب والفرس ونصرت العرب على الفرس قبل الإسلام. وذكرت المحاورة أن الإمام (عليه السلام)يخصف نعله

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٩/ ٢٠٦.

(٢) م - ن:٩/ ١٨٥.

أي يخرزها[١]، ان هذه المحادثة تحتوي في طياتها اشارات تنموية هامة جداً، وأولها، أن الإمام يقول ان الخلافة التي يخالف الناس الله تعالى من أجلها، لا تعني شيئا بالنسبة للإمام (عليه السلام)، لولا تكليف الله تعالى بالأخذ بها لإصلاح الأمة في احقاق الحق ومحاربة الباطل وإزهاقه، ومن صور هذا الحق الإسهام بإصلاح المجتمع وإعلاء قيمته وذلك بالانسجام بين الحكام والمحكومين ويؤدي ذلك إلى الاستقرار السياسي الداخلي والخارجي، وللوصول إلى هذه النتيجة المرجوة يجب ان تنهض الأمة بأعبائها بحسن التناصح والتعاون واشارة إلى منح الأمة حقها في المشاركة السياسية في اختيار السياسات العامة وادارة الشؤون العامة او اختيار القادة السياسين، ومن مؤشرات هذه المحاورة ان الإمام عليًا (عليه السلام)يوجه الأمة إلى ضرورة أن من يتصدى للحكم أن يهدف إلى اصلاح المجتمع ومحاربة كل مظاهر الهدم له، والابتعاد عن التفكير بالنفس وتحقيق الرغبات بالمناصب.

وأيضاً ورد في نهج البلاغة ((رُوِيَ أَنَّ شُرَيْحَ بْنَ اَلْحَارِثِ[٢]، قَاضَيِ أَمِيرِ اَلْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام)اِشْتَرَى عَلَى عَهْدِهِ دَاراً بِثَمَانِينَ دِينَاراً فَبَلَغَهُ ذَلِكَ، فَاسْتَدْعَى شُرَيْحاً وقَالَ لَهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ اِبْتَعْتَ دَاراً بِثَمَانِينَ دِينَاراً وكَتَبْتَ لَهَا كِتَاباً وأَشْهَدْتَ فِيهِ شُهُوداً فَقَالَ لَهُ شُرَيْحٌ قَدْ كَانَ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ اَلْمُؤْمِنِينَ، قَالَ فَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظَرَ اَلْمُغْضَبِ،

(١) ظ: م - ن:٩/ ١٨٦. نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، المحمودي: ١/ ٢٤٩.

(٢) هو شريح بن الحارث بن المنتجع بن معاوية بن جهم بن ثور بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد الكندي، وقال قوم هو شريح بن شراحيل والصحيح أنه شريح بن الحارث ويكنى أبا أمية، استعمله عمر بن الخطاب على القضاء بالكوفة، فلم يزل قاضيا ستين سنة لم يتعطل فيها إلا ثلاث سنين في فتنة ابن الزبير، امتنع فيها من القضاء ثم استعفى الحجاج من العمل، فأعفاه فلزم منزله إلى أن مات، وعمر عمرا طويلا، قيل إنه عاش مائة سنة وثمانيا وستين. شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٤/ ٢٨.

ثُمَّ قَالَ لَهُ يَا شُرَيْحُ أَمَا إِنَّهُ سَيَأْتِيكَ مَنْ لاَ يَنْظُرُ فِي كِتَابِكَ ولاَ يَسْأَلُكَ عَنْ بَيِّنَتِكَ حَتَّى يُخْرِجَكَ مِنْهَا شَاخِصاً ويُسْلِمَكَ إِلَى قَبْرِكَ خَالِصاً، فَانْظُرْ يَا شُرَيْحُ لاَ تَكُونُ اِبْتَعْتَ هَذِهِ اَلدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكَ أَوْ نَقَدْتَ اَلثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلاَلِكَ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دَارَ اَلدُّنْيَا ودَارَ اَلآْخِرَةِ))[1]، ان المتأمل في هذا الحوار يجد أن الامام كان غاضبًا من فعل شريح، وغضب الإمام (عليه السلام) له احتمالات منها ما اورده ابن ابي الحديد في شراء شريح عقدة كالضيعة أو الذخيرة من المال الصامت، فنظر إليه الإمام (عليه السلام) نظر مغضب إنكارا لابتياعه دارا بثمانين ديناراً وهذا يدل على زهد شديد في الدنيا واستكثار للقليل منها ونسبه هذا المشتري إلى الإسراف وخوف من أن يكون ابتاعها بمال حرام[2]، ومنها انه قاضٍ في حكومة الإمام (عليه السلام)، والقاضي إذا أصبح ذا ثروة في حكومة الامام فانه يفتح باباً للتساؤلات ويكون محطًا للريبة، ومن باب آخر إنه يقصد أنه مطلع على تفاصيل البيع والشراء في معاملة شريح وانها كانت قائمة لا على الظنة بل اليقين من حيث انها استوجبت أن يغضب الإمام (عليه السلام) فلو ان حدود البيع والشراء وما يدور بتفاصيلها صالح ما غضب الإمام (عليه السلام)، فغضبه يدل على بطلانها، والدليل انه بدل ان يقول له اشتريت داراً، قال ((قَالَ لَهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ اِبْتَعْتَ دَاراً بِثَمَانِينَ دِينَاراً))، استخدم لفظ بيع بدل شراء وهو دليل انه يشير لدار الآخرة، وقد استشهد الإمام بعبارة خسارة الدنيا والآخرة وهو اقتباس من قوله تعالى ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ**﴾[3]، والمفيد

(١) م.ن:١٤/ ٢٧

(٢) ظ: م - ن:١٤/ ٣٠.

(٣) الحج / ١٨.

من هذه المحاورة إن الإنسان يجب ان يكون بمستوى التكليف في هذه الدنيا، بحيث يعرف أن الدنيا وسيلة للآخرة، وأن من مهاوي الاغترار بها أن تكون سبب الخسران في الدنيا والآخرة.

واستخدم الإمام علي لغة الحوار في قصة من جاءه ليستقصي حاله (عليه السلام) ومن يقف معه قبال اصحاب الجمل، فقد ذكر ابن ابي الحديد هذه الحادثة في شرحه لنهج البلاغة ((**وَقَدْ أَرْسَلَهُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ اَلْبَصْرَةِ لَمَّا قَرُبَ (عليه السلام) مِنْهَا لِيَعْلَمَ لَهُمْ مِنْهُ حَقِيقَةَ حَالِهِ مَعَ أَصْحَابِ اَلْجَمَلِ لِتَزُولَ اَلشُّبْهَةُ مِنْ نُفُوسِهِمْ، فَبَيَّنَ لَهُ (عليه السلام) مِنْ أَمْرِهِ مَعَهُمْ مَا عَلِمَ بِهِ أَنَّهُ عَلَى اَلْحَقِّ، ثُمَّ قَالَ لَهُ بَايِعْ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ قَوْمٍ ولاَ أُحْدِثُ حَدَثاً حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ (عليه السلام) أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ اَلَّذِينَ وَرَاءَكَ بَعَثُوكَ رَائِداً تَبْتَغِي لَهُمْ مَسَاقِطَ اَلْغَيْثِ فَرَجَعْتَ إِلَيْهِمْ وأَخْبَرْتَهُمْ عَنِ اَلْكَلَإِ واَلْمَاءِ فَخَالَفُوا إِلَى اَلْمَعَاطِشِ واَلْمَجَادِبِ مَا كُنْتَ صَانِعاً؟ قَالَ كُنْتُ تَارِكَهُمْ ومُخَالِفَهُمْ إِلَى اَلْكَلَإِ وَاَلْمَاءِ، فَقَالَ (عليه السلام) فَامْدُدْ إِذاً يَدَكَ فَقَالَ اَلرَّجُلُ فَوَاللهِ مَا اِسْتَطَعْتُ أَنْ أَمْتَنِعَ عِنْدَ قِيَامِ اَلْحُجَّةِ عَلَيَّ فَبَايَعْتُهُ**))[1].

جاء أحد الناس للإمام علي (عليه السلام) يستعلم حاله أ هو على حجة أم على شبهة، فلما رآه (عليه السلام) وسمع لفظه علم صدقه وبرهانه، فكان بينهما ما قد شرحه (عليه السلام). ولا شيء ألطف ولا أوقع ولا أوضح من المثال الذي ضربه (عليه السلام) وهو حجة لازمة لا مدفع لها، قول الرجل ولا أحدث حدثا أي لا أفعل ما لم يأمروني به إنما أمرت باستعلام حالك فقط، فأما المبايعة لك فإن أحدثتها كنت فاعلا ما لم أندب له، فأقنعه الإمام (عليه السلام) بمثاله بحالة لو أخبر قومه عن مواضع التي يسقط الغيث فيها والنبت إذا طال ومواضع

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٩/ ٢٩٩.

العطش والجدب، فأجاب الرجل بأنه موضع صدق، ففرق بين هذه الحالة وحالته الشخصية، هل يبايع ان ثبت القول الصحيح والحق عند الامام فأجاب بالقبول فبايع[١]، وهذا الأسلوب في الحوار وإلزام السائل بما شرح الله صدره اليه من معرفةالحق قد استثمر النية الصادقة للرجل ورجحان عقله في تنمية الجانب الايماني باتباع الامام الشرعي، ليحقق هدفين الاول الهداية للرجل نفسه، والثاني توجيه قومه على ان مقدار الوثاقة والصحة للموقف الذي انتهجه الإمام علي مع اصحاب الجمل، كان بغاية الرجحان،بدليل ان رسول القوم بايع به بقناعة تامة، فيكون محفزاً اقوى للمجتمع الذي ينتمي اليه الرجل المبعوث من قبلهم، وهي تنمية اجتماعية، استخدمها الإمام (عليه السلام)في بناء المجتمع في جانبه السياسي العقائدي الصحيح، والمتمثل بالنهج المحمدي الأصيل الذي يقتفيه الإمام (عليه السلام) قبال من آمن بشبهات أصحاب الجمل، وبهذا تكون المحاورة أحد أهم طرق تنمية الإنسان ومجتمعه.

ثالثاً: المحاججات في نهج البلاغة

ورد في نهج البلاغة العديد من النصوص التي تدل على احتجاج الإمام علي (عليه السلام) أمام خصومه، ومنها احتجاجه في خطبته الشقشقية[٢] واحتجاجاته مع الخوارج، واحتجاجه في بعض كتبه لمعاويه لعنه الله، ومن هذه الاحتجاجات:

(١) ظ: م - ن: ٩/ ٢٩٩. نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، المحمودي: ١/ ٢٧٠.

(٢) ظ: الارشاد، المفيد: ١٣٥. لسان العرب، ابن منظور: ١٢، ٥٣. مجمع الأمثال، الميداني: ٣٨٣. شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١/ ١٥١.. في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ١/ ٨٣. علي والرعية،طلال الحكيم: ٧٥. من بلاغة الإمام علي في نهج البلاغة، عادل الاسدي: ٩١. المستويات الجمالية في نهج البلاغة، نوفل ابو رغيف: ١٠٩. (هذه المصادر توضح ظروف الخطبة واسبابها وما فيها من مضامين).

١. الخطبة الشقشقية:

وهي من أشهر خطب الإمام علي (عليه السلام)، وفيها العديد من الاحتجاجات التي سيختصر البحث على مقاطع منها، لبيان اهميتها في عملية البناء الفكري للإنسان في عملية التنمية للمجتمع الإنساني، كونها ليست خاصة بمجتمع خاص او حقبة خاصة من حيث التاريخ العربي الإسلامي، والتي صاغها الإمام (عليه السلام) بأفضل الأساليب في عمليات التنمية، لأنها إيضاح للبس وبيان الحقائق التي يمكن ان تُشوَّه ويُبرَّر لها بأفعال وأقوال، عمد الإمام (عليه السلام) فيها لبيان المعلومات وإزاحة الشبهات التي وقعت بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله)، التي كانت صدمة عظيمة لأفراد المجتمع المدني، إلا أن الموت لم يكن غائب عن أذهانهم، والذي ذكره القرآن والنبي المصطفيص في العديد من خطبه، إلا أن الشيء الذي لم يكن على مايرام، ما اخذته الاحداث من انعطافات مهمة في اطار الخلافة الإسلامية وقد حملت الكثير من الشبهات[1]، التي ذكرها الإمام علي (عليه السلام) وأبطل بحججه الدامغة، وبيانه الجلي وأسلوبه العذب وطريقته المثلى تلك الضبابية والتشوهات عن طريق ترتيشه وتعديله وتصحيحه للمعلومات التي تتناقلها الأمة عبر أسلوب تنموي رائع وا ضح المضمون، متكلاً على الله تعالى في بيانه للمعلومات:

قال الإمام علي (عليه السلام): ((أَمَا والله لَقَدْ تَقَمَّصَهَا اِبْنُ أَبِي قُحَافَةَ وإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنْ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ اَلْقُطْبِ مِنَ اَلرَّحَى يَنْحَدِرُ عَنِّي اَلسَّيْلُ ولاَ يَرْقَى إِلَيَّ اَلطَّيْرُ، فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً وطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ يَهْرَمُ فِيهَا اَلْكَبِيرُ ويَشِيبُ فِيهَا اَلصَّغِيرُ ويَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ

(١) ظ: الإمام علي بن ابي طالب السيرة الذاتية والاجتماعية، زهير الاعرجي: ٥٦٣.

حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ، فَرَأَيْتُ أَنَّ اَلصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى، فَصَبَرْتُ وَفِي اَلْعَيْنِ قَذًى وفِي اَلْحَلْقِ شَجًا أَرَى تُرَاثِي نَهْباً))[1].

لكل مصلح سنته في التطور ولكل عبقري رأيه بالتحول، والتطور في الدين الإسلامي سمة مميزه له، وفي حديث علي انما هو تطور اخلاقي اجتماعي معنوي ومادي مثلي وواقعي، في كل مفاهيمه ومعارفه وحكمه وأعماله، كان يقدم لها تقديما واقعيا يؤمن بالإنسان وقيمته فسعى لتطويره وتقديمه للأفضل والأحسن والأجمل[2]، وهذا واضح جلي في خطبته الشقشقية التي استخدم بها ما يخدم الإنسانية في عملية البناء والتطور في صيغة الخطبة الاحتجاجية التي قال فيها عبارات تؤكد ما يحتج به لصالح الإسلام ويفند ما حدث خلاف أوامر الله تعالى، فمثلاً احتجاجه بأنه تتقمصها، أي ((جعلها كالقميص مشتملة عليه والضمير للخلافة))[3]، ويعطيها أهل اللغة معاني أخرى تمتاز بالتقبيح مثلا ما جاء في أساس البلاغة، وقمص البحر بالسفينة: حركها بأمواجه كأنها تقمص. وقمّصت الناقة بالرّديف: مضت به نشيطةً، يقال للقلق: أخذه القماص إنه لقموص الحنجرة أي كذّاب[4]، فإضافة إلى كونها قصت كالقميص فهي عبارة عن ريح في بحر تحرك السفينة، أي انه في بحر تحركه الريح اينما شاء وهو في اضطراب مستمر لانه ليس أهلا لقيادة السفينة ويعني الأمة، وإن كان معناها -أي الخلافة- كالناقة التي حملت من لايعرف القيادة لها وحملته بعيدا وأينما شاءت، وان كان معناها أنه تقمصها بقلق فهو القلق الذي رافق كل دواعيه في مخالفة

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١ / ١٥١.

(٢) ظ: ملامح من عبقرية الإمام (عليه السلام)، د. مهدي محبوبه: ١٣١.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١/ ١٥٢. من بلاغة الإمام علي، عادل الاسدي: ٩٣.

(٤) اساس البلاغة، الزمخشري: ٣٩٠.

أوامر الله ورسوله وشدة الجريمة التي اقترفت بحق الأمة، واما معناها الكذاب، فان تقمصها اي احتال عليها كذبا وزوراً، اما قوله (عليه السلام)ابن ابي قحافة استخفافا به لتاريخه مع اليهود، اي انه (عليه السلام) احقه منه بها[١]، وهنا ينتهي الاحتجاج الاول الخاص بان ابي قحافة، اما الاحتجاج الثاني فهو الخاص به (عليه السلام) ((**وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنْ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ اَلْقُطْبِ مِنَ اَلرَّحَى يَنْحَدِرُ عَنِّي اَلسَّيْلُ وَلاَ يَرْقَى إِلَيَّ اَلطَّيْرُ**))[٢]، اي انه (عليه السلام) كما شهد له رسول الله (صلى الله عليه وآله) بما يستحقه (عليه السلام) في حياته بالعلمية والقربى منه والوصية به[٣]، وقد شبه نفسه بتشبيهين الاول قوله (عليه السلام) ((**أَنْ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ اَلْقُطْبِ مِنَ اَلرَّحَى**))[٤]، ويعني انه (عليه السلام) ((قطب الرحا مسمارها الذي عليه تدور، فكما أن الرحى لا تدور إلا على القطب وبغيره لا يستقيم لها دوران، فكذلك الخلافة محله منها محل القطب من الرحى: لا تستقيم حركتها ولا تأخذ استقامتها بغيره، وهو وحده القادر على تدبير شؤونها وإدارتها حسب المصلحة العامة ووفق الخطة الإلهية الحكيمة))[٥]، وفي قوله (عليه السلام) اشارات ادبية بها معان تفيد الاحتجاج في تنمية بيان الحق المغتصب[٦] وهذه الاشارات تتمثل بتشبيه المعقول للمعقول وهو انه أعدل الناس وأثبتهم على جادة الحق، بحيث يجب الرجوع اليه في الرعاية السياسية للأمة، اذ ان القطب يدل على انه اعدل واقوم ما يكون في

(١) ظ: شرح نهج البلاغة، قاسم الحائري: ٩٣. نهج البلاغة فوق الشبهات، احمد سلمان: ٢٦٣. الإمام علي بن ابي طالب السيرة الذاتية والاجتماعية، زهير الاعرجي: ٥٧٠.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١ / ١٥١.

(٣) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ١/ ٨٤.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١ / ١٥١.

(٥) الاحتجاج، الطبرسي: ٢٨٣.

(٦) ظ: نهج البلاغة فوق الشبهات، احمد سلمان: ٢٦٤

الرحى لأن دورانه مهما كثر فإنه يسير بالاتجاه نفسه وعلى مسافة واحدة من مركز الرحى وهو وجه التشبيه في مثاله (عليه السلام)، وفي الوقت نفسه انه استخدم التشبيه المحسوس بالمحسوس، بمعنى ان القطب يراعي نظام دوران الرحى[١]، والثاني قوله (عليه السلام) ((**يَنْحَدِرُ عَنِّي اَلسَّيْلُ ولاَ يَرْقَى إِلَيَّ اَلطَّيْرُ**))[٢]، الذي يعني نفسه المطهرة التي شبهها بالجبل المرتفع بل ذروة ارتفاعه الذي ينحدر منه السيل إلى الوديان [٣]، أي إنه العالم المفيض على من تحته من الناس، لايقدم على الذنوب، اي انه امام معصوم،[٤] وهو من قوله تعالى ﴿**أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا**﴾[٥]، ويبدو أن الجبل هو قمة الارض وانحدار السيل منه لما يحمل من معان منها السرعة مع نقاء النازل منه اي نقاء المياه التي تنزل منه، وهما صفتان، انها نزلت بقوة من الأعلى إلى الأسفل، وإنها تمتاز بالنقاء لانه (عليه السلام) تلميذ النبي الأكرم وصفيه المقرب وربيبه المهذب. أما قوله (عليه السلام) ((**فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً وطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً وطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ يَهْرَمُ فِيهَا اَلْكَبِيرُ وَيَشِيبُ فِيهَا اَلصَّغِيرُ وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ، فَرَأَيْتُ أَنَّ اَلصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى فَصَبَرْتُ وفِي اَلْعَيْنِ قَذًى وفِي اَلْحَلْقِ شَجًا**))[٦]، اي أرخيت يقول ضربت بيني وبينها حجابا فعل الزاهد فيها الراغب عنها وطويت عنها كشحا أي قطعتها وصرمتها، اي أن من

(١) ظ: من بلاغة الإمام علي في نهج البلاغة، عادل الأسدي: ٩٣. ٩٤.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١ / ١٥١.

(٣) ظ: شرح نهج البلاغة برواية الخلافة، قاسم الحائري: ٩٣.

(٤) ظ: من بلاغة الإمام علي في نهج البلاغة، عادل الاسدي: ٩٥.

(٥) الرعد / ١٧.

(٦) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١ / ١٥١.

أجاع نفسه فقد طوى كشحه، كما أن من أكل وشبع فقد ملأ كشحه، فكأنه أراد أني أجعت نفسي عنها ولم ألقمها واليد الجذاء بمعنى المقطوعة والطخية قطعة من الغيم والسحاب وقوله عمياء تأكيد لظلام الحال واسودادها يقولون مفازة عمياء أي يعمى فيها الدليل ويكدح يسعى ويكد مع مشقة[١]، قال تعالى ﴿**إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً**﴾[٢]، ويقول الشيخ الطبرسي إن ما قصده الإمام (عليه السلام) هو ((جعلت أدير الفكر وأجيله في أمر الخلافة، وأردده في طرفي نقيض إما أن أشهر السيف وأصول على الغاصبين للخلافة، والمعتدين على حقي، أو أترك وأصبر، وفي كلا الحالين خطر، فإما القيام والثورة فبيد مقطوعة من غير ناصر ولا معين، وإما الثاني فَلِما يؤول إليه الحال: من اختلاط الأمور، وعدم انتظام الحياة، والتمييز بين الحق والباطل، فكما أن الظلمة والعمى لا يهتدي معهما للتمييز بين الأشياء، فكذلك اضطراب الهيئة الاجتماعية،وتشابك المشاكل وازدحامها لا يهتدي معه لوجه الحق))[٣]، والخلاصة الاحتجاج في هذا المقطع من الخطبة الشقشقية هو انه (عليه السلام) ملتصق بالخلافة التصاق القميص إلى الجسد فلايمكن خلع يده عنها وهو كناية على حرصه عليها لاقامة حدود الله وشرعه، والدليل تشبيه لبس القميص دون سائر الألبسة كالعمامة والرداء وأمثالها، لان القميص أقرب إلى الجسم وانفعها إليه، وهو ما ينمي أن الإمام هو الأحقّ بها من غيره والشيء الآخر اشار بأداة التنبية (أما) واردفها بـ (تقمصها)، اشارة إلى أن هذا القميص ليس له، أي لابن أبي قحافة، والشيء الآخر الذي أراد أن ينمي

(١) ظ: م - ن: ١ / ١٥٢. شرح نهج البلاغة برواية الخلافة: ٩٤. نهج البلاغة فوق الشبهات، احمد سلمان: ٢٦٥.

(٢) الانشقاق / ٦.

(٣) الاحتجاج، الطبرسي: ٢٨٣. نهج البلاغة فوق الشبهات، احمد سلمان: ٢٦٥

الفكرة ويرسخها في نفوس السامعين ليس لجيل بل لأجيال متعاقبة بعده هو انه استخدم الكناية لأنها أبلغ من التصريح، واستخدم القسم واستخدم كلمة (قد) وهي نفيد التحقيق، واستخدمها حتى لا يشك شاك[١]، وهي اشارة على أحقيته بالخلافة دون غيره.

ويمضي الإمام (عليه السلام) باحتجاجه بقوله: ((**حَتَّى مَضَى اَلْأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ فَأَدْلَى بِهَا إِلَى فُلَانٍ (اِبْنِ اَلْخَطَّابِ) بَعْدَهُ ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ اَلْأَعْشَى إِلَى اِبْنِ اَلْخَطَّابِ**

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا ويَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ[٢]

فَيَا عَجَباً بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا لِآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا، فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ يَغْلُظُ كَلْمُهَا ويَخْشُنُ مَسُّهَا ويَكْثُرُ اَلْعِثَارُ فِيهَا واَلِاعْتِذَارُ مِنْهَا، فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ اَلصَّعْبَةِ إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ وإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ، فَمُنِيَ اَلنَّاسُ لَعَمْرُ اللهِ بِخَبْطٍ وشِمَاسٍ وتَلَوُّنٍ واِعْتِرَاضٍ، فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ اَلْمُدَّةِ وشِدَّةِ اَلْمِحْنَةِ))[٣].

يستمر الامام بعرض اوراق الاحتجاج الذي يخص الصالح العام للمسلمين بحقهم المفروض وهو خلافتهم بشرع الله وأوامره تعالى، فيصف ذهاب الاول الذي لم يكن راضيًا عنه[٤] بعبارة مضى لسبيله اي مات والسبيل الطريق وتقديره مضى على سبيله، فدفع بالخلافة إلى عمر وشبهها برمي الدلو في البئر كالرشوة، وقد قال

(١) ظ: من بلاغة الإمام علي في نهج البلاغة، عادل الأسدي: ٩٢.

(٢) ديوان الأعشى، ميمون بن جندل: ١٠٤. (حيان وأخو جابر من سادات بني حنيفة، كان احدهما يصله كسرى والأخر لايصله وكان الاول في رفاهية، وكان الأعشى ينادمه - ظ: شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١ / ١٦٧).

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١/ ١٦٢، ١٦٣.

(٤) ظ: نهج البلاغة فوق الشبهات، احمد سلمان: ٢٦٥.

المؤرخون: كان عمر أول من بايع أبا بكر، فحفظها له [١]، ولقد ذكر الامام بيتًا شعريًا للأعشى والتمثل ببيت الشعر له دلالة هي انه لما كان مع رسول الله يختلف عن اليوم الذي قبض فيه (صلى الله عليه وآله)، من حيث صحبة الرسول التي تجبر ما بعدها من اي صحبة اخرى، ومن حيث أحوال الإمام وهو مع رسول الله ويوم رحيله للرفيق الأعلى[٢]، وقيل أن يومي تسلم الخلافة للأول والثاني مختلفان، فالأول يوم خلافته يوم مضطرب، وكان أمير المؤمنين مشغولًا بتجهيز النبي (صلى الله عليه وآله) والاول واصحابه كانوا مجتمعين لاغتنام فرصة الانقضاض على السلطة، والثاني قد كان مرتبًا له وممهدة أركانه[٣]، وشبه الإمام علي (عليه السلام) الخلافة بالناقة الحلوب التي تشطر الحليب من الضرعين وقد تشاطر الاول والثاني من نفع الخلافة، فقد استلمها الثاني وقد اشتهر بأنه معروف بالغلظة[٤]، وهو تنمية للعقل الباطن الذ يختزن قول الله تعالى بضرورة ان يكون الخلق العام لمن يتولى امور المسلمين يمتاز بالسماحة والبساطة والتواضع وضرورة اجتناب الغلظة التي حذر منها الله تعالى بقوله ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ**﴾[٥]، والغليظ هنا كما جاء في مجمع البيان أي ((قاسي الفؤاد غير ذي رحمة ولا رأفة))[٦]، وتعد الغلظة من أشد الأخلاق الممنوعة في حكومة الإمام علي (عليه السلام) في أيام حكمه

(١) ظ: شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١/ ١٦٢، ١٦٣. في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ١/ ٨٨. نهج البلاغة فوق الشبهات، احمد سلمان: ٢٦٩.

(٢) ظ: من بلاغة الإمام علي في نهج البلاغة، عادل الاسدي: ١٠٠.

(٣) شرح نهج البلاغة، قاسم الحائري: ٩٥.

(٤) - ظ: شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١ / ١٧٠. في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ١/ ٨٨.

(٥) آل عمران، ١٥٩.

(٦) مجمع البيان، الطبرسي: ٢/ ٣٨٢.

وقد أرسل لأحد عماله يمنعه منها ((**أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ دَهَاقِينَ أَهْلِ بَلَدِكَ شَكَوْا مِنْكَ غِلْظَةً وقَسْوَةً واِحْتِقَاراً وجَفْوَةً**))[١]، هكذا كان يتصرف الإمام علي (عليه السلام) مع عماله، فيبدو من باب اولى ان تكون هذه الخصلة من موجبات نقض الخلافة لمن كانت عنده صفة مشهورة، وقد ذكر ابن ابي الحديد ما يؤكد صفة الغلظة عند عمر بشكل صريح على لسان الصحابة [٢]، وكذلك ذكرت الغلظة عنده في صحيح البخاري بشكل صريح [٣]، ومن شديد الجفاوة والغلظة في الكلام عنده عبر عنها الإمام ((**حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ يَغْلُظُ كَلْمُهَا ويَخْشُنُ مَسُّهَا ويَكْثُرُ اَلْعِثَارُ فِيهَا واَلِاعْتِذَارُ مِنْهَا، فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ اَلصَّعْبَةِ إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ وإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ، فَمُنِيَ اَلنَّاسُ لَعَمْرُ اللهِ بِخَبْطٍ وشِمَاسٍ وتَلَوُّنٍ وَاِعْتِرَاضٍ فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ اَلْمُدَّةِ وشِدَّةِ اَلْمِحْنَةِ**))[٤].

اي غليظ ويؤذي الناس وكان كثير الأخطاء ولهذا كثر اعتذاره، ولهذا هو كمن ركب الصعبة اما يخرم انفها بسبب الغلظة والشدة او يقتحم بها اي يترك ما شاهد من الأفعال القبيحة دون دور يعتد به[٥]، ويمضي الإمام قوله: ((**حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا فِي سِتَّةٍ جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ، فَيَا للهِ ولِلشُّورَى مَتَى اِعْتَرَضَ اَلرَّيْبُ فِيَّ مَعَ اَلْأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هَذِهِ اَلنَّظَائِرِ، لَكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسَفُّوا وطِرْتُ إِذْ طَارُوا، فَصَغَا رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ ومَالَ اَلْآخَرُ لِصِهْرِهِ مَعَ هَنٍ وهَنٍ**))[٦]

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٥/ ١٣٧.

(٢) - ظ: شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١/ ١٧٣. نهج البلاغة فوق الشبهات، احمد سلمان: ٢٧٠.

(٣) صحيح البخاري، البخاري: ٤ / ١٢٦.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١/ ١٦٢، ١٦٣.

(٥) ظ: من بلاغة الإمام علي في نهج البلاغة، عادل الاسدي:١٠٢.

(٦) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١/ ١٨٤.

إن هذا النص يبين بشكل واضح الحقبة التي كانت فيها نهاية عمر، والتي يذكرها الإمام علي (عليه السلام) ويرويها صاحب كتاب في ظلال نهج البلاغة بقوله ((لما طعن أبو لؤلؤة عمر، وعلم انه ميت دعا عليا وعثمان وطلحة والزبير وسعدا وعبد الرحمن بن عوف، وقال: مات رسول الله، وهو راض عن هؤلاء، وقد رأيت أن أجعلها شورى بينهم، ثم قال لمن يعتمد عليه: إن اجتمع علي وعثمان فالقول ما قالاه، وان صاروا ثلاثة وثلاثة فالقول للذين فيهم عبد الرحمن ابن عوف لعلمه أن عليا وعثمان لا يجتمعان، وأن ابن عوف لا يعدل بالأمر عن عثمان لأن ابن عوف صهره وزوج أخته، ثم أمر عمر أن تضرب أعناق الستة ان امتنعوا عن تنفيذ أمره))[١]. وهذا البيان لا يحتاج لتفسير، الا ان الشيء المهم فيه ان الإمام عليًا (عليه السلام) يصرح برفضه للشورى، ويبين انها عبارة عن خديعة، ومؤامرة عظمى، أريد بها إقصاؤه عن الخلافة[٢]، وهو ما رواه الطبري في تاريخه وهو قول الإمام محتجاً عليهم ((ليس هذا أول يوم ظاهرتم علينا، ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾[٣]))[٤]، ونلاحظ أن الأمام (عليه السلام) استخدم الشاهد القرآني، لأنه الامتداد الحقيقي لخط الرسالة والأفهم بنصوص القرآن الكريم، والذي استخدمه في عملية التنمية الفكرية للأمة بالمطالبة بحقه في استعراض حججه على الأمة وعلى خصومه وهذا مهم جداً ((في اسكات الخصم وقدرة على بيان الشبهة بما لايدع مجال لمريب))[٥]، في عملية التشخيص الدقيق

(١) في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ١ / ٩١.

(٢) ظ: نهج البلاغة فوق الشبهات، احمد سلمان: ٢٧٧.

(٣) يوسف / ١٨.

(٤) تاريخ الطبري، الطبري: ٣ / ٢٩٧.

(٥) الأثر القرآني في نهج البلاغة، د. عباس الفحّام: ٤٧٥.

لمثالب الذين سبقوه مع علم الجميع بها والذي يعتبر عصف ذهني لتراث قد وافقت عليه الأمة، ومع كل ذلك فان مراجعة التاريخ فيه عبر يمكن للإنسان ان يستفيد منها في تدارك عقبات الحياة التي وقعت في الماضي، عن طريق الوعي الذي يريد الإمام (عليه السلام) أن يبثه في نفوس الأمة، وما هذه الخطبة إلا بيان واضح جداً بأحقيته بما شرعه الله تعالى في ولاية الأمر للأمة، ثم يكمل الإمام خطبته، بعرض اخر وهو قريب الفكرة من ما تقدم، اي ان جميع الخطبة ستقرر ما اثبته الامام باحقيته بالخلافه من الاول وأهليته لها مقابل الثاني وكذلك الثالث وذكر فيه ما يثنيه عن تسلم قيادة الأمة، وقد عرض السبب الحقيقي لهلاك الأمة واسباب حدوث هذه النكبات وهي قوله (عليه السلام) نهاية الخطبة: ((**وَلَكِنَّهُمْ حَلِيَتِ اَلدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ وَرَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا**))[1] وقد قال ابن ابي الحديد في حديث ما معناه بيان معنى كلامه (عليه السلام)، بعد التعثر الذي مرت به الأمة، ورجوع الناس اليه، وقيام المعارضة ضده والسبب بكل الدمار الذي حل بالمسلمين هو ان الدنيا حليت في أعينهم[2]، والمهم من الاحتجاج انه كان له مميزات خاصة منها، ان احتجاجه (عليه السلام) غير خاص بمدة تاريخية او حاضر عاشه بل تتعداه، لأن ما عرضه محط انظار كل المسلمين بسبب ماظهر في الأمة من آثار نتيجة لتلك الأحداث، فعرض الإمام كل ما تحتاجه الأمة لتمييز الحق عن الباطل من لسانه (عليه السلام)، فعرض احقيته بما شرع الله تعالى اليه وهي الخلافة من بعد النبي (صلى الله عليه وآله) والتوضيح لجوهر الذين تولوا الخلافة، وصفاتهم الحقيقية، وبين الحجج في أحقيته بالخلافة من بعد النبي ص، وهذا ينفع الأمة من حيث تنمية المعرفة بحقائق التاريخ، ورسم الطريق لمن أراد أن يتبع الحق من المسلمين

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١/ ٢٠٠.

(٢) م.ن: ١/ ٢٠١. ظ: نهج البلاغة فوق الشبهات، احمد سلمان:٢٨٥.

عبر الأجيال المتعاقبة، وثلاثها أراد ان تكون الأمة على خط واحد رسمه الله تعالى وهو طريق الحق، والصلاح الذي مابعده شقاء.

٢. إحتجاجه في مجلس الشورى

قال الإمام علي (عليه السلام): ((**لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ بِهَا مِنْ غَيْرِي ووَاللهِ لَأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ اَلْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلاَّ عَلَيَّ خَاصَّةً اِلْتِمَاساً لِأَجْرِ ذَلِكَ وَفَضْلِهِ وَزُهْداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِبْرِجِهِ**))[١].

لقد احتج الإمام علي (عليه السلام) في مجلس الشورى لما عزموا على بيعة عثمان وبين بها احقيته بأمر الخلافة من غيره وهي من اشد النصوص وضوحًا وصراحةً، وهو على حد تعبير ابن ابي الحديد ((إنكم تعلمون أني أحق بالخلافة من غيري وتعدلون عني، ثم أقسم ليسلمن وليتركن المخالفة لهم إذا كان في تسليمه ونزوله عن حقه سلامة أمور المسلمين ولم يكن الجور والحيف إلا عليه خاصة وهذا كلام مثله (عليه السلام) لأنه إذا علم أو غلب على ظنه أنه إن نازع وحارب دخل على الإسلام وهن وثلم لم يختر له المنازعة، وإن كان يطلب بالمنازعة ما هو حق وإن علم أو غلب على ظنه بالإمساك عن طلب حقه إنما يدخل الثلم والوهن عليه خاصة ويسلم الإسلام من الفتنة وجب عليه أن يغضي ويصبر على ما أتوا إليه من أخذ حقه وكف يده حراسة للإسلام من الفتنة))[٢]، وبهذا النص يمكن ملاحظة امور، حرصه على تنمية روح الوحدة الإسلامية رغم الخلافات الداخلية ولو كانت جوهرية، والحفاظ على الأرواح التي يمكن ان تهدر وهي الموارد البشرية، والحفاظ على وجودهم في بلاد تحمل سمته السلام والاطمئنان،

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٥ / ١٦٦.

(٢) م - ن: ٥ / ١٦٦، ١٦٧. علي والرعية، طلال الحكيم: ٧٨.

وايضاً تنمية حق الأمة في الاختيار، فهو يقرر عدم إكراه الناس في اختياراتهم ان اجتمعت كلمتهم على امر عام ولو كان عقائديًا، وأراد أن يعبر عن وجوده المهم في الأمة، بالحفاظ على معتقداتهم الأصل التي جاء بها الإسلام، وانه سيكون مسالماً، وهي عملية حراسة الشريعة والوقوف ضد الشبهات، وهذا يشكل عملًا تنمويًا يعمل على الحفاظ على كيان الأمة في كل الاتجاهات، والمتمثل بوجوده، وأراد باحتجاجه أن يزيح مجموعة شبهات منها قبوله بأمور الشورى او الخلافة على طريقة قريش ويزيح شبهة تخليه عن الأمة وحراستها وكل هذا الاهتمام يأتي من عمق الفكر وغزارة العلم ومستوى الحكمة العالي والكياسة والفطنة التي ندر أن توجد بهذا القدر في شخص كريم كعلي (عليه السلام) على طول تاريخ البشرية، فهو تلميذ السماء في مدرس الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله).

٣. الاحتجاج في الاختلاف عن النبي (صلى الله عليه وآله) لا فيه.

كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الأمة الإسلامية مصدر الرحمة التي نزلت من السماء، فهو مؤسس الدولة الإسلامية ككيان قائم بشرع الله تعالى، وقد عمل الكثير حتى اصبحت شبه الجزيرة العربية مكانًا للمسلمين بعد ان كانت معقلًا لعبادة الأوثان، ولابد للأمة ان تتمسك برسولها، وقد ورد سؤال من اليهود في محاججة الإمام علي (عليه السلام)، وهو كيف ان الأمة التي تلتف حول النبي تختلف بعد وفاته، وهذا ما ورد في نهج البلاغة:

((مَا دَفَنْتُمْ نَبِيَّكُمْ حَتَّى اِخْتَلَفْتُمْ فِيهِ؟ فَقَالَ (عليه السلام) لَهُ: إِنَّمَا اِخْتَلَفْنَا عَنْهُ لاَ فِيهِ وَلَكِنَّكُمْ مَا جَفَّتْ أَرْجُلُكُمْ مِنَ اَلْبَحْرِ حَتَّى قُلْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ ﴿اِجْعَلْ لَنَا إِلهاً

كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[١]))[٢].

يقف ابن ابي الحديد مندهشاً امام رد الإمام علي (عليه السلام)في احتجاجه لأنه اجاب بأبسط العبارات ذات المعاني الكبيرة ومصحوبة بترجيح العقل ومستخدماً التاريخ، مزجها بسرعة البديهة وقوة الشخصية التي تمثل الإسلام، وهو قوله رحمه الله ((ما أحسن قوله اختلفنا عنه لا فيه وذلك لأن الاختلاف لم يكن في التوحيد والنبوة، بل في فروع خارجة عن ذلك نحو الإمامة والميراث والخلاف في الزكاة هل هي واجبة أم لا، واليهود لم يختلفوا كذلك بل في التوحيد الذي هو الأصل))[٣]. والذي يعني انه لا يختلف اثنان من المسلمين في أن الله واحد، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن الله يبعث من في القبور، ولكن الاختلاف في النقل عن النبي لا في نبوته[٤]، ولقد استخدم الإمام علي (عليه السلام)ادق العبارات التي تختص بتاريخ اليهود بمحاججته، فقد كنى الإمام سرعة الكفر بنعمة الله تعالى وهي الإنقاذ بالمعجزة التي قام بها موسى (عليه السلام)بضرب البحر وانفلاقه ونجاتهم من فرعون وجنوده، ومع ما رأوه من النعم هذه فقد طلبوا من موسى ان يجعل لهم رباً يعبدونه[٥]، وهو تعبيره (عليه السلام)((ما جفت أرجلكم)) لذلك اختار الإمام (عليه السلام) شاهدا يبين جهلهم وضلالهم، ووصفهم بالجهل لأنهم طلبوا رباً، ولأن العبادة لا تليق إلا بالله تعالى مصدر الانعام[٦]، وهذا الاحتجاج

(١) الأعراف / ١٣٨.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١٩ / ٢٢٥.

(٣) م - ن: ١٩/ ٢٢٥.

(٤) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٤/ ٤٠٦.

(٥) ظ: الكشاف، الزمخشري: ٢/ ١٥٠.

(٦) ظ: الأثر القرآني في نهج البلاغة،د. عباس الفحّام: ٤٥٧.

يساعد في تنمية العقيدة الإسلامية من حيث ان الاختلاف ليس بما جاء به النبي (صلى الله عليه وآله) من توحيد الله وأوامره بل الاختلاف بالفهم لما صدر منه (صلى الله عليه وآله)، وان ثبات المسلمين على معتقدهم هو أكثر عمق وقوة من الديانة اليهودية التي يطلب أتباعها ربا غير الله من نبي اراهم المعجزة بإنقاذهم بمعجزة خارقة للطبيعة، وساعد في عملية التنمية العقلية للمسلمين عن طريق التنمية بإحياء التاريخ للاستفادة منه في الحاضر والمستقبل في مواجهة الانحرافات والتحديات من المشككين والضالين، واستخدم القرآن الكريم في عملية التنمية، دلالة على حضور القرآن المتميز في ايضاح الحجج والبراهين للسائلين وكل هذه تساهم في دعم الاطمئنان النفسي للمسلمين وتساعد في عملية تنمية الفكر للقراءة والاعتبار من القرآن الكريم او التاريخ القديم، بالاطلاع وتحريك الفكر في عملية استقراء الأحداث وتفسيرها والستثمار الأمثل لها.

٤. المحاججة مع المقاتلين

يبدو إن الاستثمار في عملية التنمية البشرية كان حاضرًا في كل ميادين الخطابة وخاصة الحربية منها، وقد تميزت انها تستخدم لإثارة روح القتال والاستبسال في سوح القتال ضد الأعداء، ومن الجدير بالذكر ان الفتن قد عصفت بحياة المسلمين منذ بدأ الإمام علي (عليه السلام) تولي الخلافة، ولهذا كثر الكلام فيها للدعوة للجهاد في سبيل الله تعالى[1]، ومن امثلته ما استخدمه الإمام علي (عليه السلام) من مشهد حواري على شكل محاججة يبين فيها واقع الحال ولسان جيشه من جهة ولسان حال اعدائه من جهة اخرى، في قباله (عليه السلام)ومن تمسكوا بمبادئه (عليه السلام)من خلّص انصاره، وهو قوله:

(١) ظ: م - ن: ٤٠٩.

((إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ اَلْحَرِّ قُلْتُمْ هَذِهِ حَمَارَّةُ اَلْقَيْظِ أَمْهِلْنَا يُسَبَّخْ عَنَّا اَلْحَرُّ وإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي اَلشِّتَاءِ قُلْتُمْ هَذِهِ صَبَارَّةُ اَلْقُرِّ أَمْهِلْنَا يَنْسَلِخْ عَنَّا اَلْبَرْدُ، كُلُّ هَذَا فِرَاراً مِنَ اَلْحَرِّ واَلْقُرِّ، فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ اَلْحَرِّ واَلْقُرِّ تَفِرُّونَ فَأَنْتُمْ والله مِنَ اَلسَّيْفِ أَفَرُّ يَا أَشْبَاهَ اَلرِّجَالِ ولاَ رِجَالَ، حُلُومُ اَلْأَطْفَالِ وعُقُولُ رَبَّاتِ اَلْحِجَالِ لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَكُمْ ولَمْ أَعْرِفْكُمْ مَعْرِفَةً، والله جَرَّتْ نَدَماً وأَعْقَبَتْ سَدَماً، قَاتَلَكُمُ اللهُ لَقَدْ مَلأْتُمْ قَلْبِي قَيْحاً وشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظاً وجَرَّعْتُمُونِي نُغَبَ اَلتَّهْمَامِ أَنْفَاساً وأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعِصْيَانِ واَلْخِذْلاَنِ حَتَّى لَقَدْ قَالَتْ قُرَيْشٌ إِنَّ اِبْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شُجَاعٌ ولَكِنْ لاَ عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ، لله أَبُوهُمْ وهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاساً وأَقْدَمُ فِيهَا مُقَاماً مِنِّي، لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا ومَا بَلَغْتُ اَلْعِشْرِينَ وهَا أَنَا ذَا قَدْ ذَرَّفْتُ عَلَى اَلسِّتِّينَ ولَكِنْ لاَ رَأْيَ لِمَنْ لاَ يُطَاعُ))[1].

إن المتأمل لهذه الخطبة يجد فيها المحاججة على قسمين، القسم الاول بينه وبين جيشه المتكاسل، والهدف إزاحة الكسل والتثاقل من الحروب، دفاعا عن الإسلام، وهو ما قاله (عليه إسلام) في مجادلته معهم ((إذا قلت لكم اغزوهم في الشتاء قلتم هذا أوان قر وصر وإن قلت لكم اغزوهم في الصيف قلتم هذه حمارة القيظ أنظرنا ينصرم عنا الحر))[2]، بمعنى انهم يعتذرون من الجهاد بحجة البرد والحر، فهم في عقولهم كالطفل الذي خيّل اليه انه شاب قد احتلم وأدرك البلوغ، أو انهم مثل الطفل في أحلامه وأمانيه الكاذبة. على ان من أحلام الأطفال ما هو ممتع ونبيل وواقع أيضا، ولا شيء في أحلام من وصفه الإمام إلا الفقر والفاقة (وعقول ربات الحجال) في الحرب والاستعداد لها[3]. فتكون عملية

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٢/ ٧٤.

(٢) م.ن: ١/ ٧٥.

(٣) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ١ / ١٩١. من بلاغة الإمام علي في نهج البلاغة،

التنمية بهذه المحاججة من عدة جوانب، منها تنمية روح العزيمة لدى المقاتلين من خلال الكشف عن حقيقة مايريدون وهو عدم القتال، وفي العرف العربي ان صاحب الحق لابد من ان يأخذ ثأره ولا يتهاون او يتثاقل عن أخذه، ومن جهة ثانية ان في ايضاح حالة المقاتلين الذين معه يدفع من لم يلتحق معه نصرة للإسلام وللدين باعتبار انه (عليه السلام) الممثل الحقيقي له والمدافع عنه، ومن جهة ثالثة استخدم المحاججة في عملية رفع الشبهة عنه من حيث الحرص لديه على الاهداف الإسلامية التي تتوقف على الجهاد كاسترداد الحقوق وغيرها، فربما عدم الإيضاح يجعله في دائرة الاتهام بالتهاون، فبين مكان التهاون في الجيش لا فيه، وهذا الجانب لايتوقف بزمان بل لبيان حقيقة المجتمع الذي يعيشه الإمام علي (عليه السلام) للأجيال التي تأتي من بعدهم للاستفادة من مامرت به الأمة، وآثار الحروب والتقاعس عنها، وكل هذه اهداف تنموية تصب بخدمة الإنسانية عن طريق احقاق الحق الذي امر به الله تعالى، والتي تمتاز بكونها أهدافًا إنسانية حضارية تهدف لتطوير وتقدم المجتمعات الإنسانية ومحاربة ائمة الكفر والضلال ودعاة التخلف والانحلال.

اما المقطع الثاني وهو ما قاله (عليه السلام): ((**حَتَّى لَقَدْ قَالَتْ قُرَيْشٌ إِنَّ اِبْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شُجَاعٌ ولَكِنْ لاَ عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ، لله أَبُوهُمْ وهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاساً وأَقْدَمُ فِيهَا مُقَاماً مِنِّي، لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا ومَا بَلَغْتُ اَلْعِشْرِينَ، وهَا أَنَا ذَا قَدْ ذَرَّفْتُ عَلَى اَلسِّتِّينَ ولَكِنْ لاَ رَأْيَ لِمَنْ لاَ يُطَاعُ**)).

لقد زعم بعض الناس في تلك الحقبة بأن معاوية له علم بالحرب لأنه أعطى مصر طعمة لابن العاص، وألف جيشا من المرتزقة يحسنون النهب والسلب،

عادل الاسدي: ١٧٨. شرح نهج البلاغة، قاسم الحائري: ٢٠٥.

والترهيب والترغيب، والحرب والقتل والغدر والاغتيال، ويتعطشون لدماء الشيوخ والنساء والأطفال،أما علي فلا علم له بالحرب كما يزعمون، لأنه يكرهها، ولا يخوضها إلا دفاعا عن الحق والعدل، وعلي (عليه السلام)مارس الحرب وخاضها مرات منذ الصغر حتى الكبر، فهو أعلم الناس بها وبمواقعها، ومتى يجب أن تعلن وحرصا على النظام والأمن، ولا يجعلها وسيلة لتمجيده وشهرته، ولا أداة لمنفعته وسيطرته. وقوله ((ولكن لا رأي لمن لا يطاع)). يقصد رفع معاوية المصاحف، فقال الإمام: لا تصدّقوا.. انها مكيدة. فأبوا إلا الكف عن القتال، ثم اختاروا للتحكيم أبا موسى الأشعري، فقال الإمام: لا، فأبوا عليه إلا الأشعري، وبعد أن دارت عليهم الدائرة عرفوا واعترفوا بأنهم لو أطاعوا الإمام لكان لهم النصر والظفر، ولعدوهم الهزيمة والفشل[1]، ان هذا النص يحوي افكار تنموية قد انعش بها فكر المتدبر، ومنها ان قريش بامكانها ان تفتري عليه، بان تقول فيه ما ليس من سماته الحقيقية، فهي تظهر شيء قد عرف به وتغطي وتشوش على الأمة بانه ليس سياس للامة، فبين سبب التقول عليه وهو انه مطيع لله في شرعه، متبع للنبي في سنته، قد اخذ بسياسة العدل والانصاف، وعدم الحب لقتال، ذريعة بانه ليس للسياسة اهل، وهو اشارة إلى ان قريش قد مدحت صفاتهم الجاهلة المتمثلة بالنهب والاحتيال على القوافل وقطع الطرق التي كانوا قد امتازوا بها وهو لعب على وتر قديم لكنه يناغم النفسية التي كانت تعتبر العمل عار واكل السرقات جميل، وهي عملية تنمية للعقل اللاواعي بان قريش تحب أو تحن لأيام الجاهلية والمعاداة للمبادئ التي اعلنها النبي في بداية الدعوة، وهي تنمية الذوق بأنه على

(١) ظ: شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١/ ٨٠. في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ١/ ١٩٢. ١٩٣. من بلاغة الإمام علي في نهج البلاغة، عادل الاسدي: ١٨٠. شرح نهج البلاغة، قاسم الحائري: ٢٠٨.

جادة النبي (صلى الله عليه وآله) وهم على جادة اعداء النبي (صلى الله عليه وآله)، وكلها أساليب تنمي السامع عن إمكانيته العسكرية لأنه قد خاض الحروب من صغره، أي ان لم يكن سياسًا للحرب فهو متعلم شهدت له سوح القتال التي كان فيها جميعا منتصرًا فكيف لايكون سياسيًا.

٥. المحاججة مع الأنصار

من كلام الإمام علي (عليه السلام)قالوا لما انتهت إلى امير المؤمنين (عليه السلام)انباء السقيفة، قال (عليه السلام): ما قالت الأنصار؟ قالوا: قالت منا امير ومنكم امير[١]، حينها قال (عليه السلام): ((**فَهَلاَّ اِحْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ الله (صلى الله عليه وآله) وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ وَيُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ؟ قَالُوا وَمَا فِي هَذَا مِنَ اَلْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ؟ فَقَالَ (عليه السلام) لَوْ كَانَ اَلْإِمَامَةُ فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ اَلْوَصِيَّةُ بِهِمْ، ثُمَّ قَالَ (عليه السلام) فَمَا ذَا قَالَتْ قُرَيْشٌ؟ قَالُوا اِحْتَجَّتْ بِأَنَّهَا شَجَرَةُ اَلرَّسُولِ (صلى الله عليه وآله) فَقَالَ احْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ وَأَضَاعُوا اَلثَّمَرَةَ**))[٢].

يذكر ابن ابي الحديد أن النبي المصطفى (صلى الله عليه وآله) قبل أن يلتحق بالرفيق الأعلى قد خطب ومدح الأنصار، وأنه قد قربهم إليه، ومدحهم، فكانت المحاججة للإمام (عليه السلام) لمن يقر بهذا القول، ومحاججة لهم، هل هم اقرب منه للنبي (صلى الله عليه وآله)؟ ولو كان (صلى الله عليه وآله) ممن يجعل الإمامة فيهم لأوصى إليهم ولم يوص بهم، ومن ثم تطل حجة كون الخلافة لهم. أما قول أمير المؤمنين احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة فكلام قد تكرر منه (عليه السلام) أمثاله نحو قوله (إذا احتج عليهم المهاجرون بالقرب من رسول

(١) ظ: اسلوب علي بن ابي طالب في الخطب الحربية، د. علي عمران: ٤٧٦.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٦ / ٢، ٣.

الله (صلى الله عليه وآله) كانت الحجة لنا على المهاجرين بذلك قائمة، فإن بطلت حجتهم كانت لنا دونهم وإلا فالأنصار على دعوتهم)، ونحو هذا المعنى قول العباس لأبي بكر (وأما قولك نحن شجرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فإنكم جيرانها ونحن أغصانها)[١]، أي الاغصان أهل البيت (عليه السلام)[٢]. يبدو ان التنمية التي أرادها الإمام علي (عليه السلام) هي بيان أن أهل البيت (عليهم السلام) هم وصية النبي (صلى الله عليه وآله) من عدة وجوه، فأما مورد احتجاج الأنصار، فإن النبي -مع فرض صحة الحديث- وصى بهم ولم يوصِ إليهم، وأما أن قريش تدعي بأن النبي وصى إليهم، دون الأنصار، فيكون إشكال آخر وهو أن قريشًا كثيرون، فهل ان كل قريش لهم الخلافة، لاسيما فيهم الصلح والطالح، وقد أشار الإمام إلى الثمرة وهي هم أهل البيت (عليه السلام)، وقد ذكر الإمام هذا المعنى وعلاقة الشجرة بالثمرة ((**حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةُ الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى إِلَى مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله) فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنْبِتاً وأَعَزِّ الْأَرُومَاتِ مَغْرِساً مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءَهُ وَانْتَجَبَ مِنْهَا أُمَنَاءَهُ، عِتْرَتُهُ خَيْرُ الْعِتَرِ وَأُسْرَتُهُ خَيْرُ الْأُسَرِ وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ، نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ وبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ وثَمَرٌ لَا يُنَالُ**))[٣]، والتي شرحها ابن ابي الحديد الذي يقول بأن الثمرة هم أهل البيت (عليهم السلام) وهو قوله ((وأفضت كرامة الله إلى محمد (صلى الله عليه وآله) أي انتهت والأرومات جمع أرومة وهي الأصل ويقال أروم بغير هاء وصدع شق وانتجب اصطفى والأسرة رهط الرجل. وقوله نبتت في حرم يجوز أن يعني به مكة ويجوز أن يعني به المنعة والعز. وبسقت طالت ومعنى قوله وثمر لا ينال ليس

(١) ظ: شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٦/ ٤، ٥.

(٢) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ١/ ٣٣٧.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٧ / ٦٢.

على أن يريد به أن ثمرها لا ينتفع به لأن ذلك ليس بمدح، بل يريد به أن ثمرها لا ينال قهرا ولا يجنى غصبا، ويجوز أن يريد بثمرها نفسه (عليه السلام) ومن يجري مجراه من أهل البيت (عليه السلام) لأنهم ثمرة تلك الشجرة))[1]، وقد أشار الإمام إلى أن ثمار الشجرة المحمدية تمتاز بالشرف والعلو حتى لا ينهب ثمره على حد تعبير التستري كل من اراد النهب منه، والمراد ان علوم النبي وكمالاته ليست عادية متعارفة حتى لا يدعي نيابة كل احد، وان الإمام أراد من التصوير بالشجرة أن جذوره ضاربة بجذور النبوة والتي ضاربت جذور النبوات.[2]

ومن ثم فإن محاججته (عليه السلام) تنمية للمجتمع الذي غفل عما بما جاءبه النبي بأنهم من وصى بهم لإدارة الخلافة بعده، وأن إدارتهم تعني الصلاح المستمر ونشر العدالة والمساواة بسبب قيادتهم للأمة لو جرت الأمور كما أمر النبي (صلى الله عليه وآله) في البناء المادي والمعنوي للأمة الإسلامية.

(١) م - ن: ٧ / ٦٣.

(٢) ظ: صورة النبي في نهج البلاغة، د. عباس الفحّام: ١٥ - ٢١.

المبحث الثالث

الشواهد العقلية المنطقية في نهج البلاغة

توطئة

أدرك الإمام علي (عليه السلام) العلم إدراك العالم الفاضل المجرب، فهو تلميذ النبوة الخاتمة والرسالة العالمية السمحاء، حتى جعل العلم من أولويات رسالته، التي تميزت بكثرة استخدامه للشواهد العقلية في أغلب الخطب التي جعلها الباحث محط تأمل في رحاب ابعاد تلك الشواهد التي استخدمها (عليه السلام)، إتماماً للحجج وإيضاحا للمفاهيم وتنويرا للغوامض، فيرفد الإمام (عليه السلام) الواضح بالقول الناصح ويحرك العقول التي انتابها شك التحير، ويعدل المثني والمعوج الضال بالشاهد المنطقي الراجح، فيكون قد ادى خُلق الله تعالى لما استرعاهم في عباده، أما شاكرا واما كفورا، فينجو المتبع لهديه، ويهلك المخالف لرأيه، ويأمل البحث ان يوفق في بيان بعض النماذج من تلكم الخطب في بيان الشواهد المنطقية التي انتشرت في خطبه كانتشار النجوم في السماء، على الرغم من ان ضوء كل نجمة منه كضوء الشمس الساطعة نورها، المبارك وجودها، في طرح الجميل والوافي لكل مناسبة كانت سبباً لما يقيضه على الأمة، دستورا خالدا إلى أن يرث الارض ومن عليها.

الشاهد العقلي المنطقي

وهو استخدام الشاهد العقلي في نهج البلاغة، باعتبار ان العقل كما يقول علماء اللغة هو الحجْر والنُّهى ضِدُّ الحُمْق او الحبس وهو العَقْلُ التَّثَبُّت في الأُمور[1]،

(١) لسان العرب، ابن مظور: ١١/ ٤٥٨.

واصطلح بأنه اللطيفة الربانية باعتبار ادراكيتها للكليات[١]، وقد استخدم الإمام علي (عليه السلام) الشاهد العقلي في العديد من الخطب وخاصة في مجال توحيد الله تعالى ودلائل وجوده تبارك وتعالى، والذي يعني الاعتقاد بوحدانية الله والخضوع والعبادة له وحده لاشريك له[٢]، وبيان أثر النبوة والإمامة وغيرها من الموضوعات التي جاء الاهتمام بها لأن الدين الإسلامي هو دين خاتم للاديان فتقع عليه مسؤولية اقناع الناس عقلاً وهدايتهم، ومن جهة أخرى أنه يمتاز بمميزات الخلود والمعاصرة لكل زمان وملائم لكل مكان، ولابد أن يتلاءم مع المعطيات العقلية لكل نوع من المجتمعات البشرية، وقد تميزت تلك النصوص الموجودة في كتاب نهج البلاغة بوجود المفاهيم التي ((يُصدق بعضها بعضاً ويدعم بعضها البعض الآخر وتسير على الصراط المستقيم، مع العلم بأن هذه الكلمات جاءت مبثوثة في خطب متعددة قالها (عليه السلام) في مناسبات مختلفة واوقات متباعدة من الزمن))[٣]، كلها في قوة واحدة من حيث المضمون والهدف، فلا انفصال بين كل التوظيفات التي تميزت بأنها مستوحات من روح القرآن الكريم في كلام الإمام (عليه السلام) وبين الوظيفة العقلية لأن البديهي ان تلك الشواهد ابتنيت على اساس الفهم العقلي الواضح، ولكن لأن مضامينها تنحو مناحي مباشرة لما جاءت من اجله، فقد سوغ جعلها في وظائف مختلفة[٤].

استعمالات الشواهد العقلية المنطقية:

يبدو ان للشواهد العقلية المنطقية استعمالات مهمة وردت في نهج البلاغة

(١) ظ: منهج العرفان عند الإمام علي (عليه السلام)، عبد الرضا البهادلي ٢٦٦.

(٢) ظ: منهاج الحياة، علي الاشكوري: ٩٤.

(٣) من وحي نهج البلاغة في الأخلاق والفلسفة والسياسة، العتبة العلوية: ٤١.

(٤) ظ: الأثر القرآني في نهج البلاغة، د. عباس الفحّام: ٤٨٤.

لتنمية الإنسان منها:

١. رفد الإيمان بالله تعالى

تأتي الشواهد العقلية في رفد الإيمان بالله تعالى مثل قوله (عليه السلام):

((اَلْحَمْدُ لله اَلْمُتَجَلِّي لِخَلْقِهِ بِخَلْقِهِ وَاَلظَّاهِرِ لِقُلُوبِهِمْ بِحُجَّتِهِ، خَلَقَ اَلْخَلْقَ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ إِذْ كَانَتِ اَلرَّوِيَّاتُ لاَ تَلِيقُ إِلاَّ بِذَوِي اَلضَّمَائِرِ وَلَيْسَ بِذِي ضَمِيرٍ فِي نَفْسِهِ، خَرَقَ عِلْمُهُ بَاطِنَ غَيْبِ اَلسُّتُرَاتِ وأَحَاطَ بِغُمُوضِ عَقَائِدِ اَلسَّرِيرَاتِ))[١].

يبدو أن الإمام (عليه السلام) أراد بقوله هذا ان الإنسان لو تأمل قليلا فانه سيصل لنتيجة عقلية وهي ان لهذا الخلق خالقًا، ولهذا عدّ دلائل معرفة الله واضحة وتكفي للدلالة اليه سبحانه وتعالى، وهذا ما اوضحه ابن ابي الحديد بقوله: ((ولما كانت دلائل إثبات الصانع ظاهرة ظهور الشمس وصفه (عليه السلام) بكونه ظهر وتجلى لخلقه ودلهم عليه بخلقه إياهم وإيجاده لهم. ثم أكد ذلك بقوله والظاهر لقلوبهم بحجته ولم يقل لعيونهم لأنه غير مرئي ولكنه ظاهر للقلوب بما أودعها من الحجج الدالة عليه. ثم نفى عنه الروية والفكر والتمثيل بين خاطرين ليعمل على أحدهما لأن ذلك إنما يكون لأرباب الضمائر والقلوب أولي النوازع المختلفة والبواعث المتضادة))[٢]، فيكون الخلق شاهداً منطقياً على وجود الخالق للمخلوقات وحجة للقلوب، وقد استعان (عليه السلام) بالحمد له سبحانه في افتتاحه لخطبته لاعتبار ان تجليه بالشواهد المنطقية عليه نعمة تستوجب الشكر، وفي مكان اخر يصف الله تعالى بما يستحق من دلائل وحدانيته وتفرده بقوله: **((لَمْ يُولَدْ سُبْحَانَهُ فَيَكُونَ فِي اَلْعِزِّ مُشَارَكاً ولَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْرُوثاً هَالِكاً ولَمْ يَتَقَدَّمْهُ وَقْتٌ**

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٧/ ١٨١.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٧/ ١٨١.

ولاَ زَمَانٌ ولَمْ يَتَعَاوَرْهُ زِيَادَةٌ ولاَ نُقْصَانٌ، بَلْ ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِنْ عَلاَمَاتِ اَلتَّدْبِيرِ اَلْمُتْقَنِ واَلْقَضَاءِ اَلْمُبْرَمِ، فَمِنْ شَوَاهِدِ خَلْقِهِ خَلْقُ اَلسَّمَاوَاتِ مُوَطَّدَاتٍ بِلاَ عَمَدٍ قَائِمَاتٍ بِلاَ سَنَدٍ))[1]، لقد كان ابن ابي الحديد واضحاً في بيان كلامه (عليه السلام) بقوله: نفى (عليه السلام) أن يكون البارئ سبحانه مولودا فيكون له شريك في العز والإلهية وهو أبوه الذي ولده وإنما قال ذلك جريا على عادة ملوك البشر فإن الأكثر أن الملك يكون ابن ملك قبله ونفى أن يكون له ولد جريا أيضا على عادة البشر في أن كل والد في الأكثر فإنه يهلك قبل هلاك الولد ويرثه الولد، وهذا النمط من الاحتجاج يسمى خطابة وهو نافع في مواجهة العرب به، وأراد من الاحتجاج إثبات العقيدة، فتارة تثبت في نفوس العلماء بالبرهان وتارة تثبت في نفوس العوام بالخطابة والجدل. ثم نفى أن يتقدمه وقت أو زمان والوقت هو الزمان وإنما خالف بين اللفظين وأتى بحرف العطف كقوله تعالى: ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً ومِنْهاجاً**﴾[2]، ونفى أن يعتريه أي زيادة أو نقصان[3]، اي ان الله تعالى لايمكن ان يعد ضمن المخلوقات في هذا الكون، لأنه لو عُدّ ضمنها لصار مماثلاً لها ومقروناً به، ومماثلة الأجسام يستلزم الجسمية، بل انه خارج نطاق النعوت البشرية او التي تنطبق على المخلوقات،[4] ولهذا يكون محط التوجه العقلي في ادراك ان الله لايدرك إلا من خلال التدبر في الخلق العظيم له والذي لابد من وجود

(١) م- ن: ١٠/ ٨١.

(٢) المائدة/ ٤٨.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٠/ ٨٢.

(٤) ظ: خلاصة علم الكلام، د.هادي الفضلي: ٨٢. من بلاغة الإمام علي في نهج البلاغة، عادل الاسدي: ٧٧. من وحي نهج البلاغة في الأخلاق والفلسفة والسياسة، العتبة العلوية: ٤٦.

خالق عظيم له، ولكن لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس[١]، ويمضي الإمام (عليه السلام) في تنمية الإيمان بالله تعالى في التدبر بعظيم ما خلق وهو قوله (عليه السلام): ((**ولَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ اَلْقُدْرَةِ وَجَسِيمِ اَلنِّعْمَةِ لَرَجَعُوا إِلَى اَلطَّرِيقِ وَخَافُوا عَذَابَ اَلْحَرِيقِ وَلَكِنِ اَلْقُلُوبُ عَلِيلَةٌ وَاَلْبَصَائِرُ مَدْخُولَةٌ، أَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى صَغِيرِ مَا خَلَقَ كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ وَأَتْقَنَ تَرْكِيبَهُ وَفَلَقَ لَهُ اَلسَّمْعَ وَاَلْبَصَرَ وَسَوَّى لَهُ اَلْعَظْمَ وَاَلْبَشَرَ، اُنْظُرُوا إِلَى اَلنَّمْلَةِ فِي صِغَرِ جُثَّتِهَا وَلَطَافَةِ هَيْئَتِهَا لاَ تَكَادُ تُنَالُ بِلَحْظِ اَلْبَصَرِ وَلاَ بِمُسْتَدْرَكِ اَلْفِكَرِ، كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا وصُبَّتْ عَلَى رِزْقِهَا تَنْقُلُ اَلْحَبَّةَ إِلَى جُحْرِهَا وتُعِدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا**))[٢]،وهنا شاهد عقلي يكون واضحاً إذا حرك الإنسان عقله نحو الكون العجيب، ونظر إلى ما فيه من إحكام وتدبير، فإنه لا محالة، قدرة الخالق وهو الدليل على عظمته سبحانه وتعالى، يملأ نفسك هيبة ورهبة من سطوته وحسابه وجزائه، ما من شيء في الكون كبر أم صغر إلا وهو آية تدل على وجود الله وعظمته، وأنه واحد لا شريك له في خلقه وصفاته، وقد ضرب الإمام مثلا على عظمته تعالى بأصغر مخلوق يدب على الأرض، وهو النملة التي توجد في غرفتي وغرفتك، وفي رؤوس الجبال، والحديقة والصحراء وغيرها، وتذهب إلى رزقها المكفول لها بالسعي، وتهتدي إلى مكانه الذي أودعه الله فيه تماما كما يهتدي الإنسان إلى محل طعامه وشرابه[٣].

ولقد استخدم الشاهد العقلي بأوضح طريقة منطقية وأبسط بيان في اثبات وحدانية الله تعالى وبطلان وجود الشريك، وهذا ما حدث به الإمام الحسن (عليه السلام)بقوله: ((**وَاِعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لَأَتَتْكَ رُسُلُهُ وَلَرَأَيْتَ آثَارَ**

(١) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، المحمودي: ٣/ ٨٣.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:١٣ / ٥٥.

(٣) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٣/ ٥٨. فلسفة الحياة، حسن عتريسي: ١٧٣، ٢٣٧.

مِلْكِهِ وسُلْطَانِهِ وَلَعَرَفْتَ أَفْعَالَهُ وَصِفَاتَهُ، وَلَكِنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ، لاَ يُضَادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ ولاَ يَزُولُ أَبَداً ولَمْ يَزَلْ أَوَّلٌ قَبْلَ اَلْأَشْيَاءِ بِلاَ أَوَّلِيَّةٍ وآخِرٌ بَعْدَ اَلْأَشْيَاءِ بِلاَ نِهَايَةٍ))[1]، يمكن أن يكفي الباحث في بيان مراد الإمام (عليه السلام)ما علق ابن ابي الحديد في شرحه وما ورد في الميزان في بيان شرح سورة (المؤمنون)، حيث علقا بقولهما إن الإمام وهو يستدل بهذا الكلام على نفي الثاني من وجهين أحدهما أنه لو كان في الوجود ثان للبارئ تعالى لما كان القول بالوحدانية حقا بل كان الحق هو القول بالتثنية ومحال ألا يكون ذلك الثاني حكيما ولو كان الحق هو إثبات ثان حكيم لوجب أن يبعث رسولا يدعو المكلفين إلى التثنية لأن الأنبياء كلهم دعوا إلى التوحيد، لكن التوحيد على هذا الفرض ضلال فيجب على الثاني الحكيم أن يبعث من ينبه المكلفين على ذلك الضلال ويرشدهم إلى الحق وهو إثبات الثاني وإلا كان منسوبا في إهمال ذلك إلى السفه واستفساد المكلفين وذلك لا يجوز، ولكنا ما أتانا رسول يدعو إلى إثبات ثان في الإلهية فبطل كون القول بالتوحيد ضلالا وإذا لم يكن ضلالا كان حقا فنقيضه وهو القول بإثبات الثاني باطل.

والوجه الثاني أنه لو كان في الوجود ثان للقديم تعالى لوجب أن يكون لنا طريق إلى إثباته إما من مجرد أفعاله أو من صفات أفعاله أو من صفات نفسه أو لا من هذا ولا من هذا فمن التوقيف. وهذه هي الأقسام التي ذكرها أمير المؤمنين (عليه السلام) لأن قوله أتتك رسله هو التوقيف وقوله ولرأيت آثار ملكه وسلطانه هي صفات أفعاله وقوله ولعرفت أفعاله وصفاته هما القسمان الآخران. أما إثبات الثاني من مجرد الفعل فباطل، لأن الفعل إنما يدل على فاعل ولا يدل على التعدد وأما صفات أفعاله وهي كون أفعاله محكمة متقنة فإن الإحكام الذي

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦ / ٧٧.

نشاهده إنما يدل على عالم ولا يدل على التعدد، وأما صفات ذات البارئ فالعلم بها فرع على العلم بذاته، فلو أثبتنا ذاته بها لزم الدور. وأما التوقيف فلم يأتنا رسول ذو معجزة صحيحة يدعونا إلى الثاني وإذا بطلت الأقسام كلها وقد ثبت أن ما لا طريق إلى إثباته لا يجوز إثباته بطل القول بإثبات الثاني. ثم قال لا يضاده في ملكه أحد ليس يريد بالضد ما يريده المتكلمون من نفي ذات هي معاكسة لذات البارئ تعالى في صفاتها كمضادة السواد للبياض بل مراده نفي الثاني[١]، وهو استدلال منطقي على وحدانية الله تعالى وعدم وجود شريك له.

٢. بعثة الرسل

لم يختصر الإمام علي (عليه السلام) في عرض الشواهد العقلية في جانب تنمية التوحيد فقط، بل استخدمه في بيان أهمية بعث الرسل (عليهم السلام) بقوله **((فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ ووَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ ويُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ ويَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ ويُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ ويُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ))**[٢]، فتكون عله عقله ببعثة الأنبياء في تنمية الإنسانية في مجالات العبودية لله تعالى، ويثيرون التفكر بخلق الله تعالى في انفسهم بتدبر ما حولهم من مخلوقات، مثلاً خلق الإنسان والحيوان والطبيعة باعتبار ان الانبياء يخرجون ما في نفس الإنسان كما يستخرجون الجواهر المدفونة، اضافة إلى الدور الكبير في انقاذ الأمة من الضلالة وذكر نعمة الله عليهم لاسيما اطفاء الضغائن وتأليف القلوب ببركة وجود النبي المصطفى (صلى الله عليه وآله)[٣]، وذكر الإمام علي (عليه السلام) بعض الشواهد

(١) ظ: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:١٦ / ٧٨. الميزان، الطباطبائي: ١٥/ ١٩.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:١/ ١١٣.

(٣) ظ: م- ن:١/ ١١٤. الأثر القرآني في نهج البلاغة، د. عباس الفحّام: ٤٨٤. من بلاغة الإمام علي في نهج البلاغة، عادل الاسدي: ٨٥. شرح نهج البلاغة برواية الخلافة، قاسم الحائري: ٧٢.

العقلية عن اهمية بعثة الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله) ومن جميل قوله ((**أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ أَرْسَلَهُ لِإِنْفَاذِ أَمْرِهِ وإِنْهَاءِ عُذْرِهِ وتَقْدِيمِ نُذُرِهِ**))[١]، وقال(عليه السلام) في بيان أهمية البعثة بشاهد عقلي آخر ((**بَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً (صلى الله عليه وآله) بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ ومِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَهُ وأَحْكَمَهُ لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ ولِيُقِرُّوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحَدُوهُ ولِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ**))[٢]، لا يمتنع أن يكون إرسال محمدًا (صلى الله عليه وآله) إلى العرب وغيرهم لأن الله تعالى علم أنهم مع تنبيهه إياهم على ما هو واجب في عقولهم من المعرفة أقرب إلى حصول المعرفة، فحينئذ يكون بعثه لطفا من الله تعالى لإعذار الخلق وإنذارهم فإعذاره إليهم أن عرفهم بالحجج العقلية والسمعية وأنهم إن عصوه استحقوا العقاب فأوضح عذره لهم في عقوبته إياهم على عصيانه وإنذاره لهم تخويفه إياهم من عقابه[٣]، ويضيف الإمام علي (عليه السلام) الأثر الكبير للنبي (صلى الله عليه وآله) كشاهد منطقي ساهم بتنمية الأمة ورفع مكانتها بين الأمم، وهو قوله (عليه السلام): ((**بَعَثَ مُحَمَّداً (صلى الله عليه وآله) ولَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً ولاَ يَدَّعِي نُبُوَّةً، فَسَاقَ النَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ وبَلَّغَهُمْ مَنْجَاتَهُمْ، فَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ وِاطْمَأَنَّتْ صَفَاتُهُمْ**))[٤]، المراد بالكتاب هنا الكتاب السماوي من غير تحريف وتزييف، والمعنى ان العرب قبل البعثة كانوا في جهالة مهلكة، وضلالة مظلمة، لا يهتدون بكتاب إلهي ولا بسنة نبوية، كما قال

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٦ / ٢٤١.

(٢) م - ن: ٩/ ١٠٣.

(٣) ظ: م - ن: ٦ / ٢٤٢. من بلاغة الإمام علي في نهج البلاغة، عادل الاسدي: ٣٠٢. ظ: علوم نهج البلاغة، د.محسن الموسوي ٤٣، ٤٥.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٢/ ١٨٥.

تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[١]. والقرآن الكريم أصدق مرجع عن أحوال العرب في الجاهلية، ويأتي من بعده نهج البلاغة حيث لم يكن للقوم كتاب سماوي ولا أرضي، فجاء النبي ودفع بالناس إلى الإمام، وأنقذهم من الهلكة إلى سبيل النجاة، فاستقامت أمورهم، وسكنوا في ديارهم آمنين، وكانوا يخافون من قبل أن يتخطفهم الناس، وبكلام أوضح: حوّل الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) قومه من الشرك إلى التوحيد، ومن الضلال إلى الهدى، ومن الذل إلى الفتح المبين، فكان مبعثه إيذانا بالتحول الخطير في حياة العرب[٢]، واستخدم الإمام الشاهد المنطقي في بيان مواصفات من يخلف الانبياء وهو قوله (عليه السلام): ((أَيُّهَا اَلنَّاسُ إِنَّ أَحَقَّ اَلنَّاسِ بِهَذَا اَلْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ الله))[٣]، اي أن أحق الناس بالإمامة أقواهم عليها وأعلمهم بحكم الله فيها، ويمكن أن يكون استخدمه هذا التعبير إيحاءً بأنه الإمام من بعد النبي (صلى الله عليه وآله) لأن الامام اكثر من مشهور في تميزه عن غيره، وأحقيته بها[٤]، وهو شاهد عقلي يؤشر إلى الحق الذي كان من المفروض ان يكون له في خلافة الأمة، واستخدم الشاهد المنطقي في رسالته لمعاوية عليه اللعنة، حيث عرض به حقيقة منطقية لايمكن أن تنكر أو يدي مدعٍ انه لا يعلم بها وهو قوله(عليه السلام): ((إِنَّهُ بَايَعَنِي اَلْقَوْمُ اَلَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ وَلاَ لِلْغَائِبِ أَنْ

(١) الجمعة / ٢.

(٢) ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ١/ ٢٢٠.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٩/ ٣٢٨.

(٤) ظ: م - ن: ٩/ ٣٢٨. الأثر القرآني في نهج البلاغة،د. عباس الفحّام: ٤٨٨. علوم نهج البلاغة، د. محسن الموسوي:٧٤.

يَرُدَّ، وإِنَّمَا اَلشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ والْأَنْصَارِ، فَإِنِ اِجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وَسَمَّوْهُ إِمَاماً كَانَ ذَلِكَ لله رِضًا فَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بِطَعْنٍ أَوْ بِدْعَةٍ رَدُّوهُ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ، فَإِنْ أَبَى قَاتَلُوهُ عَلَى اِتِّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ اَلْمُؤْمِنِينَ ووَلاَّهُ اللهُ مَا تَوَلَّى، ولَعَمْرِي يَا مُعَاوِيَةُ لَئِنْ نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ لَتَجِدَنِّي أَبْرَأَ اَلنَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ ولَتَعْلَمَنَّ أَنِّي كُنْتُ فِي عُزْلَةٍ عَنْهُ إِلاَّ أَنْ تَتَجَنَّى فَتَجَنَّ مَا بَدَا لَكَ وَالسَّلاَمُ))[1]، بعد أن تمت مبايعة الإمام علي (عليه السلام)من أكثرية الصحابة، وحضرها غيرهم فقد لزمته وليس له أن يرفض ويعترض (ولا للغائب أن يرد) بيعة الإمام الذي بايعه الصحابة، وهذه الحجة تدمغ معاوية وأصحاب الجمل، لأنهم يعترفون بخلافة الثلاثة كونها تمت ببيعة المهاجرين والأنصار، وكذلك بيعة الإمام، فكيف نقضوا هنا ما أبرموه هناك يستخدم الإمام علي (عليه السلام)الشواهد المنطقية باستمرار في محاججاته مع خصومه وهو ما يقوله ابن أبي الحديد في شرح كلام الإمام، فإن أحب الأمور إلي فيك العافية إلا أن تتعرض للبلاء، فإن تعرضت له قاتلتك واستعنت بالله عليك وقد أكثرت في قتلة عثمان، فأدخل فيما دخل الناس فيه، ثم حاكم القوم إلي أحملك وإياهم على كتاب الله، فأما تلك التي تريدها فخدعة الصبي عن اللبن، وبعدها يحث الإمام علي (عليه السلام) معاوية لعنه الله إلى الركون إلى لغة العقل، لأن الإمام قد ضيق عليه الخناق بما ارسله له[2]، عن طريق الاسلوب المنطقي وهو غير خاص بمعاوية فقط، بل كل من يسير على نهجه، فقد كانت ادلته العقلية تمتاز بكونها سارية المفعول وهي حجة مستمرة على كل مطلع عليها في بيان احقيته بما اعطاه الله له، وضلالة من طلب الدنيا وباع الآخرة.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٣/ ٣٥.

(٢) ظ: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٣/ ٣٦. في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٣/ ٣٩١. اصول الدين، كاظم الحائري: ٢٦١.

٣. أهمية القرآن الكريم

وكذلك كان للقرآن مكانة كبيرة في قلبه (عليه السلام)، وقد اشار إلى اهمية القرآن ودوره الفاعل في المجتمع، وهو قوله (عليه السلام) ((**وتَعَلَّمُوا اَلْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ اَلْحَدِيثِ وتَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ اَلْقُلُوبِ وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ اَلصُّدُورِ وأَحْسِنُوا تِلاَوَتَهُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ اَلْقَصَصِ**))[١]، ان القرآن هو أحسن الحديث لأنه كلام الله تعالى، وفيه ما تحتاج الإنسانية من أحكام إلى يوم الدين، وهذا ما اكده ابن ابي الحديد بقوله: إنما أراد أحسن الكلام، لأنه يمتاز بالتجدد، ثم قال تفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب، من هذا أخذ ابن عباس قوله إذا قرأت(الم، حم) وقعت في روضات دمثات. ثم قال فإنه شفاء الصدور وهذا من الألفاظ القرآنية. ثم سماه قصصا اتباعا لما ورد في القرآن من قوله: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ اَلْقَصَصِ**﴾[٢]، ثم ذكر أن العالم الذي لا يعمل بعلمه كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق من جهله، ثم قال بل الحجة عليه أعظم لأنه يعلم الحق ولا يعمل به، فالحجة عليه أعظم من الحجة على الجاهل وإن كانا جميعا محجوجين، أما أحدهما فبعلمه وأما الآخر فبتمكنه من أن يعلم. ثم قال والحسرة له ألزم لأنه عند الموت يتأسف ألا يكون عمل بما علم والجاهل لا يأسف ذلك الأسف. ثم قال وهو عند الله ألوم أي أحق أن يلام لأن المتمكن عالم بالقوة وهذا عالم بالفعل فاستحقاقه اللوم والعقاب أشد[٣]، والنتيجة ان من نعم الله تعالى على الناس أن أنزل إليهم آيات القرآن الكريم، وقد جسد الإمام علي (عليه السلام) التنمية البشرية عن طريق التنمية

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:٧ / ٢٢١.

(٢) يوسف / ٣.

(٣) ظ: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٧/ ٢٢٥. شرح نهج البلاغة برواية الخلافة، قاسم الحائري: ٣٤٦.

المنطقية ببيان أهمية القرآن لو اتخذه الإنسان دستوراً لحياته الخاصة والعامة، ولهذا حفل نهج البلاغة في الكثير من خطب الإمام (عليه السلام) بالاستشهاد القرآني وذلك ليؤدي وظيفتين في عملية بناء الإنسان والمجتمع، تتمثل الوظيفة الاولى في اثر الشواهد المنطقية في النفس، والثانية ما يؤديه القرآن الكريم في الخطب من دلائل كبيرة تؤدي الوظيفة التي يطمح الإمام (عليه السلام) إلى إحداثها في البناء الباطني والخارجي للإنسان ومنها قوله (عليه السلام): ((**فَالله الله مَعْشَرَ اَلْعِبَادِ وأَنْتُمْ سَالِمُونَ فِي اَلصِّحَّةِ قَبْلَ اَلسُّقْمِ وَفِي اَلْفُسْحَةِ قَبْلَ اَلضِّيقِ، فَاسْعَوْا فِي فَكَاكِ رِقَابِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُغْلَقَ رَهَائِنُهَا، أَسْهِرُوا عُيُونَكُمْ وَأَضْمِرُوا بُطُونَكُمْ وَاِسْتَعْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ وأَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ وَخُذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ فَجُودُوا بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَلاَ تَبْخَلُوا بِهَا عَنْهَا فَقَدْ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا الله يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ﴾**[1]، **وَقَالَ تَعَالَىَ: ﴿مَنْ ذَا اَلَّذِي يُقْرِضُ الله قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ ولَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾**[2]، **فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذُلٍّ وَلَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ مِنْ قُلٍّ اِسْتَنْصَرَكُمْ وَلَهُ جُنُودُ اَلسَّمَاوَاتِ وَاَلْأَرْضِ ﴿وَهُوَ اَلْعَزِيزُ اَلْحَكِيمُ﴾**[3] **وَاِسْتَقْرَضَكُمْ وَلَهُ خَزَائِنُ اَلسَّمَاوَاتِ وَاَلْأَرْضِ ﴿وَهُوَ اَلْغَنِيُّ اَلْحَمِيدُ﴾**[4] **وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَبْلُوَكُمْ ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾**[5]، **فَبَادِرُوا بِأَعْمَالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ جِيرَانِ الله فِي دَارِهِ، رَافَقَ بِهِمْ رُسُلَهُ وَأَزَارَهُمْ مَلاَئِكَتَهُ وَأَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ أَنْ تَسْمَعَ حَسِيسَ نَارٍ أَبَداً وَصَانَ أَجْسَادَهُمْ أَنْ تَلْقَى لُغُوباً وَنَصَباً**

(١) محمد / ٧.

(٢) الحديد / ١١.

(٣) ابراهيم / ٤

(٤) لقمان / ٢٦

(٥) هود / ٧.

﴿ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ واللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[١]، أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ ﴿وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ﴾[٢]، عَلَىٰ نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ وَهُوَ حَسْبُنَا ﴿وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[٣]))[٤]، ان الإمام عليًا (عليه السلام) يوجه الناس بعبارات التنبيه وهي تكرار لفظ الجلالة، لبيان عظيم ما يتكلم عنه، وهو توجيهه لاستغلال الصحة قبل السقم أي اتقوه سبحانه في زمان صحتكم قبل أن ينزل بكم السقم، وفي فسحة أعماركم قبل أن تبدل بالضيق، وفكاك الرقاب قبل أن تغلق رهائنها، وخذوا من أجسادكم أي أتعبوها بالعبادة حتى تنحل، والعبادة في كل الأحوال لا سيما الحرب[٥]، وهو معنى قوله إِنْ تَنْصُرُوا دين الله ورسوله يَنْصُرْكُمْ على عدوكم ويفتح لكم وَيُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ في مواطن الحرب أو على محجة الإسلام[٦]، والامام (عليه السلام) يعطي دليلًا منطقيًا يناسب هذا الاستشهاد، وهو قوله (عليه السلام) ((**مَنْ صَارَعَ الْحَقَّ صَرَعَهُ**))[٧]، وبهذ القول يمكن التوصل لنتيجة منطقية وهي، بما أن الله تعالى ينصر من نصره وأن الله تعالى هو الحق المبين، وأن من ينتصر لدين الله يعني يكون مع الحق فستكون النتيجة لصالح كفة الحق.

وأما الاستشهاد بالقرض، يعني انه تعالى لا يستقرض من عوز ولكنه يبلو

(١) الحديد / ٢١.

(٢) يوسف / ١٨

(٣) آل عمران / ١٧٣.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٠ / ١٢٢، ١٢٣.

(٥) ظ: م- ن: ١٠ / ١١٤.

(٦) ظ: الكشاف، الزمخشري: ٤/ ٣١٨.

(٧) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٠/ ٤٥.

الأخيار من كل الأمم، وليست خاصة بدين معين، فيكون له الأجر الكريم[١]، والقرض بمعنى ما تعطيه غيرك ليقضيكه[٢]، واستخدم الإمام (عليه السلام) هذا العرض بطريقة منطقية، فوضع النصر مقرونًا بعزم الإنسان عليه في سبيل الله تعالى، وقرر قاعدة أصلها قرآني وهي القرض في سبيل الله تعالى وهو مقابل الاسترداد اليه بأضعاف غير متناهية كما يقول الطبرسي في معنى يضاعف ((أي يضاعف له الجزاء من بين سبع إلى سبعين إلى سبعمائة))[٣]، وفي كلام الإمام (عليه السلام) ارتباط ظاهر بين فرض القتال والترغيب في القرض الحسن لما يستلزم القتال من تهيئة عدته من إنفاق وسلاح، ثم نبه الإمام (عليه السلام) إلى حقيقة أخرى، هي استغناء الله تعالى عن النصرة والقرض، وتأكيده على أنها فرصة من الله تعالى إلى عباده للفوز في الاختبارات، وقد أكد الإمام (عليه السلام)بشاهد عقلي على منطقية القرض (عليه السلام) ((**مَنْ أَيْقَنَ بِالْخَلَفِ جَادَ بِالْعَطِيَّةِ**))[٤]، اي أما من يوقن بالخلف فإنه يعلم أن الجود شرف لصاحبه وأن الجواد ممدوح عند الناس فقد وجد الداعي إلى السماح ولا صارف له عنه لأنه يعلم أن مادته دائمة غير منقطعة فالصارف يجود بالعطية[٥]، ولا شك أن في كل ذلك تحريكا للأذهان وإعمالا للعقل لفهم الكيفية في التعامل مع فرص الحياة الدنيا للفوز برضا الخالق، ويلحظ تناسب إيراد (العزيز الحكيم) مع الاستنصار، و(الغني الحميد) مع الاستقراض وهذه الحقيقة العقلية أعني المجازاة على قدر الاستحقاقات كررها

(١) ظ: الميزان، الطباطبائي: ١٩/ ٨٣.

(٢) مجمع البيان، الطبرسي: ٩ / ٣٥٢.

(٣) م - ن: ٩ / ٣٥٣.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨/ ٣٣٦.

(٥) ظ: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨/ ٣٣٦

الإمام (عليه السلام) في كلامه كثيرا، فهي رغم أنها حقيقة منطقية ثابتة ولكن الإنسان قد يتغافل عنها أو يتناساها[١].

٤. تنمية الإيمان

واستخدم الإمام علي (عليه السلام) الشاهد المنطقي في تنمية الايمان في النفوس بقوله: ((**فَبِالْإِيمَانِ يُسْتَدَلُّ عَلَى اَلصَّالِحَاتِ وَبِالصَّالِحَاتِ يُسْتَدَلُّ عَلَى اَلْإِيمَانِ وَبِالْإِيمَانِ يُعْمَرُ اَلْعِلْمُ وَبِالْعِلْمِ يُرْهَبُ اَلْمَوْتُ وبِالْمَوْتِ تُخْتَمُ اَلدُّنْيَا وبِالدُّنْيَا تُحْرَزُ اَلْآخِرَةُ وبِالْقِيَامَةِ تُزْلَفُ اَلْجَنَّةُ وتُبَرَّزُ اَلْجَحِيمُ**))[٢]، الإيمان لا يمكن أن يدرك إلا بما يظهر للإنسان من فعل مرجعه للإيمان بأوامر الله تعالى، فـ ((لا علامة على إسلام من ادعاه إلا الأعمال الصالحة، فبالإيمان يستدل على الصالحات، وبالصالحات يستدل على الإيمان كما قال الإمام (عليه السلام) (والموت غايته) أي لا إسلام ولا تكليف بعد الموت، فيه ينقطع كل شيء، فبادروا العمل ما دمتم في هذه الدار))[٣]، وهنا استخدم الإمام الشاهد المنطقي في تسلسل منطقي وهو الترابط بين الإيمان والصالحات وأنها محفزة للاستعداد للآخرة، ومن دواعي الاستعداد للآخرة الأعمال الصالحة ومن ثم تكون دائرة عقلية منمية للبشر بأداء الأعمال الصالحة والاستمرار بها وهو هدف الإمام علي (عليه السلام) في اصلاح الناس ليكونوا محط رضا الله تعالى والرزق الحسن وهي العاقبة الحسنة والفوز بالجنة التي هي من آثار الشاهد المنطقي في كلامه (عليه السلام).

---

(١) -ظ: الأر القرآني في نهج البلاغة، د. عباس الفحّام: ٤٨٤-٤٨٨.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٩/ ٢٠٠

(٣) في ظلال نهج البلاغة: ٢/ ١٢١.

الخاتمة

بَعد هَذه الرحلة العلمية الشيقة الممتعة في رحاب أمير المؤمنين (عليه السلام)، حيث الغايات السامية في مجال التنمية البشرية، لا يسع البحث المتواضع إلا تقديم هذه الخاتمة، على شكل فقرات تضمنت نتائج لكل الفصول ونتائجه، آملين من الله العلي القدير التوفيق:

اولاً: عالج التمهيد مفهوم التنمية البشرية ولوازمها الأساسية في الدراسات السابقة من تعريف للمفهوم والاهداف والمكونات لها،فتوصل البحث إلى ان التنمية البشرية هي أَحد وسائل الارتقاء بالبيئة والإنسان، واستخراج الطاقة الكامنة لديه وتفعيلها في الوجود، أي تفاعل بين الجهد البشري وعناصر الطبيعة مستهدفة الإنسان ورقية وتقدمه اجتماعياً واقتصاديا، مما يخلق تغيرات وظيفية وهيكلية في عملية تطوير الكفاءات البشرية وتحسين أدائها بصورة شاملة، وفي مختلف الميادين الحياتية، ورسم سياسة مستقبلية لازمة لنمو المجتمع، من اجل ديمومة رقيه وتقدمه، وهو ما يراه الباحث تعريفاً مناسباً للتنمية البشرية.

يعد الإنسان هو اساس التنمية، ومحور النهوض والتغيير، فلا تحدث تنمية حقيقية إلا من خلال إنسان فاعل، يسعى لتحقيق ذاته وإنسانيته، أي يصبح الإنسان الهدف النهائي وغاية الغايات.

ثانياً: انقسم البحث على ثلاثة فصول، انفتحت فيها على نهج البلاغة، باعتبار أنه الاساس الذي يمكن ان تستقي التنمية البشرية منه كل مفاصلها، لاعتبارية مميزات نهج البلاغة، بالشمول في المفاهيم والمعاصرة والملائمة لكل

زمان ولكل مكان ولكل إنسان باختلاف المشارب والمذاهب والعرق والنوع ولامتيازه بالوحدة في هدفيته في بناء الإنسان ومجتمعه، وكلها مفاهيم دعت اليها التنمية البشرية، إلا انها أتت متأخرة قياساً بما ورد في كتاب نهج البلاغة من كلام الإمام علي (عليه السلام)، وتشرف البحث بالوصول إلى نتائج هي كما يلي:

١. مقومات التنمية البشرية للشخصية القيادية، تحتاج شخصية واضحة المعالم ليتم عن طريقها تحديد مقومات التنمية فيها، لأن التنظير في عملية التنمية للشخصية لايتم دون وجود شخصية متميزة بأنها مرجع لتطبيق تنظيراتها، وعدّ البحث ما ورد في نهج البلاغة لملامح الشخصية المثالية المتكاملة للإمام علي (عليه السلام)انموذجاً ومحوراً من خلاله يمكن ان تحدد ملامح الشخصية القيادية للتنمية البشرية، وقد توصل البحث فيها إلى ما يأتي:

أ. اتخذ الإمام علي (عليه السلام)اساليب ادارية تمتاز بكونها تشخيصية دقيقة، ولها طابع توجيهي للادارة التنموية التي يجب أن تتخذها الأمة قدوة من جهة، ومن جهة اخرى توجيه لكل العاملين في الإدارة من حيث ما يجب ان تتوفر فيهم من مقومات، وميز الإمام علي (عليه السلام) الإدارة المدنية عن الإدارة الاقتصادية والإدارة السياسية في المنهاج الذي يجعل اتجاه الإنسان نحو الإيجابي والصحيح، في عملية البناء والتقدم.

ب. تعتمد الإدارة المدنية على منظومة ادارية ترجع إلى احكام الله تعالى في كل تفاصيلها وهو ما ميّز التنمية البشرية بمفهومها عند الإمام علي (عليه السلام) من حيث المضمون عن غيره ممن تلاه في العصر الحديث ممن لا يؤمن بالمرجعية إلى احكام الله تعالى، ومرجعه إلى العقل والقبول له، متناسيًا القصور العقلي وحب الاهواء، واللذين لا يمكن الاعتماد عليهما في الكثير من الامور البسيطة، فكيف

تعتمد في عملية بسط الأحكام في عملية بناء الإنسان، وهذا قد جعل من التنمية الحديثة ناقصة بإحاطتها بالمفاهيم، إلا التنمية الإسلامية وخاصة ما انتهجه البحث في بيان حضورها في نهج البلاغة.

ج. يعد الإدارة بكل إشكالها المدنية والاقتصادية والسياسية، ضرورة من ضروريات الحياة وهي من الأمور الحيوية التي تبعث الحياة السعيدة في المجتمع الإنساني، في وجود نظام إداري اجتماعي وحكومي يضمن حقوق افراد المجتمع، ويعمل على تفادي الفوضى وتطبيق تعاليم الدين في المجتمع وإشاعة القيم بين الناس وإزالة الموانع التي تقف دون تطور البشرية والتي سعى الإمام (عليه السلام) لتحقيقها من اجل الارتفاع بالإنسانية إلى افضل حالة يمكن الوصول إليها.

د. يعد الفكر الاقتصادي عند الإمام علي(عليه السلام)سمة من سمات حكمه السياسي، عن طريق تحقيق مبادئ التنمية في ادارة المجتمع اقتصادياً، متمثلاً بإدارة التنمية للموارد البشرية والطبيعية والتي وردت في نهج البلاغة، في طريقة رعاية ذوي البؤس والمسكنة من الرعية، والسماحة والسهولة التي تبث روح السعادة والرضا في المجتمع، وهي من اهم ما تطمح له التنمية البشرية في عمارة الارض واستخلافها عن طريق الاستثمار الأمثل لموارد الطبيعة التي لايمكن لحياة الإنسان أن تستمر دونها.

هـ.إن للإدارة السياسية في نهج البلاغة نتائج مهمة تتمثل بحفظ الإنسان مادياً ومعنوياً، عن طريق التنمية الفكرية والروحية، لتنمية الجيش عقدياً، واخلاقياً باعتبار اهمية الإنسان ومكانته عنده (عليه السلام)، والتي تكشف عن مدى التفكير العميق في هداية الناس للحق والصبر عليهم، ابتغاء البناء الصحيح الذي ينتفع به الإنسان في الدنيا والآخرة.

و. إن التكامل الفكري في نهج البلاغة قد حدد ملامحه الإمام علي (عليه السلام)بأنه القدرة على الإدراك والتحليل والمقارنة واتخاذ القرار، وهي دعوة لتنمية تفكير الإنسان وللتمعن بالمعلومات ومقارنتها ومضاربتها مع بعضها لاتخاذ القرار المناسب.

ز. تميز الإمام علي (عليه السلام)بالتكامل الجسدي، نتيجة لمؤثرات إلهية ووراثية وأسرية، قد جعلت منه الرائد الذي لا يخطئ والقدوة الذي ينجو من سلك سبيله واتبع منهجه، وبانت هذه المؤثرات بنتائج مهمة:

– تؤثر التربية الصحيحة بخط الطريق للإنسان وحدود الخارطة النفسية له، ولهذا تهتم التنمية البشرية بالإنسان ومايحيط به، لانها تؤدي دورًا مهمًا في الحياة المستقبلية.

– التربية عند الإمام علي تربية لم تخالف تعاليم السماء وهي دلالة على أنه من عائلة موحدة، وهذه النقطة مهمة جدا في حقل التنمية، لأن من مبادئ التنمية الاقتداء بالصالحين، ويعد الإمام (عليه السلام) مقياسًا لكل صالح بالكون، وسيرة عملية خطت كل اهداف التنمية للإنسان في البناء والتقدم، ولهذا اختاره الله وألبسه ما يستحق من الخير الذي يلاصقه في الدنيا والأخرة.

٢. كانت موضوعات التنمية البشرية في نهج البلاغة حاضرة بأجمل صورها في حياة الإمام علي (عليه السلام)في كل الظروف ومختلف المواقف من أجل بناء الإنسان والمجتمع، وهي تحمل نتائج مهمة، وكما يلي:

أ. إن الإمام علياً (عليه السلام) خير من جسد التشريع الأمثل في بناء الإنسان، وما جاءت التنمية البشرية إلا لأجل أن تحقق هدفها في تنامي البشرية وسعادتها، عن طريق الاهتمام بالإنسان وتنمية جوانبه العقلية وجوانبه النفسية والروحية.

ب. إن الإمام (عليه السلام) عنصر من المجتمع الذي يريد اصلاحه، بل تقع عليه المسؤولية الالهية في إصلاحه وإنقاذه قدر ما أمكن، واعتمد في بناء المجتمع على ثلاث ركائز، تمثلت هذه الضوابط أو الركائز بميدان الاطمئنان الاجتماعي وقانون الجذب الاجتماعي ومبادئ السلوك الاجتماعي، فأنتجت مجتمعة ما ينمي المجتمع بنقاط هي:

- التوحيد أساس الدين، والدين عبارة عن مجموعة أمور لها ارتباط وثيق بالإنسان ومتطلباته ولاسيما المعنوية منها والمنظم لعلاقات الإنسان وسلوكه، هدفها تنظيم حياة الإنسان، ويعد ضرورة من ضروريات المجتمع والعنصر الرئيس الذي ينبغي وضعه في الاعتبار لما له من دور مهم في الحياة.

- السلوك الاجتماعي الذي هو التطبيق العملي للمعتقدات والأعراف والقواعد السلوكية التي يعتقدها ويتمسك بها افراد المجتمع، هو ما يعبر عنه قانون الجذب الاجتماعي، والذي يسهم في البناء الاجتماعي عن طريق الاستثمار والعمران والتمكين والإصلاح الاجتماعي.

- إن الإمام علياً (عليه السلام) جعل من مسائل الاعتقاد بالسلوك أثرًا مهمًا في نفسية المجتمع وسلوكياته، والتي تتمثل بالسلوك العبادي، والأخلاقيات السلوكية في المجتمع، والتي تنبع من الإيمان الباطن بتزاوج الفكر مع السلوك، ومن هذه الأخلاقيات، النصيحة والتعاون والتواصل وقضاء الحوائج والتواضع.

٣. إن للتنمية البشرية في نهج البلاغة آليات كانت حاضرة وبتميز في منهج الإمام علي (عليه السلام)في إصلاح الأمة، توصل فيه البحث إلى ما يأتي:

أ. تعد الشواهد القرآنية في نهج البلاغة طريقة مهمة في بيان مدى الاتصال العميق بين القرآن الكريم ونهج البلاغة وكيف ذابت أحكام القرآن في نفسية

الإمـام عـلي (عليـه السـلام) التـي كان يبثهـا عـلى كل الإنسـانية ويترجمهـا بسـلوك بـشري، مسـتفيدًا مـن تفاعلـه مـع كلام الله في إصـلاح عبـاده وتحقيـق البنـاء الإنسـاني القويـم.

إن ذكـر الشـاهد القـرآني في نهـج البلاغـة ونسـبه لله تعـالى او الاستشـهاد بـه دون ذكـر نسـبته لله تعـالى او حضـور الفكـرة القرآنيـة في روح النـص، يسـاعد في تنميـة الأمـة بالقـرآن الكريـم، الـذي انزلـه الله تعـالى ليخـرج النـاس مـن الظلـمات إلى النـور، مولـداَ في الذهـن حالـة تنمـي الاسـتيعاب والاسـتغراق في الدلائـل القرآنيـة لتحقيـق وظيفـة اخلاقيـة وسـلوكية وتحـول فكـري ايجـابي، وكلهـا ممـا أتـت بـه التنميـة حديثـاً لتحقيقـه.

ب. يعـد الحـوار والاحتجـاج مـن أهـم آليـات التنميـة البشريـة التـي جـاءت في نهـج البلاغـة في عمليـة تنميـة الإنسـان، في عمليـة ايضـاح الحـق وإزاحـة اللبـس، وانصـاف الحقيقـة والامـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر.

اعتمـد الإمـام عـلي (عليـه لسـلام) في حواراتـه ومحاججاتـه عـلى مـا يسـهم في عمليـة التنميـة كالاستشـهاد بالقـرآن او التحـاور بالحديـث او الحجـج العقليـة، وكلهـا اخـذت طابعًـا توجيهيًـا يسـتهدف انقـاذ الإنسـان وإصـلاح تفكـيره وتوجيـه سـلوكه نحـو الأفضـل والأحسـن في الحيـاة.

ج. لقـد جعـل الإمـام عـلي بـن ابي طالـب (عليـه السـلام) العلـم مـن أولويـات رسـالته، التـي تميـزت بكثـرة اسـتخدامه للشـواهد العقليـة في أغلـب الخطـب التـي اسـتخدمها (عليـه السـلام)، إتمامـاً للحجـج وإيضاحـا للمفاهيـم وتنويـرا للغوامـض، فيرفـد الإمـام (عليـه السـلام)الواضح بالقـول الناصـح ويحـرك العقـول التـي انتابهـا شـك التحـير، وقـد اسـتخدم الإمـام عـلي (عليـه السـلام) الشـاهد العقـلي في العديـد مـن الخطـب وخاصـة في مجـال تنميـة الإنسـان بالتوحيـد والنبـوة والإمامـة وتنميـة الإيـمان بالنفـوس.

المصادر

القرآن الكريم

١- آثار الافعال والاقوال، عبد الرسول آل عنوز، منشورات الداوري، مطبعة شريعت، ط٦، بلا- ت.

٢- آفاق بلا حدود، د. محمد التكريتي، الملتقى للنشر والتوزيع، دمشقسوريا، بلا- ط، بلا- ت.

٣- إتجاهات الدفاع الاجتماعي في الإسلام، جلال الدين علي الصغير، دار البلاغ، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٣ هـ- ١٩٩٣م.

٤- الأثر القرآني في نهج البلاغة دراسة في الشكل والمضمون، د.عباس علي حسين الفحام، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٣٠هـ٢٠١٠م.

٥- أحاديث أهل البيت (عليهم السلام)، د. عبد الهادي الفضلي، دار الرافدين، بيروتلبنان، ط١، ١٤٢٧هـ٢٠٠٦م.

٦- الاحتجاج، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي(٥٤٨ هـ)، تعليق: محمد باقر الخرسان، مطابع النعمان، ١٣٨٦هـ١٩٦٦م.

٧- الحوار مع أتباع الأديان (مشروعيته وآدابه)، د. منقذ بن محمود الباحث في ادارة الدراسات والبحوث، بلا- ط.

٨- الجامع الكبير، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(٩١١هـ)،

دار الفكر، بيروت -لبنان، بلا- ط.

٩- الإختصاص، محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقب بالشيخ المفيد (ت٤١٣هـ)، تحقيق: علي أكبر غفاري، بلا- ط، بلا- ت.

١٠- الأخلاق والآداب الإسلامية، عبد الله الهاشمي، دار الاثر، بيروتلبنان، ط٢، ١٤٣٠هـ٢٠٠٩م.

١١- أخلاق الإمام علي (عليه السلام)، محمد صادق محمد رضا الخرسان، دار المرتضى، بيروت -لبنان، ط٦، ١٤٣٠هـ،- ٢٠٠٩م.

١٢- أخلاق الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام)، خضر القزويني، العتبة العلوية المقدسة، النجف الأشرفالعراق،بلاط، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

١٣- أخلاق أهل البيت (عليهم السلام)، محمد مهدي الصدر (١٣٥٨هـ)، بلا- ط، بلات.

١٤- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، أبو عبد الله محمد بن محمد النعمان العكبري البغدادي الشيخ المفيد (٤١٣هـ) هـ، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام)، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤١٤هـ- ١٩٩٩٣م.

١٦- الإدارة والاسلوب القيادي في نهج البلاغة، هاشم حسين ناصر المحنك، دار انباء للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩١م.

١٧- الإسلام والتجديد،علي المؤمن، دار الروضة، بيروتلبنان، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

١٨- الإسلام والرأي الآخر تجربة الإمام علي نموذجاَ، حسن السعيد، دار الهادي للطباعة و النشر والتوزيع، بيروتلبنان، ط ١، ١٤٢٤ هـ- ٢٠٠٣م.هـ-

٢٠٠٤م.

١٩- أساس البلاغة، محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري (٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٩هـ١٩٩٨م.

٢٠- إستمتع بحياتك ولا تحزن، حسين نجيب محمد، دار المحجة البيضاء، بيروتلبنان، ط١، ١٤٣٢ هـ٢٠١١م.

٢١- أسرار التفكير العلمي والإبداعي، ابراهيم الموسوي، دار الكتاب العربي، بيروت -لبنان، ط ١، ١٤٣٦ هـ٢٠١٥م.

٢٢- أسس العدالة والاعتدال عند امير المؤمنين، محمد صادق الخرسان، دار الكفيل للطباعة والنشر،العتبة العلوية المقدسة، النجف الأشرف- العراق، ط ١، ١٤٣٥ هـ- ٢٠١٤ م

٢٣- أساليب النجاح، هادي المدرسي، دار القارئ للطباعة والنشر، بيروتلبنان، ط ١، ١٤٣٤ هـ٢٠١٣م.

٢٤- أسلوب علي بن ابي طالب (عليه السلام) في خطبه الحربية، د.علي احمد عمران، المكتبة المختصة بأمير المؤمنين، ايران - مشهد المقدسة، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

٢٥- الأفكار والرغبات بين الشيوخ والشباب، محمد تقي فلسفي، تعريب: علاء الدين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروتلبنان، ط٢، ١٤٣٠هـ٢٠٠٩م.

٢٦- الاقتصاد العالمي نشأته وتطوره ومستقبله، غريغوري كلارك، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٣٠هـ٢٠٠٩م.

٢٧- الإقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، محمد بن حسن الطوسي (٤٦٠هـ)، دار

الاضواء، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٠٦هـ١٩٨٦م.

٢٨- الأمالي، الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين القمي (٣٨١هـ)، مؤسسة البعثة، قم – ايران،ط١، ١٤١٧ هـ.

٢٩- الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام) (الشخصية الإسلامية المعاصرة)، عبد السلام كاظم الجعفري، دار الغدير، قمايران،ط ١، ١٤٣٤ هـ.

٣٠- الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام)،حسين نجيب محمد، دار المحجة البيضاء، بيروتلبنان، ط ١، ١٤٣٥هـ٢٠١٤م.

٣١- الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) السيرة الذاتية والاجتماعية،زهير الاعرجي، جواثا للنشر، توزيع دار الولاء، بيروتلبنان، ط ٢، ١٤٢٩ هـ٢٠٠٨م.

٣٢- الإمام علي (عليه السلام) في قوتيه الجاذبة و الدافعة،مرتضى مطهري،ترجمة:جعفر صادق الخليلي، دار الحوراءبيروتلبنان، ط ١، ١٤٢٨ هـ٢٠٠٧م.

٣٣- الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) مفسرًا للقرآن،د. احمد راسم النفيس، دار المحجة البيضاء، بيروتلبنان، ط١، ١٤٣١هـ٢٠١٠م.

٣٤- الإمام علي والأسرار العلمية، ابراهيم سرور العاملي، دار المتقين، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٣٣ ه،- ٢٠١٢م.

٣٥- الإمام علي (عليه السلام) و القيم الإنسانية،كوثر شاهين، دار التبليغ الإسلامي، بلا- ط، ١٤٢٥ هـ- ٢٠٠٤م.

٣٦- الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، جورج جرداق، تحقيق: حسن حميد السنيد،مركز الطباعة و النشر للمجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)، مطبعة ليلى، ط ٢، ١٤٢٦ هـ.

٣٧- الإمام علي في الاحاديث النبوية، السيد محمد الموحّد، انتشارات محبين،باقري، قم - ايران، ط ١، ١٤٢٣ هـ٢٠٠٢م.

٣٨- أمالي الطوسي، محمد بن الحسن الطوسي(٤٦٠هـ)، تحقيق: نضال علي، تصحيح وفهرسة: علاء الدين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروتلبنان، ط ١، ١٤٣٤هـ٢٠١٣م.

٣٩- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، قسم الترجمة والنشر لمدرسة الامام امير المؤمنين (عليه السلام)، ط٣، ١٤٢٦هـ.

٤٠- أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) و الاستراتيجية الأمنية أبان حكومته.، د. عبد الرسول الغفاري، أمانة مسجد الكوفةالعراق ط،١، ١٤٣٤ هـ- ٢٠١٣م.

٤١- الإنسان الكامل، مرتضى مطهري، دار الرسول الأكرم، بيروتلبنان، ط٣، ١٤٣٣هـ. ٢٠١٢م.

٤٢- الإنسان في فكر الشهيد مرتضى مطهري، احمد حسين عودة، دار المحجة البيضاء، بيروتلبنان، ط ١، ١٤٣٣هـ٢٠١٢م.

٤٣- أهل البيت في القرآن والسنة، مؤسسة البلاغ، بلا- ط، بلات.

٤٤- أهل البيت في نهج البلاغة، حيدر فاضل الشكري، تنضيد: زكريا فاضل الربيعي، العتبة العلوية المقدسة قسم الشؤون الفكرية و الثقافية، النجف- العراق، بلاط، ١٤٣٦ هـ٢٠١٤م.

٤٥- بحار الانوار، محمد باقر المقدسي(١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروتلبنان، ط٢، ١٤٠٣ هـ١٩٨٣-م.

٤٦- بحوث ودراسات إسلامية، محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف للمطبوعات، سوريا، ط ١، ١٤٠٦ هـ١٩٨٦م.

٤٧- البرمجة اللغوية العصبية، إبراهيم الموسى، دار الكتاب العربي، بيروتلبنان، ط١، ١٤٣٤ هـ- ٢٠١٣م.

٤٨- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (١٢٠٥هـ)، تحقيق: علي الشير، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت -لبنان، بلا- ط، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٤م.

٤٩- تاريخ الخلفاء، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، المحقق: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٥٠- التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي(٤٦٠هـ)، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي(٤٦٠ هـ)، بلا- ط، بلات.

٥١- التربية و التعليم في خطاب الإمام علي دراسة تطبيقية في ضوء النقد الثقافي (الجملة الثقافية مثالاً)، رفعت سوادي عبد الناشي، دار المحجة البيضاء، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٣٧ هـ٢٠١٦م.

٥٢- التجديد الكلامي عند الشهيد الصدر، د. حبيب فياض، معهد المعارف الحكمية (للدراسات الدينية والفلسفية)، بيروت، ط ١٤٢٦٢٠٠٦،١م.

٥٣- تزكية النفس، معهد الإمام الخميني للدراسات الإسلامية، كربلاءالعراق، بلا- ط، بلا- ت.

٥٤- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (٣٧٠هـ)، لمحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان،

ط١، ٢٠٠١م.

٥٥- التعددية والحرية في الإسلام المذاهب- محمد مهدي شمس الدين،ط٢، بلا- ت.

٥٦- مجمع البيان في تفسير القرآنالفضل بن الحسن الطبرسي(٥٤٨هـ)، تحقيق لجنة من العلماء والمحققين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت -لبنان، ط ١، ١٤١٥ هـ١٩٩٥م.

٥٧- تفسير الإمام العسكري (عليه السلام)- الإمام الحسن بن علي العسكري (عليهم السلام)(٢٦٠ هـ)، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه، مطبعة مهر، قمايران، ط١، ١٤٠٩ هـ.

٥٨- تفسير التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (٢٨٣هـ)، دارالكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٣ هـ.

٥٩- التفسير المختصر للقرآن الكريم، د. مصطفى فرج، دار الهادي، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤٢٨ هـ٢٠٠٧م.

٦٠- تفسير القرآن الكريم الغامض والغريب في اللغة، السيد قاسم هاجر الموسوي، دار الاندلس، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٣٢ هـ٢٠١١م.

٦١- الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، منشورات جماعة المدرسين، قم المقدسةإيران، بلا- ط، بلات.

٦٢- التقوى في القرآن- آية الله السيد كمال الحيدري، دار مؤسسة الإمام الجواد (عليه السلام) للفكر والثقافة،بلاط، بلات.

٦٣- التكامل الاجتماعي للإنسان، مرتضى مطهري، مكتبة مؤمن قريش،

بغدادالعـراق، ط١، ١٤٣٤ هـ- ٢٠١٣م.

٦٤- التنمية في الإسلام، مؤسسة البلاغ، ط ٢، ١٤٣٢ هـ٢٠١١م.

٦٥- الثاقـب في المناقـب- ابـن حمـزة الطـوسي (٥٦٠هـ)، تحقيـق: نبيـل رضـا علـوان، ط٢، ١٤١٢هـ.

٦٦- التنميـة البشريـة تعريفهـا- موضوعهـا- اهدافهـا، محمـد عاجـل، مكتـب الطمـوح، النجـف - العـراق، ط١، ٢٠١٤م.

٦٧- الثقافـة والتنميـة البشريـة، اشـواق عبـد الحسـن السـاعدي، الحضاريـة للطباعـة والنـشر، بغدادالعـراق، ط١، ٢٠٠٨م.

٦٨- ثنائيـة اللـذة والألم في الشـعر العـربي قبـل الإسـلام، د. ليـلى نعيـم الخفاجـي، دارالشـؤون الثقافيـة العامـة، بغـداد -العـراق، ط١، ٢٠١٣م.

٦٩- جامـع البيـان في تأويـل القرآنمحمـد بـن جريـر الطـبري (٣١٠هـ) -تحقيـق: خليـل الميـس، تخريـج وضبـط: صدقـي جميـل العطـار،دار الفكـر للطباعـة والنـشر، بـلاط، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥م.

٧٠- الجامـع الصحيـح المختـصر، محمـد بـن إسـماعيل أبـو عبـدالله البخـاري الجعفـي، دار ابـن كثـير، بـيروت- لبنـان، ط٣، ١٤٠٧ هـ١٩٨٧م.

٧١- الجواهـر الحسـان في تفسـير القـرآن، أبـو زيـد عبـد الرحمـن بـن محمـد بـن مخلـوف الثعالبي (٨٧٥هـ)، دار إحيـاء الـتراث العـربي، بـيروت- لبنـان، ط١، ١٤١٨ هـ

٧٢- حجـج الله، صاحـب واثـق، مؤسسـة الأعلمـي، بـيروت- لبنـان، ط١، ١٤٢٨هـ٢٠٠٧م.

٧٣- حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، قطب الدين الكيذري البيهقي، تحقيق: عزيز الله العطاردي، مؤسسة نهج البلاغة، نشر عطارد، قم- ايران، ط١، ١٤١٦ هـ ق - ١٣٧٥ هـ ش.

٧٤- الحركات الإسلامية في القرن الرابع عشر الهجري، مرتضى مطهري، دار الهادي، بيروتلبنان، بلاط، ١٤٢٢ هـ٢٠٠١م.

٧٥- حقوق الإنسان بين الإعلانين الإسلامي والعالمي، محمد علي التسخيري، دار الثقلين، بيروتلبنان، ط١، ١٤١٥ هـ١٩٩٥م.

٧٦- خطب الجمعة، حسين نجيب محمد، دار المحجة البيضاء، بيروتلبنان، ط١، ١٤٣٤ هـ٢٠١٣م.

٧٧- الخطط السياسية لتوحيد الأمة الإسلامية، احمد حسين يعقوب، دار الثقلين، بيروتلبنان، ط١، ١٤١٥هـ١٩٩٤م.

٧٨- خلاصة علم الكلام، د. عبد الهادي الفضلي، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، مطبعة ستار، ط٢، ١٤٢٧ هـ- ٢٠٠٧م.

٧٩- دراسات في الأخلاق و شؤون الحكمة العامة،حسين المظاهري، دار التعارف للمطبوعات، بيروتلبنان.ط ٢، ٢٠١٥م.

٨٠- الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان، بلا - ط.

٨١- دراسات في نهج البلاغة، محمد مهدي شمس الدين، دار الكتاب الإسلامي، قمايران، ط١، ١٤٢٨ هـ- ٢٠٠٧م.

٨٢- دراسات في سايكولوجية التفكير، د. رضا الموسوي، دار الشؤون الثقافية،

بغدادالعراق، ط ١، ٢٠١٠م.

٨٣- دروس في العقيدة الإسلامية، معهد الإمام الخميني للدراسات، كربلاء المقدسةالعراق، بلاط، بلات.

٨٤- دروس سياسية نهج البلاغة، محمد تقي رهبر، دار الولاء، بيروتلبنان ط ١، ١٤٢٥هـ٢٠٠٤م.

٨٥- دروس في فقه النفس الإنسانية، حسين نجيب محمد، دار المحجة البيضاء، بيروت لبنان، ط ١، ١٤٣٥ هـ٢٠١٤م.

٨٦- دروس في العقيدة الإسلامية، محمد تقي مصباح يزدي،طبع في لبنان،مركز التوزيع: مكتبة سلمان المحمدي، بغدادالعراق، ط١، ١٤٣٤ هـ٢٠١٣م.

٨٧- دروس في الأخوّة الايمانية، محمد باقر الحكيم، مؤسسة شهيد المحراب للتبليغ الإسلامي، ط١، ١٤٢٦ هـ- ٢٠٠٥م.

٨٨- دروس في عقائد الإمامية، عبد الرضا ناصر البهادلي، دار القارئ، ميسانالعراق، ط ٢، ١٤٣٢هـ٢٠١١م.

٨٩- دليل الناسك، السيد محسن الطباطبائي الحكيم(١٣٩٠هـ)، تحقيق: السيد محمد القاضي، دار الحكمة، ط٣، ١٤١٦ هـ- ١٩٩٥م.

٩٠- الدنيا في نهج البلاغة، تنفيذ واخراج:نذير هندي الكوفي، اعداد: مكتبة الروضة الحيدرية، العتبة العلوية، النجفالعراق، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

٩١- دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة، محمد باقر الحكيم، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، مطبعة العترة الطاهرة، النجف الأشرفالعراق، ط ٤٥، ٢٠٠٧م.

٩٢- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (٨٠٨هـ)، دار الفكر، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤٠٨ هـ١٩٨٨ م

٩٣- ديوان الأعشى، ميمون بن جندل، تحقيق: د. محمد حسين، مكتبة الآداب، بلا-ط.

٩٤- الدين المعاملة فن العلاقات الاجتماعية، حسين نجيب محمد، مكتبة شهيد الجمعة، بغدادالعراق ط١، ١٤٣٤هـ٢٠١٣م.

٩٥- رؤى جديدة في الفكر الإسلامي، مرتضى المطهري، اعداد وتصحيح: عبد الكريم الزهيري، دار الكتاب الإسلامي،قمايران، ط ١٤٣١،١ هـ٢٠١٠م.

٩٦- رسائل في دراية الحديث،ابو الفضل حافظيان البابلي، ضبط: ميثم الدباغ، دار الحديث للطباعة والنشر، مطبعة دار الحديث، بيروتلبنان، ط ٤، ١٤٣٢ هـ٢٠١١م.

٩٧- رسالة الإصلاح والواقع الاجتماعي للإمام علي (عليه السلام)، عذراء مهدي حسين العذاري، امانة مسجد الكوفة العراق، ط١، ١٤٣٤ هـ- ٢٠١٣م.

٩٨- الرسول الأعظم والتنمية البشرية التراحم انموذجاً، محمد صادق رضا الخرسان، دار البذرة، مطبعة الكلمة الطيبة، النجف الاشرفالعراق، ط ٢، ١٤٣٦ هـ- ٢٠١٤م.

٩٩- روائع نهج البلاغة، جورج جرداق، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، مطبعة باقري، ط٢، ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧م.

١٠٠- روضة الخلاص في خير الناس في مناقب الإمام امير المؤمنين عليه

السلان، فاضل العلياوي، دار الأعراف للدراسات، بيروت – لبنان، ط ١، ١٤٢٠ هـ١٩٩٩م.

١٠١- السر، روانـد بايـرن، ترجمـة: يـارا خالـد الـبرازي، تدقيـق: اسـماعيل الكـردي، دار الاوائـل، دمشـق سـوريا، ط١، ٢٠٠٨م.

١٠٢- سنن الإمام علي (عليه السلام)، لجنة الحديث معهد باقر العلوم (عليه السلام)، منظمة الإعلام الإسلامي، فم – ايران، ط١، ١٣٨٠ هـ ق.

١٠٣- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (٢٧٥هـ)، دار الرسالة العالمية،ط١، ١٤٣٠ هـ٢٠٠٩م

١٠٤- السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (٣٠٣هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢١ هـ٢٠٠١م.

١٠٥- شرح أصول الكافيمحمد صالح المازندراني (١٠٨هـ)، تعليق: ابي الحسن الشعراني، تصحيح: علي عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروتلبنان، ط١، ١٤٢١هـ٢٠٠٠م.

١٠٦- شرح نهج البلاغة برواية الخلافة، قاسم الحائري، المجتبى للطباعة و النشر، قمإيران، ط٢، ١٤٣٥ هـ- ٢٠١٤م.

١٠٧- شرح نهج البلاغة، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (٦٧٩هـ)، أنوار الهدى، قم – ايران، ط١، ١٤٢٧ هـ.

١٠٨- شرح نهج البلاغة، إبن أبي الحديد المعتزلي،تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧٨ هـ١٩٥٩م.

١٠٩- شرح كلمات أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام)، عبد الوهاب، تصحيح ونشر: جلال الدين الحسيني، بلا- ط، ١٣٩٠ هـ ق -١٣٤٩ هـ ش.

١١٠- شرح حكم نهج البلاغة، عباس القمي، دار الانصار، مطبعة باقري، قمايران، ط١، ١٤٢٦ هـ٢٠٠٥م.

١١١- شروح نهج البلاغة، حسين جمعة العاملي،بيروت لبنان،مطبعة: وزنكو غراف فكر ط: ١: ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

١١٢- الصحاح في اللغة، إسماعيل بن حماد الجوهري (٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروتلبنان، ط٤، ١٤٠٧هـ١٩٨٧م.

١١٣- صفوة شروح نهج البلاغة، أركان التميمي، أنوار الهدى، مطبعة سرور، قمإيران، ط١، ١٤٢٤هـ ق.

١١٤- صورة النبي في نهج البلاغة، د.عباس علي الفحام، مركز الرسالة، قم - ايران، ط١، ١٤٣٥هـ.

١١٥- عقائد الإمامية، محمد رضا المظفر، تقديم: د. حامد حنفي داود، مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر، قمايران، ط٩، ٢٠٠٥م.

١١٦- العمل والفاعلية طريق التقدم، حسن موسى الصفار، مكتبة الشيخ حسن الصفار، القطيفالسعودية، ط٣، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

١١٧- العينالخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ)، تحقيق، د.مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، ايران، ط٢، ١٤٠٩ هـ.

١١٨- علم النفس والعولمة، مصطفى حجازي، شركة المطبوعات للتوزيع

والنشر، بيروتلبنان، ط ٢، ٢٠٠٧م.

١١٩- علم نفس النجاح، برايان تريسي، ترجمة: عبد اللطيف الخياط،بلاط، بلا-ت.

١٢٠- علوم نهج البلاغة، محسن باقر الموسوي، دار العلوم، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ٢٠٠٣م.

١٢١- علي إمام المتقين، عبد الرحمن الشرقاوي، مؤسسة مدين للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٣ هـ٢٠٠٢م.

١٢٢- علي ميزان الحق، محمد كوزل الآمدي، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)، مطبعة ليلى، ط٢، ١٤٢٨ هـ.

١٢٣- علي في التزام الحق، ضياء الدين زين الدين، منشورات مؤسسة الشيخ زين الدين للمعارف الإسلامية، مطابع مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروتلبنان، ط٣، ١٤٣١هـ٢٠١٠م.

١٢٤- علي والرعية، السيد طلال الحكيم، دار الضياء، النجف الأشرف - العراق، بلا - ط، ١٤٣٧ هـ٢٠١٦م.

١٢٥- علي و الغلاة، علي الابراهيمي الطرابلسي، دار الهادي، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٣٠ هـ٢٠٠٩م.

١٢٦- علم النفس والعولمة رؤى مستقبلية في التربية والتنمية، د.مصطفى حجازي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت - لبنان، ط٢، ٢٠٠٧م.

١٢٧- عون المعبود شرح سنن أبي داود،، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن آبادي (١٣٢٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان،

ط٢، ١٤١٥هـ.

١٢٨- غريب الحديث لابن سلامالقاسم بن سلام الهروي أبو عبيد، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آبادالهند، ط١، ١٣٨٤ هـ- ١٩٦٤م.

١٢٩- غزوات امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام)، العلامة الشيخ جعفر نقدي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٣ هـ١٩٩٢م.

١٣٠- الغوص في أعماق الشخصيات، إبراهيم الموسى، دار الكتاب العربي، بيروتلبنان، ط١، ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م.

١٣١- فانغ شوي للمدراء (نظرية الطاقة في الإدارة والسلوك والتصاميم النجاح)، فرانتس ج. لوبرت، تعريب: كامل إسماعيل، العبيكان للنشر، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٥ هـ- ٢٠٠٤م.

١٣٢- فروع الكافي، محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني (٣٢٩هـ)، الاميرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١٤٢٩،١هـ٢٠٠٨م.

١٣٣- الفصل في الملل والأهواء والنحل- علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الطاهري ٤٥٦هـ، بلاط، بلات.

١٣٤- الفكر الإقتصادي في نهج البلاغة، د. محسن باقر الموسوي، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ٢٠٠٢م.

١٣٥- الفلسفة والإنسان جدلية العلاقة بين الفكر والوجود، د. علي الشامي، دار الإنسانية للنشر والتوزيع، بيروتلبنان، ط ١، ١٩٩١م.

١٣٦- فلسفة الحياة، جعفر حسن عتريسي، دار الهادي للطباعة،بيروت -

لبنـان، ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٦م.

١٣٧- فلسـفة التفكـير لقـوة الشـخصية، إبراهيـم الموسـى، دار الكتـاب العـربي، بيروتلبنـان، ط ١، ١٤٣٦ هـ٢٠١٥م.

١٣٨- فلسـفة الديـن، كـمال الحيـدري، بقلـم: عـلي حمـود العبـادي، دار فراقـد، قـم -ايـران، ط١، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

١٣٩- في ظـلال نهـج البلاغـة، محمـد جـواد مغنيـة، دار التيـار، منشـورات الرضـا، بـيروت لبنـان، ط ١، ١٤٣٤ هـ- ٢٠١٣م.

١٤٠- في رحـاب نهـج البلاغـة، مرتـضى مطهـري، العتبـة العلويـة المقدسـة، النجـف - العراق،١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

١٤١- المحيـط في اللغـة، مجـد الديـن أبـو طاهـر محمـد بـن يعقـوب الفيروزآبـادي (٨١٧هـ)، مكتـب تحقيـق: الـتراث في مؤسسـة الرسـالة، مؤسسـة الرسـالة للطباعـة والنـشر والتوزيـع، بـيروت - لبنـان، بـلا - ط، بـلا - ت.

١٤٢- قـوة التحكـم في الـذات، د. ابراهيـم الفقـي، دار المدينـة للنـشر والتوزيـع، مكتبـة جامعـة عـين شـمس، العباسـية - مـصر، ط ٢، ١٤٣٠ هـ- ٢٠٠٩م.

١٤٣- قـوة التأثـير ووحـدة الهـدف، عامـر الرافعـي، دار الكتـب العـربي، بـيروت - لبنـان، ط١، ١٤٣٦هـ٢٠١٥م.

١٤٤- قـوة الطاقـة البشريـة والطريـق إلى القمـة، د. ابراهيـم الفقـي، سـما للنـشر والتوزيـع، بـلاط، بـلات.

١٤٥- الكشـاف عـن حقائـق غوامـض التنزيـل وعيـون الأقاويـل في وجـوه التأويـل، محمـود بـن عمـرو بـن أحمـد، جـارالله الزمخشري(٥٣٨هـ) - شركـة مكتبـة و

مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، بلاط، ١٣٨٥ هـ- ١٩٦٦م.

١٤٦- الكل يسأل وعلي يجيب، هشام آل قطيط الحيدري، دار المحجة البيضاء، بيروت - لبنان، ط٤، ١٤٣٠ هـ٢٠٠٩م.

١٤٧- كلام سيد المرسلين (صلى الله عليه وآله) في علي امير المؤمنين حسب مصادر أهل العامة، الميرزا ماجد زين الدين، دار المحجة البيضاء، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٣٣هـ٢٠١٢م.

١٤٨- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال- علي بن حسام الدين المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة - بيروت، بلا- ط، ١٩٨٩م.

١٤٩- كيف تبني عائلة ناجحة لرواية أهل البيت (عليهم السلام)، حبيب الكاظمي، إعداد: حسين تاج، دار الجوادين، بيروت - لبنان، ط١، بلات.

١٥٠- كيف تستثمر أوقاتك، خليل الموسوي، دار الجوادين للطباعة والنشر والتوزيع، مكتبة الفردوس، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٣٢ هـ٢٠١١م.

١٥١- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (٧١١ هـ)، دار صادر، بيروت- لبنان،ط ١، بلا ت.

١٥٢- المبادئ والأساليب التربوية في نهج البلاغة، اميرة برغل، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروتلبنان، ط١، ١٤٢٦هـ٢٠٠٥م.

١٥٣- محاضرات في الدين والإجتماع، مرتضى مطهري،الناشر مدين، مطبعة قلم، قم - إيران، ط ٢، ١٤٢٩ هـ- ٢٠٠٨م.

١٥٤- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (٨٠٧هـ)، لمحقق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة-

مصر، بلا-ط، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤م.

١٥٥- مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (٥١٨هـ)، دار المعرفة، بيروت- لبنان، بلا ط.

١٥٦- المجتمع والتاريخ، مرتضى مطهري،دار الارشاد، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

١٥٧- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (١٣٣٢هـ)، دار الكتب العلميه، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٨ هـ

١٥٨- مختصر الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مؤسسة التاريخ العربي، مكتبة القائم، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

١٥٩- مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (٦٦٦هـ)، المكتبة العصريةالدار النموذجية، بيروت - لبنان، ط٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

١٦٠- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (١٠١٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١،، ١٤٢٢هـ٢٠٠٢م.

١٦١- مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بلا- ط، بلات.

١٦٢- مشارق انوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين، الحافظ رجب برسي، تحقيق: العلامة السيد علي عاشور، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٢٧ هـ٢٠٠٦م.

١٦٣- معاجز الإمام علي (عليه السلام)، السيد هاشم البحراني، تحقيق: علاء الدين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

١٦٤- معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي، حامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م.

١٦٥- المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان، بلا - ط، ١٩٨٢م.

١٦٦- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى أحمد الزيات حامد عبد القادر محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

١٦٧- المعجم الموضوعي لنهج البلاغة، اويس كريم محمد، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد - ايران، ط١، ١٤٠٨ هـ.

١٦٨- معجزة آليات عمل العقل، جوزيف ميرفي، حقوق الترجمة العربية والنشر والتوزيع لمكتبة جرير، رياض - السعودية ط ١، ٢٠١١م.

١٦٩- معجم علم الاجتماع، عدنان ابو مصلح، دار اسامة للنشر والتوزيع، دار المشرق الثقافي، عمان - الاردن، بلاط، ٢٠١٠م.

١٧٠- التعريفات، علي بن حسن السيد الشريف الجرجاني (٨١٦هـ)، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة- مصر، بلاط، بلات.

١٧١- المستويات الجمالية في نهج البلاغة دراسة في شعرية النثر، نوفل ابو رغيف، ط٢، ٢٠١١م.

١٧٢- مفاتيح الغيب، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي

الملقب بفخر الدين الرازي(٦٠٦ هـ)، دار الفكر،ط١، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

١٧٣- مفهوم الديمقراطية وتطبيقاتها في العراق، عقيلة عبد الحسن،دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد - العراق، بلا - ط، ٢٠١٣م.

١٧٤- موسوعة الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام)في الكتاب والسنة والتاريخ، محمد الريشهري، دار الحديث،قم - ايران، ط٢، ١٤٢٥ هـ.

١٧٥- ملامح من عبقرية الإمام، د. مهدي محبوبة، تقديم: هاشم محمد الباججي، العتبة العلوية المقدسة، النجف - العراق، بلا - ط، ١٤٣٢هـ.

١٧٦- المناقب، الموفق بن أحمد بن محمد المكي الخوارزمي(٥٦٨هـ)، تحقيق: مالك المحمودي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم - إيران، ط٢، ١٤١٤ هـ.

١٧٧- المناقب الامام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام)من الرياض النضرة، محب الدين احمد بن محمد الطبري (٦٩٤هـ)، تحقيق: محمد باقر المحمودي، المؤسسة العالمية لنهج البلاغة، قم - ايران، بلا - ط، ١٣٨٣ هـ. ش.

١٧٨- منتخب ميزان الحكمة، محمد الريشهري، تلخيص: حميد الحسيني، دار الحديث للطباعة والنشر، قم - ايران، ط ٧، ١٤٣٠هـ ق١٣٨٧ هـ ش.

١٧٩- المنهجية التربوية عند امير المؤمنين، أحمد نوري الحكيم، قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة، مطبعة الدار البيضاء والنجف الأشرف - العراق، بلا - ط، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

١٨٠- مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها، علي أحمد مدكور، دار الفكر العربي، ١٤٢١هـ٢٠٠١م.

١٨١- منهاج الحياة، علي الحسيني الاشكوري، الناشر عمران، قم - ايران،

بـلاط، ١٤٣٢هـ.

١٨٢- منهـاج البراعـة في شرح نهـج البلاغـة، مـير حبيـب الله الهاشـمي الموسـوي الخوئـي، تحقيـق عـلي عاشـور، دار احيـاء الـتراث العـربي، بـيروت- لبنـان، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

١٨٣- مـن وحـي نهـج البلاغـة في الأخـلاق و الفلسـفة و السياسـة، اعـداد شـعبة الدراسـات، دار الضيـاء للطباعـة، العتبـة العلويـة المقدسـة، النجـف الأشرف - العراق، بـلا - ط، ١٤٣٣هـ٢٠١٢م.

١٨٤- مـن بلاغـة الإمـام عـلي (عليـه السـلام) في نهـج البلاغـة دراسـة وشرح لأهـم الصـور البلاغيـة، عـادل حسـن الاسـدي، مؤسسـة المحبين، قـم - ايـران، ط١، ١٤٢٧ هـ- ٢٠٠٦م.

١٨٥- مـن لايحـضره الفقيـه، أبـو جعفـر محمـد بـن عـلي بـن الحسـين بـن بابويـه القمـي (٣٨١ هـ)، تحقيـق: عـلي اكـبر غفـاري، منشـورات جماعـة المدرسـين في الحـوزة العلميـة، قـم -ايـران، ط٢.

١٨٧- نافـذة عـلى قضايـا الإسـلام، ابراهيـم الأمينـي، ترجمـة: كـمال السـيد، مطبعـة ثامـن الائمـة (عليهـم السـلام)، قـم - ايـران، ط ٢، ١٣٨٤ هـ ش - ١٤٢٦ هـ ق - ٢٠٠٥م.

١٨٨- النظـام التربـوي في الإسـلام، باقـر شريـف القريـشي، مكتبـة الإمـام الحسـين العامـة، مطبعـة شريعـة، النجف الاشرف، ط١، ١٣٨٥هـ ش - ١٤٢٧ هـ ق.

١٨٩- نظريـة المنظمـة و السـلوك التنظيمـي، د. منقـذ محمـد داغـر، د. عـادل حرحـوش صالـح، جامعـة بغـداد - العـراق، بـلاط، بـلات.

١٩٠- نفحات الولاية شرح عصري جامع لنهج البلاغة،،ناصر مكارم الشيرازي، اعداد:عبد الرحيم الحمراني، الناشر مدرسة الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام)، قم - إيران،ط٢، ١٤٢٦ هـ.

١٩١- نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، محمد باقر المحمودي، ط١، ١٣٩٦هـ١٩٧٦م.

١٩٢- نهج البلاغة، ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية: د.صبحي الصالح، دار الاسرة للطباعة والنشر التابعة لمنظمة الاوقاف والشؤون الخيرية، قم - ايران، ط٦، ١٤٢٩هـ.

١٩٣- نهج البلاغة في دائرة التشكيك، يوسف علي سبتي، ط١: ١٤٢٧ هـ٢٠٠٦م. دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت لبنان.: ٣٣٩.

١٩٤- نهج البلاغة،وهو ما جمعه السيد الشريف الرضي من خطب ووصايا وكتب وكلام اميرالمؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الشيخ محمد عبده، خرج مصادره: فاتن محمد خليل الليون، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت -لبنان، بلا -ط.

١٩٥- نهج البلاغة، ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، تحقيق وشرح، محمد عبده، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٢هـ١٣٧٠ هـ ش.

١٩٦- نهج البلاغة المختار من كلام امير المؤمنين، محمد بن الحسين بن موسى الشريف الرضي، تحقيق هاشم الميلاني، العتبة العلوية المقدسة، مطبعة التعارف،

النجف – العراق، ط ٣، ١٤٣١ هـ٢٠١٠م.

١٩٧- نهج البلاغة صوت الحقيقة دراسة في اثباته على ضوء النص النقلي وماهية المنجز الفني، د.صباح عنوز،دار المعمورة،ط١، ١٤٣٤هـ٢٠١٣م.

١٩٨- هل اتاك حديث مجتمعنا، ابراهيم الموسوي، دار الكتاب الإسلامي، مطبعة ستارة، قم – ايران، ١، ١٤٢٩ هـ٢٠٠٨م.

١٩٩- واجه عوامل السقوط، هادي المدرسي، دار الكاتب العربي، بيروت -لبنان، ط١، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.

البحوث العلمية:

١- أثر المعلومات في التنمية الاجتماعية والاقتصادية في العراق، سلمان وفيق سليمان، أطروحة دكتوراه، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، العراق، ٢٠٠٦م.

٢- تحليل مؤشرات التنمية السياحية المستدامة في دول مختارة مع الإشارة إلى العراق،عبير مرتضى حميد السعدي، رسالة ماجستير، جامعة كربلاء،كلية الإدارة والإقتصاد، ٢٠١٢م.

٣- التحليل الاقتصادي لمؤشرات التنمية المستديمة في بلدان اسيوية مختارةعلي مهدي داود سلمان الربيعي، جامعة كربلاء، كلية الإدارة والاقتصاد،قسم الاقتصاد، رسالة ماجستير، ٢٠٠٩م.

٤- تربية الابداع وأساليب تطبيقها على وفق متطلبات التنمية المستدامة – ثائر سلمان امي- جامعة ديالى، كلية التربية الاساسية، قسم الارشاد النفسي والتوجيه التربوي، رسالة ماجستير، ٢٠١٣م.

٥- التنمية البشرية في السنة النبوية، سماح طه احمد الغندور، رسالة ماجستير،

الجامعة الإسلامية – كلية اصول الدين، قسم الحديث، غزة – فلسطين،٢٠١١م.

٦– التنمية البشرية المستدامة – كآلية لمحاربة البطالة في الجزائر، الهاشمي بن واضح.– مهديد فاطمة الزهراء، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية، جامعة محمد بوضياف المسيلة.

٧– التنمية البشرية في القرآن الكريم، طلال فائق الكمالي، جامعة الكوفة – كلية لفقه – قسم علوم القرآن والحديث الشريف، ١٤١٣ هـ– ٢٠١٣م.

٨– التنمية البشرية في العراق – ٢٠٠٣–٢٠٠٥وليد جبر الخفاجي،جامعة بغداد، ٢٠٠٧م.

٩– فاعلية تنمية الموارد البشرية ضمن اطار التفاعل بين التنمية المستدامة والتنمية البيئية مع الاشارة إلى تجربة الاردن، سعدون منخي عبد مروح المعموري، جامعة الانبار، كلية الإدارة والإقتصاد، قسم الاقتصاد، ٢٠٠٦م.

١٠–القانون الدولي لحقوق الإنسان في ظل العولمة، عماد خليل إبراهيم،جامعة الموصل، كلية القانون، رسالة ماجستير، ٢٠٠٤م.

١١–مستقبل التنمية البشرية في ضوء مستجدات البيئة الاقتصادية في العراق، صباح رحيم مهدي الاسدي، اطروحة دكتوراه، جامعة الكوفة، كلية الإدارة والاقتصاد،، قسم الاقتصاد، ٢٠١٠م.

١٢–منظمات المجتمع المدني ودورها في التنمية المجتمعية، سامان محي الدين،جامعة الموصل، كلية الآداب، رسالة ماجستير، ٢٠٠٩م.

التقريرات العالمية:

١– تقرير التنمية البشرية – هيئة الامم المتحدة لعام– ٢٠١٤م.

٢- تقرير اليونوسكو لعام ١٩٩٢م.

٣- تقرير اليونوسكو لعام ٢٠١٥م.

المواقع العلمية الإلكترونية:

١- http://www.arabgeographers.net٦

٢- https://ar.wikipedia.org/wiki

٣- http://www.yasoob.com/ar

المحتويات

مقدمة المؤسسة ٩

المقدمة ١١

التمهيد

التنمية البشرية ولوازمها التعريفية

التمهيد: التنمية البشرية ولوازمها التعريفية ١٩

أولاً: التنمية البشرية لغة واصطلاحاً: ١٩

التنمية لغةً: ١٩

ثانيًا: التنمية حسب الاصطلاح الموضوع لها: ٢١

أ- التنمية الاقتصادية: ٢١

ب- التنمية الاجتماعية: ٢١

ج- التنمية البشرية: ٢٢

د. التنمية البشرية المستدامة: ٢٥

هـ- التنمية الشاملة: ٢٦

ثانياً: التطور الاصطلاحي لمفهوم التنمية البشرية: ٢٧

ثالثاً: أهداف التنمية البشرية ومكوناتها ٣٠

أ. أهداف التنمية البشرية ٣٠
ب- مكونات التنمية البشرية ٣٢
١. الإنصاف ٣٢
٢. الإنتاجية ٣٢
٣- الاستدامة ٣٣
٤-التمكين ٣٣

الفَصْلُ الأَوَّلُ

مقومات التنمية البشرية

للشخصية القيادية في نهج البلاغة

توطئة ٣٧
المبحث الأول: الإدَارة عِندَ الإمَام عَلِي (عليه السلام) فِي نَهج البَلاغَة ٣٩
أولاً: الإدارة المدنية في نهج البلاغة ٤٢
المقومات الإدارية المثالية في نهج البلاغة ٤٣
أ. القوة والعلم: ٤٤
ب. سعة الصدر: ٤٥
ج. الحكمة: ٤٦
د. الصبر على لزوم الحق: ٤٦
هـ. العدالة: ٤٧
و. الأخلاق القويمة للإدارة: ٤٩
ثانياً: الإدارة الاقتصادية وتنميتها للمجتمع في نهج البلاغة..... ٥٦
أ. إدارة تنمية الموارد البشرية في نهج البلاغة ٥٧
١. رعاية ذوي البؤس والمسكنة من الرعية: ٥٧
٢. السماحة والسهولة:..... ٥٩

٣. الغنى: ٥٩
ب. إدارة تنمية الموارد الطبيعية في نهج البلاغة: ٦٠
ثالثاً: الإدارة السياسية في نهج البلاغة ٦٢
١. سياسة الإدارة غير المباشرة: ٦٢
دور الامام في الإدارة غير المباشرة في حكومات الخلفاء: ٦٣
٢-السياسة المباشرة: ٦٥
الأساليب التنموية للإمام علي (عليه السلام)في الخطب الحربية: ٦٨
أولاً: التنمية الفكرية للمجاهد في نهج البلاغة ٦٨
ثانياً: التنمية الروحية للمجاهدين: ٧٢
١. إسعاف الجرحى ومعالجتهم: ٨٠
٢. رعاية الأسرى: ٨١
٣. تحريم التمثيل بالقتلى: ٨١
٤. حماية المدنيين: ٨٢
المبحث الثاني: التكامل الفكري للإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة ٨٤
توطئة: ٨٤
التكامل الفكري في نهج البلاغة ٨٦
أولاً: علم الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) ٨٨
أ. العلم من الطفولة: ٨٨
ب. علم لا يجد له حملة: ٩٠
ج. علم لا حدود له: ٩١
ومن ظاهر علم الإمام علي (عليه السلام) الذي لا حدود له: ٩٢
١. الاستشراف : ٩٢
٢. مصائر العباد ٩٥

٣. الفتن والحروب المستقبلية ٩٧
ثانياً: الطاقات التفكيرية عند الإمام علي (عليه السلام) ٩٨
أ. القدرة على الإدراك: ٩٨
ب. القدرة على التحليل: ١٠٠
ج. القدرة على المقارنة: ١٠١
د. القدرة على اتخاذ القرار: ١٠٢
ثالثاً: أساليب التنمية الفكرية لأمير المؤمنين (عليه السلام) ١٠٣
١. اسلوب تنمية الذاكرة الدورية ١٠٣
٢- تنمية الذاكرة المنطقية ١٠٥
عوامل تنمية التفكير في نهج البلاغة ١٠٦
١. العوامل الداخلية لتنمية العقل الباطن ١٠٧
٢. العوامل الخارجية لتنمية العقل الواعي ١٠٨
المبحث الثالث: التكامل الجسماني للإمام علي(عليه السلام) ١٠٩
توطئة ١٠٩
عوامل التكامل الجسدي للإمام علي (عليه السلام) ١٠٩
١. عوامل إلهية ١٠٩
٢. عوامل وراثية ١١٢
٣. العامل الأسري ١١٦
مؤشرات التنمية البشرية في شخصية الإمام علي (عليه السلام): ١٢٠
أ. الفداء: ١٢٠
ب. المعروف: ١٢١
ج. المناجزة: ١٢٢
د. الترويض: ١٢٤

هـ. الذوبان في المعبود: ١٢٥
و. نكران الذات: ١٢٥
ز. التأسي: ١٢٦
ح. الاستعداد: ١٢٧
ط. القوة الربانية: ١٢٨

الفصل الثاني

موضوعات التنمية البشرية في نهج البلاغة

توطئة ١٣٣
المبحث الاول: بناء الإنسان في نهج البلاغة ١٣٤
أولاً: التنمية العقلية ١٣٥
ثانياً: التنمية النفسية في نهج البلاغة: ١٤٣
المبحث الثاني: بناء المجتمع في نهج البلاغة ١٦١
توطئة ١٦١
المطلب الاول: ميدان الاطمئنان الاجتماعي ١٦٢
طرق تنمية التوحيد في نهج البلاغة ١٦٥
أ. طريق المعرفة الحضورية: ١٦٧
ب. طريق المعرفة الحصولية: ١٦٨
ج. طريق المعرفة الفطرية: ١٦٩
خلق الإنسان: ١٦٩
التوحيد نواة الطمأنينة الاجتماعية ١٧٣
المطلب الثاني: قانون الجذب الاجتماعي ١٧٦
عناصر المجتمع وقانون الجذب الاجتماعي في نهج البلاغة ١٧٧
١. الاستثمار: ١٨١

٢. العمران: ١٨٣
٣. التمكين: ١٨٤
٤. الإصلاح: ١٨٥
المطلب الثالث: مبادئ السلوك الاجتماعي في نهج البلاغة ١٨٦
اولاً: السلوك العبادي: ١٨٦
التعاريف التنموية لمفردات العبادات الإسلامية: ١٨٦
ثانياً: الاخلاقيات السلوكية ١٨٩
١.النصيحة:..... ١٩٤
٢-التعاون: ١٩٥
٣- التواصل: ١٩٦
٤- قضاء الحوائج: ١٩٧
٥- التواضع: ١٩٨

الفصل الثالث

آليات التنمية البشرية في نهج البلاغة

المبحث الاول: الشواهد القرآنية في نهج البلاغة ٢٠٤
١. طريقة ذكر الشاهد القرآني: ٢٠٧
أ. التصريح بنسب الشاهد: ٢٠٨
ب. عدم التصريح بنسبة الشاهد القرآني: ٢١٢
ج. التذييل: ٢١٤
٢. حضور الفهم القرآني: ٢١٦
أ. التنمية الفكرية بعلم الأحياء: ٢١٧
ب. التنمية بعلم الجيولوجيا: ٢١٩
ج. التنمية بعلم الفلك ٢٢١

د. حضور الفهم القرآني في التنمية الروحية: ٢٢٤
هـ. حضور الفهم القرآني في تنمية العبادة: ٢٢٨
المبحث الثاني: الحوار والاحتجاج في نهج البلاغة ٢٣٢
توطئة ٢٣٢
أولاً: آداب الحوار والاحتجاج في نهج البلاغة ٢٣٤
ثانياً: الحوار التوجيهي في نهج البلاغة ٢٣٨
ثالثاً: المحاججات في نهج البلاغة ٢٤٥
١. الخطبة الشقشقية: ٢٤٦
٢. إحتجاجه في مجلس الشورى ٢٥٦
٣. الاحتجاج في الاختلاف عن النبي (صلى الله عليه وآله) لا فيه. ٢٥٧
٤. المحاججة مع المقاتلين ٢٥٩
٥. المحاججة مع الأنصار ٢٦٣
المبحث الثالث: الشواهد العقلية المنطقية في نهج البلاغة ٢٦٦
توطئة ٢٦٦
الشاهد العقلي المنطقي ٢٦٦
استعمالات الشواهد العقلية المنطقية: ٢٦٧
١. رفد الإيمان بالله تعالى ٢٦٨
٢. بعثة الرسل ٢٧٢
٣. أهمية القرآن الكريم ٢٧٦
٤. تنمية الإيمان ٢٨٠
الخاتمة ٢٨١
المصادر ٢٨٧
البحوث العلمية: ٣٠٩